ختم دائرة

٥٠٠٠

I

ختم باب العلم الطلبة بل الناس
عبد الكريم بن علي بن الناس
الشهير بتصاب زاده
عفى عنهم بمنه وكرمه
وجود وجوده
آمين يا مالك
وحسبنا قول الناس فيما ملكته
لفلان لكان هذا حق لفلان

تم تملكه العبد الفقير

جل الله العلم

مدد يا ذا الدولة والقدرة الله
لعبده الحقير عونه
١١١٥

تم وقف دار الكتب المصونة
السيد محمد أسعد الحسيني
عفى عنه
٢١٨٧

Mikrofilm Arşivi
No. 917

كتاب فيه الجامع الكبير في صناعة النظم والنثر

تأليف القاضي الأ[illegible] العالم

مجالس لزا[illegible] قدس الله

روحه ونور ضريحه

ابو الحسين المشر[illegible]

صاحب المقامات

اظنه لدمك الجن

بيقا الله اياما اشبه حسنها وقد ذهبت بطل من العيش ممدود

بنظم ابن مقلة ونثر ابن [illegible] ودولة محمود

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kitabı: Esat ef.
Yeni Kayıt No.:
Eski Kayıt No.: 3003

٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدئ النعم اولا واخرا ومسديها الا باطنا وظاهرا
الذي فطر الانسان بحكمة ولطفه وركب فيه النطق فبلغ به كمال وصفه
فكان ذلك من اتم الاحسان الذي تميز به عن جميع اصناف الحيوان ولولا
فضله لما ورد في القرآن المجيد مقرونا بالاخراج من العدم الى الوجود
فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * نحمده على تراد
الآيه وتعاديها والتحاورا ليها بعاديها حمدا يكون بالزيادة ضمينا
وبايلا الخيرات قمينا ونصلي على رسوله محمد الصادع بامره الفائز بدينه
في سره وجهره وعلى اله مصابيح الايمان وذخره واصحابه ملاذ الاسلام
وذخره * اما بعد فلما كان تاليف الكلام مما لا يوقف على غوره
ولا يعرف كنه امره الا باطلاعه على علم البيان الذي هو لهذه الصناعه
بمنزله الميزان احببت حين شدت بندة من الكلام المشهور الى معرفه هذا
العلم المذكور شرعت عند ذلك في تطلبه والبحث عن تصانيفه ودرسه فلم
اترك في تحصيله سبيلا الا نهضت ولا غادرت في ادراكه بابا الا ولجته
حتى اتيح عبدي بادية وخافيه وانكشفت لي اقوال الائمه المشهورين فيه
كابي الحسن علي بن عيسى الرماني وابي القاسم الحسن بن بشر الامدي وابي عثمان
الجاحظ وقدامه بن جعفر الكاتب وابي هلال العسكري وابي يعقوب يوسف
بن عامر المعروف بالخريمي وابي محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي وغيرهم ممن له
كتاب يشار اليه وقول يعتمد الخاطر عليه ثم لما مضى على ذلك ملاوه من الدهر
وانقضى دونه برهه من العمر لمحت في اثنا القرآن الكريم من هذا النحو
اشياء طريفه ووجدت في مطاويه من هذا النوع نكاتا دقيقه لطيفه فعرضتها

عند ذلك على الاقسام التي ذكرها وآلا العلماء وشرحوها والاصناف التي
بينوها في تصانيفهم واوضحوها فالفيتهم قد غفلوا عنها ولم ينبهوا
على شيء منها فتل ذلك باعثا لي على تصفح ايات القرآن العزيز والكشف عن سره
المكنون فاستوحيت منه حينئذ للمبين ضربا من علم البيان لم ياب بها احد
من اولئك العلماء الاعيان وكان ما اطرقت به اصل هذا الفن وعمدته
وملاصه هذا العلم وزبدته فحين احرزت هذه الفضيله وحصلت عندي
هذه العقيله احببت ان افرد لها كتابا واقصائها فيه اقساما وابوابا ليكون
مقصورا على شوارد هذا العلم وغرائبه ودروزه الخفيه وعجائبه ولجعله
مولف الكلام راس بضاعته ويعلم به مواقع الصواب في صناعته فلما شرعت في
تاليفه وبدات بايضاح القول فيه وتحقيقه عاودني النظر في تصانيف
العلماء المذكورين والتبصر في اقوال ائمه هذه الصناعه المشهورين ففتح لي عند
ذلك لطايف رايقه ونوادر حسنه فايقه لم اشاهده لما عينوه والمشيده
لما نهضوا عليه وعنوه فلما ترك قولا من اقوالهم كالله من غير زياده او وضعها
في خلاله فصار هذا الكتاب لعوامض علم البيان ميسما ولما ذكره ارباب هذه
الصناعه وما لم يذكروه متمما فاوردت في صدره ما يجب على مولف الكلام علمه
وينبغي له معرفته وفهمه ثم شفعت ذلك بذكر الفصاحه والبلاغه ووصفت
الكلام فيهما بمن احسن الصياغه فاوضحت ما اشكل من طريقتهما وبينت
اقوال العلماء في حقيقتهما مما اضفته الى ذلك من زياداتي مما ساسده واحوارا
واجبه ثم شرحت بعد ذلك جميع انواع علم البيان واشفيت القول فيها
بحسب الامكان ووسمته بكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام
والمنثور وجعلت مدار الكتاب على قطبين القطب الاول

القطب الثاني في الاشيا الخاصه

وينقسم القطب الاول الى فنين ابواب الفن الاول فيما
يجب على مؤلف الكلام الابتدا به وهو اربعه

الباب الاول
في الادب التاليف

الباب الثاني
في ادوات

الباب الثالث
في الطريق الى صناعه النثر والنظم

الباب الرابع
في الحقيقه والمجاز

الفن الثاني في الكلام على الالفاظ والمعاني
وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم وهو ثلثه ابواب

الباب الاول
في الالفاظ المفرده والمركبه وهو قسمان

الباب الثاني
في الكلام على المعاني

الباب الثالث
في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم

القطب الثالث وفيه فنان

الفن الاول في الفصاحه والبلاغه

الباب الاول
في الصناعه المعنويه

الباب الثاني
في الصناعه اللفظيه

وينقسم الباب الاول الى تسعه وعشرين نوعا الاول في الاستعاره الثاني
في التشبيه الثالث في شجاعه العربيه ونوع اقسام الرابع في الايجاز
وهو قسمان الخامس في الاطناب السادس في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل
السابع في الكنايه والتعريض الثامن في استعمال العام في النفي والخاص
في الاثبات التاسع في التفسير بعد الابهام العاشر في التعقيب الصدري
الحادي عشر في التقديم والتاخير الثاني عشر في عطف المظهر على ضميره
الثالث عشر في التلخيص والاقصاء الرابع عشر في المبادي والافتتاحات
الخامس عشر في قوه اللفظ لقوه المعنى السادس عشر في حد الايجاز والمخاطب
السابع عشر في الاشتقاق الثامن عشر في الحروف العاطفه والجارة التاسع
عشر في التكرير العشرون في مناسب المعاني من المقابله والتقسيم والتفسير
الحادي والعشرون في الخطاب بالجمله الفعليه والخطاب بالجمله الاسميه الثاني
والعشرون في لام التاكيد الثالث والعشرون في الاقتصاد والافراط والتفريط
الرابع والعشرون في المعاطله الخامس والعشرون في التضمين السادس والعشرون
في الاستدراج السابع والعشرون في الارصاد الثامن والعشرون في التوشيح
التاسع والعشرون في الاحد والسرعه وتقسيم الباب الثاني الى سبعه انواع
الاول في السجع والازدواج الثاني في الجنس الثالث في التوضيح الرابع في

لزوم ما لا يلزم الخامس في الموازنه السادس في اختلاف صيغ الالفاظ السابع
في تغيير الحروف وسنذكر حمد الله الابواب والانواع عند ذكرها ان شاء الله تعالى

الباب الاول

من القول الاول من القطب الاول في الات التاليف اعلم ان صناعه تاليف
الكلام من المنثور والمنظوم تحتاج الى اسباب كثيره والات جمه وذلك
بعد ان يرتب الله تعالى في الانسان الطبع القابل لذلك المحبب اليه فانه متى لم يكن
ثم طبع لم يفد تلك الالات شيا البته فمثل الطبع بمثل النار الكامنه في الزناد
ومثل الالات كمثل الحراق والحديده التي يقدح بها الا ترى انه اذا لم تكن في الزناد
نار لا تفيد ذلك الحراق ولا ذلك الحديده شيا الا ان الطباع القابله للعلوم
مختلفه الاجناس فمنها ما يكون قابلا لعلم الادب كالنحو والتصريف وغيرهما ومنها
ما يكون قابلا للعلوم الدينيه كاصول الفقه واصول الدين وما جرى هذا المجرى
ومنها ما يكون قابلا للعلم الرياضي كالحساب والهندسه ومنها ما يكون قابلا لغير
ذلك كالصنايع والحرف وقد توجد في الطباع ما يكون قابلا لجميع العلوم
ومن ادل الدليل على اختلاف الطباع وتباينها اما ترى مولف الكلام يكون تاره
مولفا مطلقا ويعني بالمطلق انه يكون عارفا بصناعه المنظوم من الكلام والمنثور
ويكون تاره مولفا غير مطلق ويعني بغير المطلق انه يكون عارفا باحد هذين
القسمين دون الاخر وهو مع ذلك عالم بجميع الات التاليف نظما ونثرا فالنحو
المولف المطلق ولا فرق فاذا اراد الله تعالى في الانسان الطبع القابل لمعرفه تاليف
الكلام على الاطلاق فيحتاج حينيذ الى تحصيل الالات التي يخرج بها ما في القوه
الى الفعل وهي خمسه الات التاليف في قسمي الاول يشترك فيه النظم والنثر وهو
تسعه انواع الاول معرفه علم العربيه من النحو والتصريف والادغام الثاني

معرفه ما يحتاج اليه من اللغه الثالث معرفه امثال العرب وايامهم الرابع الاطلاع
على القوافي من تقدمه من اهل هذه الصناعه المنظوم منه والمشهور والتحفظ
الكثير من ذلك الخامس معرفه الاحكام السلطانيه من الامامه والاماره والقضاء
وغير ذلك السادس حفظ القران الكريم والممارسه لغرايبه والخوض في محور
عجايبه السابع حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الوارده عن الرسول صلى الله عليه وسلم
واما القسم الثاني فانه مختص النظم دون المنثور وذلك
علم العروض والقوافي الذي يقام بها ميزان الشعر ولنذكر بعد ذلك فايده
كل نوع من هذه الانواع لنعلم ان معرفته مما يمس الحاجه اليه **فمقول**
اما علم النحو وهو الذي يستقيم به معاني الكلام ويصان عري اللفظ عن
الاخلال والانقصام ولولا ذلك لفسدت معانيه واختلت مبانيه ولنضرب
لهذا مثالا نوضحه **فمقول** لو قال لنا قايل ما احسن زيد ولم
يبن الاعراب في ذلك لما فهمنا غرضه من هذا القول اذ يحتمل ان يريد به التعجب
من حسنه ويحتمل ان يريد به الاستفهام عن اي شي فيه احسن ويحتمل ان يريد به
الاخبار بنفي الاحسان عنه ولو بين الاعراب في ذلك فقال ما احسن زيدا وما احسن
زيد علمنا غرضه وفهمنا معنى كلامه لانفراد كل قسم من هذه الاقسام الثلثه بما
يعرف به من الاعراب فوجب حينيذ على المولف هذا الدليل معرفه النحو اذ كان
ضابطا لمعاني كلامه حافظا لها من الاختلالات فان قيل اما علم النحو فسلم
اليك انه يجب على مولف الكلام معرفته لان التصريف والادغام لا حاجه به اليهما
لان التصريف انما هو معرفه اصل الكلمه وزيادتها وهذا لا يضر مولف الكلام
جهله ولا ينفعه معرفته ولنضرب لذلك مثالا ليتفق **فمقول**

اذا قال القايل رايت سرداحا لا يلزمه ان يعرف الالف في هذه الالفاظ
زايده هي ام اصلا لان العرب لا تنطق بها الا كذلك ولو قال سرداح بغير الف
لما جاز لاحد ان يزيد الالف فيها من عنده فمقول سرداح فعلم بهذا ان مولف
الكلام انما ينطق بالالفاظ كما سمعها من العرب من غير زيادة فيها ولا نقصان
وليس عليه بعد ذلك ان يعرف اصلها ولا زيادتها لان ذلك امر خارج عما نقتضيه
صناعته وكذلك الادغام فانه اذا قال القايل مررت برجل صف الحال لا يلزمه ان
يعلم ان الاصل في صف صفف وان هذه الكلمه انما ادغمت لكونها مثلين
عينا ولاما ولاجل انها على وزن الفعل لان ذلك لا يجب عليه علمه ولا يضطر الى معرفته
البته وذلك لانه انما ينقل هذا وامثاله عن العرب فالذي يسمع انهم قد تكلموا
به بحدوحده وهم فيه من غير ان يتصرف شيء من عنده فان مولف الكلام لم يسمع ان
العرب قالوا رجل صف الحال فقال هو صفف الحال ولا سمع انهم قالوا صفف
الحال فقال هو صف الحال وانما تكلم بما سمعه عن العرب من غير زيادة فيه ولا
نقصان **الخوانساري** عفى عنه لذلك انا نقول اعلم انا لم نجعل معرفة
التصريف والادغام ضرورين على مولف الكلام لمعرفة النحو لان المولف اذا كان
عارفا بالمعاني محتاجا اليها قادرا على الالفاظ محيطا بها ولم يكن عارفا بعلم النحو
فانه يفسد ما يصوغه من الكلام ويحمل عليه ما يقصده من المعاني كما ارشدناك في
ذلك بالمثال المتقدم **واما التصريف** والادغام فعلى المولف اذا لم
يكن عارفا بهما لم يفسد عليه معاني كلامه وانما يفسد عليه الاوضاع وان
كانت المعاني صحيحه مفهومه وسياتي بيان ذلك في تحرير الجواب **فقول** اما
قولك ايها المترخص ان التصريف والادغام لا حاجة لمولف الكلام اليهما

فلا حاجة لك الى هذا الذي ذكرته من هذين المثالين اللذين ضربتهما فان ذلك لا
سيظهر لك الكلام فيه البته **اما التصريف** وتملك اياه بلفظه
سرداح وقولك ان المولف لا يحتاج الى معرفة الالف التي فيها زايده هي ام اصلا
لانه ينقلها عن العرب على ما هي عليه من غير زياده ولا نقصان فان ذلك لا يطرد
الا فيما هذا سبيله من نقل الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال من
الاحوال فاما اذا اراد المولف تصغيرها او جمعها او النسبه اليها فانه اذا لم يعرف
الاصل في حروف الكلمه وزيادتها وحذفها وابدالها فصل عن السبيل ويصير
عليه محال المطاعن والعايب الا ترى انه اذا قيل للنحوي وكان جاهلا بعلم
التصريف كيف تصغير اضراب فانه يقول ضريب ولا ملام على جهله بذلك
لان الذي يقتضيه صياغه النحو قد اتى به وذلك ان النحاه يقولون في كلامهم اذا كانت
الكلمه على خمسه احرف وفيها حرف زايد ولم يكن حذفه نحو قولهم في منطلق
مطيلق وفي حمرش حميمر فلفظه منطلق على خمسه احرف وفيها حرفان
زايدان هما الميم والنون الا ان الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف وحذفت
النون واما لفظه حمرش فخماسيه لا زياده فيها وحذف منها حرف ايضا ولم يعلم
النحوي ان علما النحو انما قالوا ذلك مهملا اتكالا منهم على تحقيقه من علم التصريف
لانه لا يلزمهم ان يقولوا اني في كتب النحو اكثر مما قالوا وليس عليهم ان يذكروا في
باب من ابواب النحو شيئا من التصريف لان كلا من النحو والتصريف علم منفرد براسه
غير ان احدهما مرتبط بالاخر ومحتاج اليه وانما قلنا ان النحوي اذا سيل
عن تصغير اضراب ضطيريب لانه لا يخلو اما ان يحذف من لفظه اضطراب
الالف او الضاد او الطا او الراو او الباء وهذه الحروف المذكوره غير الالف ليست من
حروف الزياده فلا يحذف بل الاولى ان تحذف الحرف الزايد وتترك الحرف الذي

ليس بزايد فلاجل ذلك قلنا ان النحوي يصغر لفظه اضطراب على ضطيرب في حرف
الالف التي هي حرف زايد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة واما ان يعلم النحوي
ان الطائي اضطراب مبدله من ياء واذا اراد تصغيرها يعادل الاصل الذي كانت
عليه وهو الواو فيقال صتيوب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وليس النحوي
الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كما ليس معرفة علم العدد فثبت بهذا
الدليل الذي ذكرناه ان مؤلف الكلام يحتاج الى علم التصريف ليلا يغلط في
مثل هذه الامكنة ويستوجب عند ذلك المذمة والعيب ومن العجب ان يقال ان
مؤلف الكلام لا يحتاج الى معرفة التصريف الم تعلم ان نافع بن ابي نعيم وهو من
اكبر القراء السبعة قدر او الجمهم شانا قال في معايش معاين ما الهمز ولم يعلم
الاصل في ذلك فاحد عليه وعيب من اجله ومن جمله من عابه على ذلك عثمن المازني
فقال في كتابه في التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية وكثيرا ما يقع اولو العلم
في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الاعمار الذين لا خبرة لهم بها ولا اطلاع لهم
عليها واذا ازل المؤلف عارفا بحقيقة الامر في ذلك لا يقع في ورطة يؤخذ عليه
وهذه لفظة معايش لا يجوز همزها البتة باجماع من علما العربية لان الياء فيها
ليست مبدلة من همزة وانما التا التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع هو زيادة
الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد لا يكون عساكر وسفائن وفي هذا
الموضع غلط نافع لاشك اعتقد ان معيشة بوزن معلية وجمع فعيلة فعايل
ولم ينظر الى ان الاصل في معيشة معيشة على وزن مفعلة وذلك ان اصل هذه
الكلمة من عاش التي اصلها عيش على وزن فعل ولزم مضارع فعل المعتل
العين الالف نحو يعيش ثم نقل حركة العين الى الفا صير يعيش ثم
بني من يعيش مفعول فقيل معيوش به كما يقال مستورية ثم خفف ذلك

6

بحذف الواو فقيل معيش كما يقال مسير به ثم يوسع هذه اللفظة فيصير معيشة
فاعرف ذلك وقس عليه وها هنا نكتة اخرى وهي من اعظم الاسباب الموجبة
لتعلم لمعرفة علم التصريف وذلك ان المفعل من الكلام اذا بني من ما صيغته مستقبل
يجهل مواقع الصواب فيه اذا لم يكن المؤلف عارفا بعلم التصريف مثال
ذلك اذا اراد المؤلف ان يبني من وزن فعل المعتل فاوه بالواو مستقبلا فان
كان جاهلا بذلك قال في وعد يوعد قياسا على الصحيح في ضرب يضرب وان كان
عالما به حذف الواو ولو قعها بين ياء وكسره فقال وعد يعد ولذلك اذا اراد
ان يبني من وزن فعل او وزن فعل المعلى الفا بالواو مستقبلا فانه ان كان جاهلا
بذلك ازداد قد سمع بعض العلما يقول في وعد يعد حمل فعل وفعل على ذلك
الاسلوب فقال في رحل يرحل وفي وضؤ يضؤ وكثيرا ما يقع الخطا في تصريف
الكلام المعتل من الماضي الى المستقبل وهو موضع من العربية وعر المسلك
فينبغي لمؤلف الكلام مراعاته والاعتنا به وامثال هذا كثيرة فاعرفها

واما الادغام وقولك ان المؤلف لا يحتاج الى معرفته واستدلالك
على هذا بما ذكرته من المثال وهو قولك مررت برجل ضف الحال فان ذلك لا يسلم
الا في هذه الصورة وما جرى مجراها من نقل الالفاظ على هيئتها ومن شرط
الامثلة ان يكون متابعة في جنسها ولضرب لذلك مثالا لتتفق فتقول
اذا قال النحوي في تعريف الحال انها هيئة الفاعل والمفعول وهي نكرة منصوبة
مشتقة او في تقدير المشتقة ياتي بعد معرفة وحسن تقدير في معها وسوال
لتتفق ثم مثل ذلك بقوله جاز يد راكبا فلا يجوز ان يكون هذا المثال
غير مطرد في جنسه لانه لو لم يكن مطردا في جنسه لما جاز ان يجعل مثالا لما تقدمه
من هذه المصادر ولذلك هذا المثال الذي مثلته ما ادعيته في الادغام

فانه ليس شايع في جنسه وبيان ذلك انا نقول قد ورد عن بعضهم هذان البيتان وهما

اذ هبي في ملاءة الرحمن ات مني في ذمة وامان

ترهبيني والحيد منك للبلي والحشا والنعام والعينان

فماذا هو لهذا الشاعر اذا سئل عن قوله ترهبيني وقيل ان الاصل في ذلك ترهبنني فلم قلت انت ترهبيني بحذف احد النونين فلا احد يستطيع الجواب عن ذلك الا ان يكون عارفا بالادغام وهو ان يقول اذا كان المثلان في كلمتين وقبلهما ساكن وهو حرف مد ولين يجوز ادغام احدهما في الاخرى لما وجد هذا السبب في ترهبيني ادغمت احدى النونين في الاخرى ثم حففت الادغام فصارت ترهبيني فبحسن حسنيد على مولف الكلام بهذا الدليل معرفة

واما النوع الادغام ليسلم من اعتراض معترض او بعنت متعنت الثاني وهو قولنا ان المولف يحتاج الى معرفة اللغة ولسنا نعني بذلك الا ما كان مالوفا مستعملا او لابن اربابها هذه الصناعة وسياتي ذكر ذلك في كتابنا هذا او يحتاج المولف ايضا الى معرفة عدة اسماء لما تقع استعماله في النظم والنثر لنجد اذا ضاق به موضع في كلامه بايراد بعض الالفاظ فيه المعدول عنه الى غيره مما هو في معناه وكذلك يحتاج الى معرفة الاسماء المشتركة لنستغني بها على استعمال التجنيس في كلامه واعلم ان هذا الموضع ينبغي ان يذكر فيه الاسماء الستة وانقسام دلالاتها على المعاني فان المولف اذا كان عالما بذلك بهو مما لا يستغني عنه في قبول الالفاظ بتقسيم دلالاتها على المعاني سنة اقسام مترادفة ومشتركة ومتباينة ومتواطية ومشككة ومتشابهة ○

فاما الثلاثة الاول التي هي المترادفة والمشتركة والمتباينة فيحتاج مولف الكلام الى معرفتها وانما اوجبنا عليه معرفة الاسماء المتباينة لان

منها ما يوهم انه من المترادفة وليس كذلك **واما الثلاثة الاخر** التي هي المتواطية والمشككة والمتشابهة فانه لا يحتاج مولف الكلام الى معرفتها لان وجودها في التاليف لا ينتج فايدة تذكر كالمترادفة والمشتركة وما شابهها المترادفة من المتباينة وانما ذكرنا هذه الثلثة الاخر هاهنا لتكون قد استوفينا جميع اقسام الاسماء في كتابنا هذا فاعرفها

فاما الاسماء المترادفة فهي المختلفة الدالة على معنى يندرج تحت حقيقة واحدة كالخمر والراح والعقار فان الاسماء المسمى بهذه الاسماء شيء واحد وهو الشراب المسكر المعتصر من العنب **واما** الاسماء المشتركة فهي اللفظ الواحد المطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة اطلاقا متساويا كالعين فانها تطلق على العين الباصرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وكل من هذه الثلثة مختلف بالحد والحقيقة **واما** المتباينة فهي الاسماء المختلفة الدالة على معاني مختلفة كالفرس والحمار والجدار وغير ذلك وقد توجد من المتباينة ما يوهم انه من المترادفة وليس كذلك وهو ان يجد الموضوع وتتعدد الاسم بحسب تباين اعتبارات فمن ذلك ان يكون احد الاسمين له من حيث هو موضوعه والاخر من حيث هو صفة له كقولنا السيف الصارم فان الصارم دل على موضوع لصفة الحدة وذلك بخلاف ما دل عليه السيف لانه موضوع باز اهذه الالة كيف كانت ومن ذلك ان يكون احد الاسمين له بسبب وصف والاخر بسبب وصف الوصف كقولنا الناطق والفصيح فان الفصيح وصف الناطق الذي هو وصف الانسان **واما** الاسماء المشواطية فهي الدالة على اعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها كدلالة اسم الحيوان على الانسان والفرس والحمار لانها مشتركة في الحيوانية والاسم موضوع

باز اذ لك المعنى المشترك المتواطي واما المشكك فهو كل اسم دل
على شيئين فصاعدا بمعنى هو واحد في نفسه لكن يختلف ذلك المعنى فيهما من
جهة اخرى كالمقدم والمتاخر والاسد والاضعف **اما**
المقدم والمتاخر فكالوجود للجوهر قبل العرض **واما** الاسد
والاضعف فكالبياض الواقع على الثلج والعاج فان الثلج اشد بياضا من العاج
واما المشابهة فهي الاسماء التي لا يجمعها معنى واحد لكن بينها مشابهة ما امر
حيث دانها كالطير المصور على صورة الانسان اذ يطلق لفظ الانسان
عليه وعلى الانسان الحقيقي بطريق المشابهة لا بطريق التواطي لانهما مختلفان
في الحد والحقيقة هذا ما ينبغي ذكره في الاسماء وانقسامها في الدلالة على
المعاني فاعرفه **واما النوع** الثالث فهو معرفة امثال العرب واياميهم
لان مولف الكلام شديد الحاجة الى ذلك وذلك ان العرب لم تضع الامثال
الا بابا وجبتها وحوادث افضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور
عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء وليس في كلامهم او جزمنها ولا اشد
احتصارا او سبب ذلك ما اذكره لك لتكون من معرفته على يقين فاقول
قد جاء عن العرب من حمله امثالهم ان بيغ عليك قومك لا بيغ عليك القمر وهو
مثل يضرب للامر الظاهر المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد انه بلغنا
ان بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر لبلة اربع عشرة
من الشهر فقالت طايفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طايفة بغيب القمر قبل
ان تطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه بينهم حكما فقال واحد منهم ان قومي مغول
على فقال له الحكم ان بيغ عليك قومك لا بيغ عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم
ان قول القايل ان بيغ عليك قومك لا بيغ عليك القمر اذا اخذ على حقيقته من غير

نظر الى القرائن المنوطة والاسباب التي فعل لاجلها لا بعني من المعنى ما قد
اعطاه المثل وذلك لان المثل له مقدمات واسباب قد عرفت
وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم وحيث فان الامر لذلك جاز
ايراد هذه الالفاظ في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المعلومة
والاسباب المعروفة لما فهم من قول القايل ان بيغ عليك قومك لا بيغ عليك القمر
ما ذكرناه من المعنى المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد البتة لان
البغي هو الظلم والقمر ليس من شانه وعادته ان يظلم احدا فكان يصير معنى
المثل اذا كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهذا لا يحل المعنى ليس بمستقيم
فلما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني يلوحا صارت
من اوجز الكلام واكثره احضارا وحسبك بهذه المشابهة فلا ينبغي لمولف
الكلام ان يحل بها **واما** ايام العرب فانها تتنوع وتشعب فمنها
ايام فخار ومنها ايام محادثة ومنها ايام مدح وعار ومنها غير ذلك ولا يخلوا
المولف من الاعتناء بوصف يوم مر به في بعض الاوقات سببها بذلك وجرا مثلا
له فاذا جاء بذكر بعض تلك الايام المناسبة لمراده الموافقة له وقاس عليه يومه
فقال اشهر من يوم كذا او اسير او افضل وما جرى هذا المجرى فانه يكون
في غاية الحسن والرونق وهذا لا خفاء به **واما النوع** الرابع وهو
الاطلاع على كلام المقدمين من المنظوم والمنثور فان فيه للمولف
فوايد جمة وذلك ان يعلم منه اعراض الناس ونتايج افكارهم ويعرف مقاصد
كل فريق منهم الى اين ترامت به صنعته في ذلك فان هذه الاشياء مما تسحد القريحة
وتذكي القطنة واذا المولف عارفا بها صير المعاني التي ذكرها ارباب هذه
الصناعة ونعبوا في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه ما خذ منه ما اراد ويتوصل

ما اراد وايضا فانه اذا كان مطلعا على المعاني المسبوق اليها قد يسفح له من سنا
معنى غريب لم يسبق اليه ومن المعلوم ان خواطر المولفين وان كانت متفاوتة
في الجودة والرداءة فان بعضها لا يكون عاليا على بعض او سخطا منه شئ يسير
وكثيرا ما تتساوى القرائح والافكار في الاتيان بالمعاني حتى ان بعض المولفين
قد ياتي بمعنى من المعاني مصوغا بلفظ ما ثم ياتي الاخر بعده بذلك المعنى
واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به المولف الاول وهذا هو الذي
سميه ارباب هذه الصناعة وقع الحافر على الحافر كقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقول طرفة بن العبدي البحري

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وسياتي لذلك باب مفرد في كتابنا هذا **واما النوع** الخامس وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضا وغير ذلك فانما اوجبنا على مولف الكلام معرفتها والاحاطة بها لانه قد يحدث في الامامة حادث في الاوقات بعض او يجري فيها امر من الامور مثل موت الامام القايم من المسلمين ثم تتولى من بعده من لم تتكامل فيه شرايط الامامة ويجوز كما يجل الشرايط غير ان الامام الذي كان قبله عهد بها الى اخر غيره وهو ناقص الشرايط او يكون قد تنازع الامامة شخصان ويجوز ارباب الحل والعقد قد اختاروا اماما وهم غير كاملي الشرايط التي يجب ان يوجد فيهم او يجوز امر غير ما ذكرنا فيختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من ملوك الارض له عناية بالامام فيقام للمسلمين ويقدم الى كاتبه كتاب في معناه الى الاطراف المخالفة له واذا لم يعرف الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم في هذه

الحوادث واختلاف اقوال العلما فيها وما رخصة في ذلك وما ليس برخصة
فانه لا يكتب كتابا ينتفع به البتة ولسنا نعني بهذا القول ان يكون الكاتب
مقصورا على فقه محض فقط لانا لو اردنا ذلك لكنا نحتاج الى كتبة كتاب
بل كنا نقتصر على ايجاد مصنف من مصنفات الفقه عوضا عن الكتاب الذي
نريد ان نكتبه وانما قصدنا بذلك ان يكون الكاتب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملا
على الترغيب والترهيب والسماح في موضع المحافقة في موضع مشحونا بذلك
بالنكت الشرعية التي يليق به ويناسبه كما فعل الصابي في الكتاب الذي كتبه
عن عز الدولة بن بويه الى الطايع لامات المطيع فانه من محاسن الكتب التي
كتب بها في هذا الفن **واما** النوع السادس وهو حفظ القران
الكريم والاطلاع على غرايبه وعجايبه وان مولف الكلام ينبغي له ان
يكون عارفا بذلك لان فيه فوايد كثيرة ومنافع زايدة منها انه يضم كلامه
الايات في اماكنها اللايقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما
يصير الكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق كما فعل الشيخ الخطيب عبد
الرحيم بن نباته في خطبه فانه بدع تضمين الايات فيها وسياتي بيان ذلك في باب
التضمين ومنها ان المولف اذا عرف مواقع البلاغة واسرار صناعة الكلام
في تاليف القران الكريم لمحه بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها في
مطاوي كلامه والقي القران الكريم وحده الى المولف الكلام فعليك ايها
المترشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره الخفي وغامض علمه المستور
فانه بحار للمولف لا تبور ومنبع لا يغور وكنز يرجع اليه وذخر يعول في
جميع كلامه عليه **واما** النوع السابع وهو حفظ اخبار الرسول
صلى الله عليه وسلم مما يحتاج مولف الكلام الى استعماله فان الامر في ذلك

القسم الثاني

بحري بجري القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فاعرفه القسم الثاني
وهو ما للناظم دون الناثر وذلك معرفة العروض وما يجوز فيه من الزحاف
وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه والسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لان النظم يعلمه
فان النظم مبني على الذوق لو نظم مقطع الاقا بعيل الجاشعره متكلفا غير
مرضي وانما اريد للشاعر معرفة العروض لان الذوق قد يسمو عن بعض الزحافات
ويكون ذلك جائزا في العروض وقد ورد للعرب مثله واذا كان الشاعر غير عالم
به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وبين ما لا يجوز وكذلك ايضا يحتاج الشاعر
الى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح
من ذلك فاذا اتم مؤلف الكلام معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع مجيب وقريحة
سوانية فعليه بالنظر في كتابنا هذا المتدبر لمشكلاته والصفح لما
اودعناه من حقايق علم البيان وسنا عليه من اصول ذلك وفروعه

الباب الثاني من القسم الاول

من القطب الاول في ادوات التاليف

اعلم ايها المنتصب لهذه الصناعة انه يجب عليك اذا اردت ان تؤلف شيأ من الكلام
مشورا اذ او منظوما ان تاخذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها
لك فان قلبك تلك الساعة احرى عليك بما يعطيك نومك بالكد والمطاولة
واياك والتوعر فانه يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك المعاني
ويشين الفاظك وسنبين لك فيما ياتي من هذا الكتاب ما تتوقى به ذلك واذا
حاولت امرا بديعا فالتمس له لفظا تناسبه فانه جدير بالمعنى الشريف ان يكون
لفظه سريعا واذا وجدت ذلك فهو الدرجة التي لا مدورها والمنزلة التي لا

معنى

مطلع ومقطع وعليك بتنقيح الالفاظ وتحسينها فان الخطب الرابعة والاشعار
البارعة لم يعمل لافهام المعاني فقط لانه لو قصد بها الافهام فقط لكان
الردي من الالفاظ يقوم مقام الجيد في الافهام وانما عملت الخطب والاشعار
لاجل الاتيان ببداعة اللفظ واحكام صنعته ولسنا نعني بذلك ان يجعل
المولف همته مقصوره على تجويد الالفاظ ويهمل المعاني المنوطة تحتها
وانما المعني به ان يكون المعاني المقصوده ذات الفاظ حسنه رايقه وستدرك
معرفة اللفظ الجيد من الردي والفرق بينهما فيما ياتي من كتابنا هذا
واعلم ان المعنى هو عماد اللفظ واللفظ هو زينة المعنى والمعاني بمنزلة
الارواح والالفاظ بمنزلة الاجساد فاول ما يجب على المتكلم ان لا يولف
كلامه من الفاظ رديه وان الفه من الفاظ جيده حسنه فانه لا يكون
لها مزيه ورونق الا بابداعها معنى شريفا واضحا لان الالفاظ لا تراد لانفسها
وانما تجعل ادلة على المعاني فاذا عدمت الذي يراد منها لم يبعد لها
بالاوصاف التي تكون لها الا ترى قولك فعولن مفاعل فعولن مفاعلن

لبسته بن الحلاوه والرونق ما قولك

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت بها زينب في نسوه خفرات

وذلك الحلاوه بن المعنى المفهوم وهذا مما لا احتاج فيه الى زيادة في القول
لبيانه ووضوحه ومن المعلوم ان جماعة العقلا الخاصه والعامه يعرفون
المعاني ويصيبون فيها الا انهم لا يقدرون على ابرازها في الباس انيق
متاسب لها لعدم الطبع المجيب الى ذلك الا ترى انه حكي عن المبرد وهو من
اكبر علما العربيه واعلمهم شانا وصاحب قول ومذهب انه قال لا احتاج
الى وصف عتبى لعلم الناس بانه ليس يخلج في قلبه مسله مشكله الا القى بها

واعدي لها فانا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى علي شيء من
الشعر والنحو والكلام المنثور من الخطب والرسايل وربما احتجت الي
اعتذار من قلة الي بعض الاصدقا او التماس لحاجة فاجعل المعنى الذي اقصده
نصب عيني ثم لا اجد سبيلا الي التعبير عنه بما ارتضيه ولقد بلغني ان
عبد الله بن سليمن ذا بني يحيل فحاولت ان اكتب اليه رقعة اشكره فيها
واعرض بعض اموري فانقبضت نفسي يوما في ذلك فلم اقدر علي ما ارتضيه
فكنت احاول الافصاح عما في ضميري فحرف لساني الي غيره فاذا كان هذا
قول المبرد مع علو منزلته وارتفاع قدره فما ظنك بمن لم يستشق
رايحة هذه الصناعة ولذلك قيل زيادة المنطق على الادب خير من زيادة
الادب على المنطق لان زيادة المنطق على الادب خدعة وزيادة الادب
على المنطق فجنة فاعرف وقس عليه ولاجل تجويد الالفاظ وتقديمها
كان الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة بعد
الفراغ من معانيها يشتغل بتنقيح الفاظها والتانق في تجويدها
لدلك بذلك على براعته والتقدم في صناعته ولو كان قصدها والقوم
انفهام المعاني فقط اطرحوها ونحوا الذا كثيرا واسقطوا
عن انفسهم تعبا زايدا فينبغي لمؤلف الكلام حينيذ ان تكون الفاظه
رشيقة لا يقع متصفة بالصفات التي نردد ذكرها في هذا الكتاب وتكون
معناه صوابا فيما قصد له واذا كان حسن التاليف لا يوانيك ولا تصل
قدرتك اليه وتجد اللفظة لا تقع موقعها ولا تصير الي مرتبتها ولا
يتصل سلكها وكانت قلقة في مكانها نافرة عن موضعها فلا يزعجها
علي اجتناب الاماكن والنزول في غير مواطنها فاذا لم تتعاط

صناعة التاليف من المنظوم والمنثور لم يعمل على ذلك احد ولو تكلفت
ذلك ولم يكن حاذقا به ولاحماله استحقت عند العيب واستوجبت
الذم وجعلت نفسك عرضا لسهام الملام وان كانت قريحتك لا تسمح لك
وتقضي عليك بعد احاله الفكر واطاله النظر فلا تعجل واتل بفساد
في بادي الحاله ثم عاود امرك عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم
الاجابة من خاطرك والموافاة ان كان للطبع نصيب واعلم انه
ينبغي ان تستعمل في كتابك ان كنت كاتبا مخاطبة كل فريق من الناس على
قدر طبقتهم وقوتهم في الفهم والدليل على ذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اراد ان يكتب الى اهل فارس كتب اليهم ما يكتبهم ترجمته
وهو من رسول الله الي كسري ابروين عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى
وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله واني رسول الله الي الناس كافة لينذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم وان ابيت فاسم المجوس عليك
الا ترى كيف سهل عقده الالفاظ غايه التسهيل بحيث انها لا تخفى على
من له ادنى شبث بلغه العربيه ولما اراد ان يكتب الى قوم من العرب
خاطبهم على قدر قوتهم وعاداتهم لسماع مثله فكتب لوايل بن حجر من
محمد رسول الله الي الاقيال العباهله اهل حضرموت باقام الصلاه وايتا
الزكاه على السعه الشاه والبعير لصاحبها وفي السنون الخمس خلاط
بلا وراط ولا ساق ولا سعار ومن احي قدارين فله مسكر حرام فانظر
ايها المتامل لهذا الكلام كيف خاطب هولا القوم بالضد مما خاطب
لاهل فارس وليس سبب ذلك الا ما ذكرناه من مخاطبة كل فريق

من الناس على قدر معرفتهم وفهمهم فاعرف ذلك وقس عليه

الباب الثالث من الفن

الاول من القطب الاول في الطريق الى صناعة النظم والنثر

اعلم ايها المتامل لكتابنا هذا انا مارسنا هذه الصناعة وانينا ها من طرق ليس وابواب متعدده وخبرنا ما ينفع المتدرب من ذلك وما يكون اعون له واحد اعليه واقرب الى تعليمه وافادته فلم نجد ما هو اسهل ماخذا واقرب مشا ولا سوي طريق واجد نحن ذاكروه في هذا الكتاب

فنقول يجب على المتبري في هذا الفن والمترشح له اذا اراد الله عز وجل طبعا مجيبا وقريحه موانيه وكان مستكملا لمعرفه ما يجب على المولف معرفته مما اشرنا اليه في صدر هذا الكتاب ان ياخذ رساله من الرسايل او قصيده من الشعر ويقف على معانيها ويتدبر اوايلها واواخرها ويكرر ذلك في قلبه ثم يحليف نفسه عمل مثلها بما هو في معناها ويتاخذ تلك الالفاظ التي فيها ويقيم عروض كل لفظه منها لفظه من عنده قد قدرها ويودي المعنى المدرج تحتها ولا يزال كذلك حتى ياتي على اخرها ثم بعد فراغه منها يشتغل بتصحيح الفاظها وتجويدها وارتباط بعضها ببعض فاذا استتم عمله انتقل منه الى غيره وفعل فيه مثل فعله اولا ولا يزال على هذا القدم مدمنا في معارضه الرسايل ان كان كاتبا وفي معارضه القصايد ان كان شاعرا حتى يحصل له بذلك الدربه الوافره ويمرن فيحتد عليه ويعتاد خاطره هذا الامر اعتيادا زايدا ولا ينبغي له ان يكون فارغا من ذلك بالقليل ولا راضيا بمعرفه الطريق دون سلوكه اياه مرارا كثيره وخبرته بسهله وحزنه وقربه

وبعيده فاذا تدرب واعتاد وصار له ذلك طبعه وطبعا سرعت عنده المعاني وانقدحت في خاطره فتسهل عليه حينيذ صياغتها وابرازها فيما يليق بها من اللباس وهذا انفع الطرق واكثرها فايده لمن يروم الدخول في زمره الكتاب والشعرا ولا تجد ايها المتصب لهذه الصناعه طريقا يجدي عليك من النفع ما يجديه هذا الطريق فاعرفه

الباب الرابع من الفن الاول

من القطب الاول في الحقيقه والمجاز

اعلم ان الحقيقه هي اللفظ الدال على موضوعه الاصلي وقيل هي اسم مشترك يراد به ذات الشي وحده ويراد به ما استعمل فيما وضع له اللغوي

واما المجاز فهو ما اريد به غير المعنى الموضوع له في اصل اللغه اتساعا وقيل هو ما نقل عن موضوعه الاصلي الى غيره لسبب مشابهه بين محل الحقيقه ومحله في امر مشهور واعلم ان المجاز ينقسم الى اقسام قد اودعنا كتابنا هذا منها ما سنح لنا وهو اربعه عشر قسما

الاول ما حصل للشي لسبب المشاركه في خاصه ما يقال للبليد حمار وللشجاع اسد

الثاني الزياده في الكلام بغير فايده كقوله تعالى فبما رحمه من الله لنت لهم فما ها هنا زايده لا معنى لها اي فبرحمه من الله لنت لهم

الثالث النقصان الذي لا يبطل به معنى الكلام كحذف الموصوف واقامه الصفه مقامه كقوله تعالى ومن يكسب خطيه او اثما ثم يرم به بريا يريد شخصا وكحذف المضاف واقامه المضاف اليه مقامه كقوله واسال القريه اي اهل القريه وللنحاه في ذلك اختلاف قال سيبويه ان القياس ممتنع في حذف الموصوف واقامه الصفه مقامه فلا يجوز في جاني رجل طويل جاني طويل وقال الفارسي

وغيره من علما العربيه القياس جايز في حذف المضاف واقامه المضاف اليه مقامه
وسيبويه لم يصر في ذلك بشي وقال ابو الحسن الاخفش ماره انه مسموع وماره انه
جايز والقوي عنده الاقياس وغيره لا يمنع القياس **الرابع** تسميه الشي
باسم ما يوول اليه كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وانما كان يعصر عنبا
الخامس تسميه الشي باسم مجاوره كقولهم للمزاده راويه وانما الراويه الجمل
الذي يحملها **السادس** تسميه الشي بكله كقولك في جواب ما فعل زيد
القيام والقيام انما هو جنس يتناول جميع انواعه **السابع** تسميه
الشي بحزه كقولك لمن يغضه ابعد الله وجهك عني ويريد بذلك عامه جسده
الثامن تسميه الشي باعتقاده كتسميتهم الاعتقاد قولا نحو قولك
هذا اقول بقول الشافعي اي اعتقد اعتقاده **التاسع** تسميه الشي باسم
اصله كقولك للاديب مصنفه **العاشر** تسميه الشي باسم فرعه ○
كقول الشاعر

وما العيش الا ثومه وتشرق وتمر على راس النخيل وما

سمي الرطب تمرا **الحادي عشر** تسميه الشي باسم ضده كقولهم للاسود
والابيض جون **الثاني عشر** تسميه الشي بمكانه كقولهم للمطر سما لانه ينزل
منها **الثالث عشر** تسميه الشي بفعله كتسميه الخمر مسكرا **الرابع عشر**
بحكمه كقوله تعالى وامراه مومنه ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
الايه سمي النكاح هبه وهذه ضروب المجاز التي وقعت لنا فاعرفها
واما الفرق بينه وبين الحقيقه فهو ان الحقيقه جاريه على العموم
في بعض ما يراه الا ترى انا اذا قلنا فلان عالم لما صدق على كل ذي علم واحد
صدق على كل ذي علم بخلافه واصل القريه لانه لا يصح الا في بعض الجمادات

دون بعض لان المراد اهل القريه لانهم ممن يصح السوال لهم وقد يجوز ان يقال
واسال الجدار او التراب وقد يحسن ان يقال واسال الربع او الطلل واعلم ان كل
مجاز فله حقيقه وليس من ضروره كل حقيقه ان يكون لها مجاز وقد ذكرنا ان
من الاسما قسمين لا مجاز فيهما **الاول** اسما الاعلام لانها
وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات **الثاني** الاسما التي لا عموم
فيها كالمعلوم والمجهول والمدلول وغير ذلك مما اشبهه واعلم انه قد
صار المجاز في تعارف الناس بمنزله الحقيقه بل هو اقرب الى التعريف
من الحقيقه واولى بالاستعمال منها واحق بالافهام لانه لو لم يتركذ للذات
الحقيقه التي هي الاصل اولى منه حتى هو فرع عليها الا ترى الى قوله تعالى
والصبح اذا تنفس ابلغ من ان يقال والصبح اذا انتشر لان التنفس يعطي من الدلاله
ما لا يعطيه الانتشار وذلك لما فيه من سريان الروح عن النفس عند اضاه الصبح
فجعل ظهور الصبح وانتشاره من خلال الليل شيئا فشيئا كالتنفس لان
اول ما يبدو الصباح ثم يبني في انتشاره بالتدريج كاخراج الانسان نفسه
واعلم انه انما يعدل عن الحقيقه الى المجاز لمعان بلغه وهي الاتساع والتشبيه
والتوكيد فان عدمت هذه الاوصاف كانت الحقيقه البته فمن ذلك قوله تعالى
وارد حلناه في رحمتنا الايه فهذا مجاز فيه الاوصاف البلغه المذكوره ○
اما الاتساع فهو انه زاد في اسما الجهات والمحال اسما هو الرحمه
واما التشبيه فانه شبه الرحمه وازم بيع دخولها بما يجوز دخوله
واما التاكيد فهو انه اخبر عما لا يدرك بالحاسه بما يدرك بالحاسه
وذلك ان العالم المخبر عنه وبحيم له او صير الى منزله ما يشاهد ويعاين
الا ترى ان قول بعضهم في الترغيب في الجميل لو رايتم المعروف لرايتموه حسنا جميلا

واما ترغيب بان يدنه عليه وتعظيم من قدره مصور في المنقوش على اشرف احواله
واعلى صفاته وذلك ان الخيل متجسما لا عرضا متوهما واعلم ان المجاز اذا اكثر
حتى الحقيقه وذلك لان اكثر اللغه مجاز لا حقيقه فيه فمن ذلك عامة الافعال
نحو قام زيد وقعد عمرو وجا الصيف وانصرف الشتا الا ترى ان الفعل
نفسه منه معنى الحدث فقولك قام زيد معناه كان منه القيام اي هذا
الجنس من الفعل ومعلوم انه لم يكن منه جميع القيام وانما كون ذلك
وهو جنس يقع على جميع انواعه من الماضي والحاضر والمستقبل الحادثات من كل من
وجد منه القيام فاذا كان الحال كذلك علمت ان قيام زيد مجاز لا حقيقه
وانما هو على وضع الجل موضع البعض للاتساع والتوكيد وتشبيه القليل
بالكثير ويدل على انتظام ذلك في جميع جنسه وانك تعلمه في جميع اجزا ذلك
الفعل فتقول قمت قومة وقومتين ومايد قومة وقياما حسنا
وقياما قبيحا فاعلم لك اياه في جميع اجوابه يدل على انه موضوع عندهم على
صلاحيته لتناول جميعها الا ترى ان قول بعضهم

وقد جمع الله الشتيتين بعدما ظنا كل الظن الا تلاقيا

فقوله كل الظن يدل على صحة ما اشرنا اليه وكذلك قولك ضربت زيدا مجاز
ايضا لانك انما فعلت بعض الضرب لا كله وانما ضربت بعضه لا جميعه لانك
قد تضرب يده او رجله او ناحيه من نواحي جسده ولهذا اذا احتاط الانسان
فاستظهر جاز ان يبدل البعض فقال ضربت زيدا راسه ثم هو مع ذلك يتحور
لانه انما يضرب ناحيه من راسه لا راسه كله ولهذا لحياط بعضهم في نحو
هذا فقول ضربت زيدا جانب وجهه الايمن فاذا عرف التوكيد
لم يقع في نفسه الكلام نحو نفسه وعينه وكله واجمع وما جرى هذا المجرى

نحو منه حال سعد المجاز في هذا الباب الا ترى ان قول قطع الامير اللص
يجوز ان القطع بامر لا بيده فاذا قلت قطع الامير نفسه اللص ارتفع المجاز
من جهة الفعل وضرب فيه الحقيقه لكن بقي عليك التحوز من جهة اخرى
وهو قولك اللص وانما العمله قطع يده او رجله فاذا احتطت في ذلك
قلت قطع الامير نفسه يد اللص او رجله وكذلك جاء جميع الجنس موقوع التوكيد
في هذه اللغه اقوى دليل على سياع المجاز فيها واستعماله عليها حتى ان
علما العربيه جعلوا له بابا مفردا لعنايتهم به ولانه مما تمس الحاجه
وانه لا ينبغي ان يصاغ مثله ولا يهمل لما انهم جعلوا الجل معنى اهتمامهم بها
مفردا له الصفه والعطف والاضافه وغيره لذلك فاعرفه

الفن الثاني من القطب الاول

في الالفاظ والمعاني وتفصيل الكلام المنثور على المنظوم وهو ثلثة
ابواب الاول الالفاظ المدلوله المفرده والمركبه وهو قسمان
الاول في الكلام على الالفاظ المفرده والفرق بين الجيد منهما
والردي واعلم ان صاحب هذا باب سر الفصاحة وغيره من ارباب هذه الصناعة
قد اوردوا في حقهم من ذلك اشيا حسنه ونبهوا على نكت مستملحه غير
انا لما امعنا النظر فيما قالوه وتصفحنا مطاوي ما ذكروه وقع لنا فيه زياده
ستكره وقول مستعرب ولنورد ها هنا ما وصل الينا من علما هذه
الصناعة وما ابتكرناه نحن فنقول الاوصاف التي يوجد في اللفظة الواحده
ويستحق بها مزية الحسن والجوده سبعه انواع فاما الذي وصل الينا
منها فستة انواع الاول تباعد مخارج الحروف

الثاني ان لا يكون الكلمه وحشيه ولا متنوعره **الثالث**
ان لا يكون مبتذله بين العامه **الرابع** ان لا يكون عبر بها عن معني
يكره ذكره فاذا اورد وهي غير مقصود بها ذلك المعني فيجب
الخامس ان يكون مصغره في موضع يعبر بها عن شيء لطيف او خفي
او نحو ذلك **السادس** ان يكون مولفه من اوائل الاوزان تركيبا
وقد ذكر ابو محمد بن سنان الخفاجي قسما اخر فقال ينبغي ان تكون الكلمه
جاريه على العرف العربي الصحيح غير شاذه وهذا ليس معتبرا في جوده
اللفظه ولا في ردائتها لان شذوذ اللفظه لا يوجب لها حسنا ولا قبحا
وانما المعني بقولهم ان هذه الكلمه شاذه اي انها لم تنقل الا عن واحد فقط
فلا يوثق بها ولا يركن اليها سواء كانت حسنه او قبيحه فاعرف ذلك
واما الذي انكرناه نحن فنوع واحد وهو ان يكون
الكلمه منتبه من حركات حقيقه ولنرجع الي ذكر الستة الانواع
التي وصلت بنا عن علما هذه الصناعه وتحقيق القول فيها فنقول
اعلم انه ليس لهم فيها الا السبق بذكرها فقط واما علة كل نوع والسبب
الذي ذكره لاجله فانا لم ناخذه عنهم وانما استنبطناه نحن ونحوهم وذلك
لانا لم نقف لهم في ذلك على قول شافٍ ولا كلام محرر بل كل امرهم ان
ذكروا هذه الانواع الستة ثم مثلوا كل نوع منها بمثال كما فعل ابو
محمد بن سنان الخفاجي وهو من الائمه المشاهير في هذا العلم وكذلك
فعل غيره ممن تقدمه كقدامه بن جعفر الكاتب والامدي والجاحظ
وغيرهم وليتهم الى صنفوها في هذا الفن شاهده مما ذكرناه عنهم من
احتمال القول والاقناع بالامثله **اما** **النوع** الاول

من السجع البسيط فهو ما بعد مخارج الحروف ولسنا نعني بذلك ان المقارب
المخارج لا يكون حسنا ولا جيدا بل نعني بذلك ان الغالب على المتباعد والمخارج
من الالفاظ الجوده والحسن والغالب على المقارب المخارج الرداءه والقبح
الا تري ان الجيم والشين واللام مخارج مقاربه وهي من وسط اللسان
بينه وبين الحنك وتسمي بلامها السحريه فاذا ركبنا منها شيئا من الالفاظ نحو
حسارا وابجا فانا نجد لفظا حسن كانت لفظه محموده وان قدمنا الشين على الجيم
فقلنا شجى كانت ايضا لفظه محموده فهذه مخارج مقاربه وقد ركبنا منها
هاتين اللفظتين وجاءتا في غايه الحسن والرونق وهذا يكون نادرا في
المقارب المخارج وانما الاكثر والغالب يجيء في المتباعد المخارج
فاعرف ذلك وحيث انتهى بنا القول الى هاهنا فلنبتدئ بعده في هذا
الموضع بذكر الاصوات والحروف وذكر المخارج وانقسامها قبل
ذكر السبب في حسن المتباعد وقبح المقارب فنقول اعلم
ان الصوت عرض يخرج مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق
والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع
ان عرض له حرفا وتختلف احراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها
الا تري انك تبتدئ من اقصى الحلق ثم تبلغ به اي المقاطع شئت فتجد له حرسا
ما فان اسفلت منه راجعا عنه ومجاوزا له ثم قطعت احسست عند ذلك
حرسا غير الحرس الاول نحو الالف فانك اذا نطقت بها سمعت هناك صدي
فاذا رجعت الى القاف سمعت غير ذلك الصدي فان حرفت الى الجيم سمعت
غير ذلك الاولين وشبه بعضهم الحلق والفم بالزمر وما اقربه بهما
لانه والنسل الذي معه [illegible] ذلك انك اذا اردت اعتبار هذا ان تاتي بالحرف

ساكنا لا متحركا لان الحركة تعلقاه عن موضعه ومستقره ثم يدخل عليه همزة
الوصل مكسورة من قبله لان الساكن لا يمكن الابتداء به فيقول
الف وكذلك سايرها واعلم ان الحروف تطلق باعتبارات فالاول
اسم لهذه الحروف المعدوده وذلك ماخوذ من تسميه الحد والناحيه حرفا
لان الحروف هي جهات الكلمه ونواحيها الثاني يطلق على ادوات
الكلام نحو من وعن وغيرهما الثالث لقول النبي صلى الله
عليه وسلم انزل القران على سبعه احرف اي سبع لغات لا تختلف ولا تضاد
كما يقال هذا في حرف ابي وهذا في حرف ابن مسعود الرابع يقال
ناقه حرفا اي ضامره وقال ابو العباس المبرد ان الهمزه ليست من جمله
الحروف وجعل عددها ثمانيه وعشرين حرفا واستدل على ذلك بان قال
ان الهمزه لا صوره لها في الخط وهذا فاسد اذ الاعتبار باللفظ لا
بالخط فان الخط لو لم يكن لما ذكرنا مانعا من كون الهمزه من جمله
الحروف فاما ترتيب الحروف على نسق المخارج فهي همزه الف ع ح ع ح
ق ل ج ش ي ض ل ن ر ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف م و ب وسته احرف
فروع مستحسنه وهي النون الخفيفه والالف المماله والف التفخيم والشين
كالجيم والصاد كالزاي وثمانيه احرف غير مستحسنه وهي الالف بين الجيم
والالف والجيم كالكاف والجيم كالشين والفا كالباء والصاد
الصعيفه والصاد كالسين والطا كالتا والظا كالثا وذكر
قوم اربعه احرف هي الشين كالزاي والجيم كالزاي واللام المفخمه
والقاف كالكاف فصار الجميع سبعه واربعين حرفا فاما
اقسام المخارج فانها ستة عشر مخرجا بلنه حلقيه وهي الهمزه والالف

والها هذا على ترتيب سيبويه واما على ابي الحسن الاخفش
فان الهاء مع الالف لاقبلها ولا بعدها ومخرجان بلنيان هذه البلانه المذكوره
وهما العين والحا ومخرجان احرانيان فوق ذلك من اول الفم وهما
العين والحا ومخرجان احرانيان وحرف من اقصى اللسان وهو القاف
واسفل من موضع القاف قليلا مخرج الكاف وهذان الحرفان اعني القاف
والكاف مدعمان لهويه وبلنه احرف من وسط اللسان وهي الجيم والشين
والياء ويسمى الشجريه ومن اول حافه اللسان وما يليها من الاضراس
مخرج الضاد ويسمى المفرد المستطيل ومن حافه اللسان من اذناها الى منتهى
طرفه مما بينها وبين ما يليها من الحنك فويق الضاحك والناب والرباعيه
والرباعيه مخرج اللام ويسمى المنحرف ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق
الثنايا السفلى مخرج النون ومن مخرج النون غيرانه ادخل في ظهر اللسان
قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء وهذه الاحرف البلثه اللام والرا
والنون يسمى الذلقيه وقال سيبويه ان الاصول الخماسيه لا تخلوا
من احدها البته ومما بين طرف اللسان واصول الثنايا بلثه احرف وهي
الطا والدال والتا ويسمى القطعيه وبلثه احرف مما بين طرف اللسان
وفويق الثنايا وهي الصاد والسين والزاي ويسمى الاسليه وبلثه احرف
مما بين طرف اللسان واطراف الثنايا وهي الطا والدال والتا ويسمى
المنويه وحرف واحد مما بين باطن الشفه السفلى واطراف الثنايا العليا
وهو الفا وبلثه احرف مما بين السفيرين وهي الياء والميم والواو ويسمى
الشفهيه وحرف واحد من الخشوم وهو النون ويسمى الخيشومي فهذه
جميع مخارج الحروف وحيث انتهى بنا القول الى هذا المقام وانتينا على

ذكر الاصوات بالحروف وانقسام المخارج فينبغي حينئذ ان نذكر السبب
في حسن ما تباعد من المخارج وقبح ما تقارب منها فنقول قال ابو محمد بن سنان
الخفاجي في كتابه ان الحروف التي هي اصوات تجري من السمع مجرى الالوان من
البصر ولا شك في ان الالوان المتباينة اذا جمعت كانت في المنظر احسن
من الالوان المتقاربة ولهذا كان البياض مع السواد احسن منه مع الصفرة
لقرب ما بينه وبين الاصفر وبعد ما بينه وبين الاسود هذا حكايته
كلامه بعينه ولنا عليه اعتراض وهو انا نقول اذا ثبت لك
ان الالوان المتباينة في المنظر احسن من الالوان المتقاربة فكيف يلزم على هذا
ان يقيس عليه السمع ويجريه مجراه فان قال في الجواب عن ذلك اني انما قست السمع
في اصوات الحروف المتباعدة على البصر في الالوان المتباعدة لان السمع حاسة
والبصر ايضا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب **فلنا** له انما
يستقيم لك ما ذكرته من هذا القياس ان لو توقف في عرفان جودة اللفظة على
سماع اصوات مخارجها دائما توقف في عرفان حسن الالوان على ابصارها ورتبها
وانما قد نعلم جودة اللفظ ونعرف حسن ترتيبها من غير ان نسمع لها صوتا ودلك
ان المتأمل للكلام مكتوبا من غير تصويت به ولا نطق اذا عرضه على طبعه السليم
وفكره المستقيم عرف جودة الفاظه وعلم حسن ترتيبها من قبحه ولا خلطه للسمع
في ذلك ولا مشاركة فقد ثبت بهذا الدليل فساد ما ذكرته من قياس السمع
على البصر واحتلال ما اشرت اليه من ذلك **وانما** القول السديد في سبب
حسن اللفظ المتباعد والمخارج وقبح اللفظ المتقارب المخارج ما سنورده ها هنا
وهو ان الفائدة في الاشياء المركبة انما هي احتلاف اجزائها وتباين مفرداتها
ليؤثر الترتيب عند ذلك شيأ لم يكن اما حسنا واما قبيحا. **فاما** اذا كانت

اجزاؤها متشابهة بعضها لبعض فانه لا يحوز لتركيبها حينئذ كبير فائدة وهذا
مما لا نزاع فيه لوضوحه وبيانه وحيث كانت الحال في الاشياء المركبة لذلك
فشأنا عليها ترتيب مخارج الحروف وذلك ان من المخارج ما هو مختلف وبعني
بالمختلف ها هنا المتقارب كالراء واللام والطاء والسين وغير ذلك
بما جرى هذا المجرى فمتى كانت الكلمة مركبة من حروف متباعدة المخارج
اثر التركيب فيها اثرا وهو الحسن والجودة في الغالب ومتى كانت الكلمة
مركبة من حروف متقاربة المخارج خالف ذلك في الغالب ايضا ٥
فان قيل ما قولك اذا تركبت من حروف متباعدة المخارج اثر
التركيب فيها اثرا سلمنا اليك ذلك **واما** تخصيصك ذلك الاثير
بالحسن والجودة فهذا تحكم محض انت مطالب بابانته وكذلك قولك في
الكلمة اذا تركبت من عدة حروف متقاربة المخارج المخارج الا ترى ان مخارج
الحروف جميعها اذا اعتبر كل واحد منها على الانفراد لا يوجد له حسن ولا قبح
وهذا لا نزاع فيه فمن توهم شكا في ذلك او لحقه ادنى ارتياب فليعرضه
على فكره ويعتبره منصفا من نفسه فانه يعلم صحة ما ذكرناه ويعرف حقيقة ما اشرنا
اليه واذا كانت الحال كذلك فمن اي وجه تكتسب اللفظة الجودة والحسن اذا
تركبت من حروف متباعدة المخارج ومن اي وجه تكتسب الرداءة والقبح اذا تركبت
من حروف متقاربة المخارج **الجواب** عن ذلك انا نقول
انما اكتسبت اللفظة حسنا عند ترتيبها من حروف متباعدة المخارج واكتسبت قبحا
عند ترتيبها من حروف متقاربة المخارج لان النطق اذا اتى على مخارج حروف اللفظة
وهي متباعدة لجمعها وتوليفها كان له في ذلك مهلة واناة لان من المخرج الى المخرج
فسحة وبعدا فيجيء الحروف عند ذلك متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مدفوعة

واذا اتى النطق على مخارج حروف اللفظة وهي متقاربة لتجمعها وتركبها لم يخلص
مخرج الا وقد وقع في المخرج الذي عليه القرب بينهما فكاد عند ذلك
يعبر احدهما بالاخر فتحى مخارج حروف اللفظة فلقه متكدودة غير مستقرة
في اماكنها وهذا لم يرد العين مع الحاء ولا العين مع الخاء ولا الطاء مع التاء
ولا القاف مع الكاف ولا الدال مع التاء ولا مع الطاء وذلك لقرب مخارج هذه
الحروف بعضها من بعض ومن ادل الدليل على ان المخارج المتباعدة احسن تاليفا من
المخارج المتقاربة ان العرب من شانها ومعادتها ان تعدل في كلامها عن الاثقل
الى الاخف طلبا للاستحسان وهذا شايع عنهم وكثير في لغتهم لا يحتاج الى
اقامة دليل عليه وتراهم قد خالفوا عادتهم في ذلك وعدلوا عن الاخف
الى الاثقل طلبا لبعد المخارج حيث هو يسهل على اللسان وهربا من تقاربها
حيث هو اشق واصعب على اللسان وذلك نحو الحيوان الا ترى ان اصل هذه الكلمة
باجماع من العربية حسان لانها من مضاعف اليا الا انه لما ثقل عليهم عدلوا به
عن الياء الى الواو مع علمهم بان الواو اثقل من الياء لكنه لما تباعد الحرفان ساغ ذلك
لاجل الاستخفاف فلما رأينا ان العرب قد يرتكبون هم الاصل في هذه اللغة قد نقضوا
عادتهم وفضوا سنتهم في العدول عن الاثقل الى الاخف طلبا لتباعد مخارج
الحروف علمنا ان ذلك اهم عندهم واكثر تقدما في نفوسهم ولقي بهذا
دليلا على ان تباعد المخارج احسن بالنفس من تقاربها فاعرف ذلك واعلم ان تباعد
المخارج ليس بكاف في حسن اللفظة ولا ممتنع في جودتها فانه قد ياتي اللفظة مؤلفة
من حروف متباعدة المخارج ولكنها حوشية سميدع من حركات عقيلة وعوز وحشية
او غير ذلك من الصفات الذميمة فيعارض ذلك الوصف المحمود هذا الوصف المذموم
فيزيله ويذهب به **النوع** الثاني من القسم الاول من الباب

الاول وهو ان لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعرة وعنى بالوحشي قلة الاستعمال
وذلك عيب في الكلام فاحش يجب على المولف اجتنابه والبعد عنه لان احسن الالفاظ
ما كان مالوفا بين ارباب هذه الصناعة دايرا في السنتهم قد صقلته الالسن
والسنة الاسماع والقلوب ولذلك كان جميع الفاظ القرآن الكريم محوطة في هذا
السلك وجاريه في هذا المنهاج واعلم ان العرب وان استعملوا الوحشي من الكلام
فانهم غير ملومين على ذلك ولا معيبون عندا في كلامهم لانه لغة لقوم وبه كانت
مفاوضاتهم في احاديثهم واشعارهم وكان الذي كان لهم طبعا وجلفه والدليل
على ان العرب لا يلامون في استعمال الوحشي من الكلام ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد نطق به كثيرا في كلامه وات به الاخبار المنقولة عنه لحديث طهفة
بن ابي زهير النهدي وغيره **فاما** حديث طهفة فهو انه لما قدمت
وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن ابي زهير فقال اتيناك يا
رسول الله من عنوري تقامه على اكوار المطي شزر ينا العيس تستحلب الصبر
وتستحلب الخبر وتستفضل البر وتستحلل الرهام وتستحلب الجهام في ارض
غايله النطا عليطه الموطا قد نسف المدمر ونسس الحمر وسقط الاملوح
ومات العلوج وهلك الهدي وفاد الردي ريثنا اليك يا رسول الله من الوشل
والعنز وما حدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر
وقام تغار ولنا نعم هل اعقال ما نبض بلال ووقير هبر الرسل قليل
الرسل اصابتها سنبة حمراء مؤزلة فليس لها علل فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم بارك لهم في محضها ومخضها وابعث راعيها في الدثر نابغ الثمرة
واجزله النمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى
الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم ما بني هبيد وذابع

الشرك وضايع الملك لا يلتفط في الزكاه ولا يلحد في الحياه ولا يتثاقل عن
الصلوه وكتب معه كتابا الى بني هند من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني
نصر بن زيد السلام على من امن بالله ورسوله لكم يا بني هند في الوظيفه الفريضه
ولكم العارض والفرش وذو العنان المركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاباق وتاكلوا الرباق
من اقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفا بالعهد والذمه ومن ابا
فعليه الربوه فقال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا رسول الله نحن بنو
اب واحد وربينا في بلد واحد ونزال نكلم وفود العرب بما لم نفهم لشره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن ادبي وربيت
في بني سعد الا تري الى هذا الكلام الذي لا يكاد يعرف ولا يفهم وهو
الذي بعد نحن في زماننا هذا وحشيا متوعر العدم الاستعمال له ومع ذلك
فقد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت من هذا الوجه ان الوحشي
من الكلام ليس معيبا من حيث ذاته وانما يعاب من حيث النسبه الى الزمان
واهله كما انا نعيبه نحن في هذا الزمان ونطرحه ونكرهه ولا نستعمله
وقد كان من قبلنا ما لو فا مستعملا بين البلغا والفصحا وهذا مما لا نزاع فيه
عاقل من الاحوال فاعرفه وعلى ذلك فانما يلام على استعمال
الوحشي من الكلام الحضري لانه يكلفه وسلفقه من الكتب وسلقطه من
بطون الدفاتر مع العنا والمشقه في تحصيله وقد رايت جماعه من مدعي هذه
الصناعه يعتقدون ان الكلام الفصيح هو الذي يعسر فهمه ويبعد متناوله
كالذي نحن بصدد ذكرها هنا واذا راوا كلاما غامضا وحشيا
يعجبون منه ويصفونه بالفصاحه وهو بالعكس من ذلك وقد استعمل

هذا الفيلسوف من الكلام شعر ابن هانى المغربي فمن ذلك ما جاء في قصيده من شعره
على قافيه التا وهو قوله

وما راعهم الا سراد وجعفر يحف بها اسد اللقا الدلاهث
وما ستوي السعواء غير حميه قوادمها والكابرات الخناجث
تورعت عن دناك وهي عزيزه لها مبسم بزد وفرع حناحث

الا تري الى هذا الكلام كيف يكرهها السمع وينبو عنها الطبع وينكرها
القلوب وتعافها النفوس وكان الانسان عند الوقوف عليها خابط عشوا
لا يدري اين يضع رجله ومن هذا النوع ايضا قول بعضهم وقد
اعتلت امه فكتب رقاعا والقاها في الجامع بمدينه السلام وهي امه
وزعي دعا لامراه مفسيه فدمنيت باجل الطرموق فاصابها من اجله
الاستمسال ان يمر عليها باطر عشاش والا يحال وكل من قرا رقاعه لعنه
ولعن امه وما يجري هذا المجري قول ابن الرومي

اسقني الاسكركه الصبر في حصكفونه
واترك الفيخ فيه يا خليلي يعصونه

فانه لا يوجد من الالفاظ الوحشيه شي اقبح من قوله الاسكركه وحصكفونه
والصبر ولذلك قول في صفه المطر

سقطمط عصب الوحوش مكانها نار فالضب جار الضفدع

فهل تجد ايها المتامل لكتابنا هذا اشد كراهه عليك من النطق بلفظه سقطمط
واشباه ذلك كثيره وفيما ذكرنا من هذه الامثله كفايه واعلم ان الانكار
على الناثر في استعمال الوحشي من الكلام اكثر من الانكار على الناظم وذلك

لان الناثر واسع المجال مطلق العنان متصرف كيف شاء قادر على ان يقيم اكثر
اللفظه التي يحرسها لفظه اخري غيرها فما هو في معناها والناظم قد لا يمكنه
ذلك لان محال التاليف عليه حرج ونظافه ضيق واذا اراد ان يقيم لفظه
مكان لفظه لا ماتي له ذلك في جميع الحالات لانفساد الوزن عليه ولنضرب
لهذا مثالا مقول الاتري ان معنى مقطط في قول هذا الشاعر اي دايم
ولو اراد ان يجعل هذه اللفظه الحسنه مكان تلك اللفظه القبيحه لفسد
عليه وزن البيت ولست اري للشاعر في هذا دواء الا انه اذا اتاه شيء
من هذه الالفاظ الوحشيه تركه وضرب صفحا وعدل الى غيره فان وقع
في يده ما هو في معناه من الالفاظ الحسنه وتنزل له الشعر مع ذلك فهو
المراد وان كان لا يقع من الالفاظ ما هو في معناه ولا تيسر له ذلك فيقيم
عوضه من الالفاظ الحسنه ما يصح به المعنى الذي قصده الا مع الاتزان
الاتري ان هذا الشاعر لو قال في هذا البيت عوضا من لفظه مقطط
لفظه متدفق او متراكم وما جري هذا المجري لصح له الوزن والمعنى المقصود
وكان قد سلم من استعمال الوحشي من الكلام وانما تهيا للشاعر هذا اذا
كانت الكلمه في اول البيت او في اثنايه فاما اذا اتت اخرا منه فاته
فلما تقدر على تغييرها واقامه غيرها مقامها وذلك للزوم القافيه التي
بني قصيدته عليها فاعرف ذلك وقف عليه

النوع الثالث

من القسم الاول من الباب الاول

وهو ان يكون الكلمه مبتذله بين العامه وذلك ينقسم قسمين الاول ما كان
من الالفاظ دالا على معنى وضع له في اصل اللغه فغيرته العامه وجعلته دالا

على شيء اخر وهو ضربان الاول بحره ذكره وذلك كقول ابي
الطيب المتنبي

اذا والعوا ي حسنه ما ادقني وعف فجارا هن عني بالصرم

فان اصل اللفظه صرم في موضع اللغه القطع يقال صرمه اي قطعه فغيرها
العامه وجعلتها دالة على المحل المخصوص من دون غيره ثم لم يفهم ذلك
حتى جعلوا ما مثوبا السين صادا ولاجل هذا استكره استعمال هذه اللفظه
وكذلك ما جري هذا المجري كقول ابي الطيب ايضا

سل السيدا من الجي ما يجوزها وعن دي المهاري ان منها الفانق

فان الفانق في اصل اللغه هي حماعه النعام فعبرها العامه وجعلتها
دالة على ضرب من طعام السوقه فصارت من اكبر الالفاظ استدلالا لذلك
واعلم ان العامه قد اعتمدوا هذا في كثير من كلامهم حتى ان الشيخ
منصور الحبوتي صنف في ذلك كتابا ووسمه باصلاح ما غلط فيه العامه
فمنه ما هذا سبيله وهو الذي انكرنا استعماله على ارباب هذه الصناعه
لكراهته ولانه مما لم ات في كلام العرب ولا احاء عنهم فهذا من عيوب في
الضرب الذي ذكرنا

واما الضرب

الثاني من القسم الاول ففيه عيب واحد وهو انه وضع كلام في العرب
لمعنى فجعلته العامه دالا على غيره الا انه ليس بمستقبح ولا مستكره وذلك
كتسميتهم الانسان طريفا اذا كان ذميم الاخلاق حسن الصورة واللباس
طيب الريح وما هذا سبيله والطريف في اصل اللغه بخلاف ذلك لان الانسان
انما سمي طريفا اذا كان حسن الخلق فقط اذ الطرف يتعلق باللسان لا غير
وقد قالت العرب في صفات خلق الانسان الصباحه في الوجه الوضاءه في

الشره الجمال في الانف الحلاوه في العينين الملاحه في الفم
الطرف في اللسان الرشاقه في القد اللباقه في الشمايل كمال الحسن في
الشعر وهذا الضرب ايضا قد ذكر الشيخ ابو منصور بن احمد الجواليقي
في شاهد فاعرفه **القسم الثاني** مما استدلته العامه وهو الذي
لم يعيره عز بابه وانما انكرنا استعمال هذا القسم من الكلام لانه
مستدل بينهم فقط لانه مستقبح ولا مخالف لما وضع له في اصل اللغه
وذلك كقول ابي الطيب المتنبي

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل

الا ترى الى سخافه هذه اللفظه وما عليها من الركاكه التي لا امد
وراءها ومما جاء على نحو ذلك قوله ايضا

وملمومه سفيه رعيه تصيح الحصا فيها صياح اللقالق

ومن هذا القسم قول ابن هاني المغربي

من ليس يرفل الا في سوابغه من نسج مفاضا وسلوقي
ام من يذل عماليقا يقايدلهم اي الاجادل يسموا للكراني

فان كلا من هاتين اللفظتين مستدل بن العامه جدا وامثال هذا كثير
فاعرفه وعليك ايها المؤلف اجتنابه والبعد عنه ٥

النوع الرابع من القسم الاول من الباب الاول

وهو ان لا يكون الكلمه عبر بها عن معنى مكروه ذلك فاذا وردت وهي غير
مقصود بها ذلك المعنى صحت وذلك اذا كانت مهمله بغير قرينه
تميز معناها عن الصحيح فاما اذا جاءت ومعها قرينه مخصصه لما حتمها من

المعنى الحسن فان ذلك لا يكون معيبا في الكلام مثال ما ورد من هذا
النوع ومعه قرينه قوله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم فالذين امنوا
به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون
الا ترى ان لفظة التعزير مشتركه وهي تطلق على التعظيم والاكرام وعلى
الضرب الذي هو دون الحد وذلك هو نوع من الاضداد وهما معنيان
ضدان لكن حيث وردت في هذه الايه جامعها قرائن قبلها وبعدها تخصص
معناها بالحسن وميز عن القبح ولو جاءت مهمله بغير قرينه واراد بها المعنى
الحسن لسبق الى الوهم ما استملت عليه من المعنى القبيح

مثال ذلك لو قال قائل بعث اليوم فلانا فاكرمته
وعززته لزال ذلك اللبس وارتفع ذلك الاشكال ومن هذا النوع ايضا
قول بعضهم نصف رقعه جامن صدق له

فانارت انارة الزواهر والادهان منها كالعامه في فلكها الدائر

فان لفظه العامه مشترك دال على معان مختلفه فهي اسم للقطيع من حمر الوحش
وتقع اسما على دابة تحت القوس وتراد بها الركب من الانسان فلما وردت
في هذا الكلام وردت معها قرينه وهي ذكر الفلك فخصصها بانها
الكواكب التي تحت القوس لان الفلك لا يجوز الا للكواكب ولو وردت
مرسله بغير قرينه لظن السامع امرا اخر مكروه ذلك وامثال هذا بين
فيجب على المؤلف ان يراعي فيه ما اشرنا اليه من ذكر القرينه معه واعلم
انه قد جاء من الكلام ما معه قرينه فاوجبت صحه ولو لم تجيء القرينه معه
لكان الامر في اسقباحه سهلا وذلك كقول الشريف الرضي

اغر على بان اراك وقد خلا عن جانبيك مقاعد العواد

فان ابا محمد بن سنان الخفاجي قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال ان اراد
هذه اللفظه اعني مقاعد في هذا الموضع صحيح الا انه موافق لما يكره
ذكره في مثل هذا الشعر لا سيما وقد اضافه الى من يحتمل اضافته اليه
وهم العواد وقد انفرد لحل الامر فيه سهلا **فاما**
الاضافه الى من ذكره ففيها قبح لاحقا به هذا حكايه كلام ابي محمد بن سنان
الخفاجي وهو كلام مرضي واقع موقعه من هذا الباب ولنذكر نحن ما عندنا
من ذلك ونقول قد جاءت لفظه مقاعد في القرآن الكريم وهي قوله تعالى
واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال الا انها في الايه غير
مضافه الى من يقبح اضافتها اليه كما جاءت في شعر الشريف الرضي وهو قوله مقاعد
العواد ولو لم يذكر القرينه التي هي لفظه العواد لكان الامر سهلا في ذلك
ولو قال عوضا عن مقاعد العواد مقاعد الزياده او ما جرى هذا المجرى
لذهب ذلك القبح وزالت تلك المحنه والكراهه ولهذا جاءت هذه اللفظه
اعني مقاعد في الايه على ما ترى من الحسن والجوده وجاءت في شعر الشريف
الرضي على ما ترى من القبح والرداه فاعرف ذلك وقس عليه **واما**
الذي ورد من هذا النوع مهملا بغير قرينه فكقول مالك شرا ٥

افول الحجاز وقد صفرت لهم وطابت يومي ضنى الحجر معور

ولو ورد مع ذلك قرينه لم يفده شيا الا ترى ان لفظه الحجر يطلق على
كل نقب كنقب الحمه ونقب اليربوع وغير ذلك ويطلق ايضا على المحل
المخصوص من الحيوان فانما استفيدت هاهنا لان الوهم يسبق الى ما يدل
عليه من المحل المخصوص دون غيره ومع هذا فاي قرينه وردت مع هذه
اللفظه لاذهب ما عليها من الكراهه ولازيل ما فيها من القبح وامثال

ذلك كثيره **النوع الخامس** من القسم الاول من الباب
الاول وموان يكون الاسم مصغره في موضع يعبر بها عن شيء حقير
او لطيف او ضعيف او ما جانس ذلك ومعاني المصغر خمس الاول
ترد لتحقير المعاني لا الصور نحو رجيل اي انه حقير من حيث معناه لا من حيث
صورته **الثاني** ترد لتحقير الصور لا المعاني وهو ضد الاول
نحو جبيل **الثالث** يرد للتقريب وذلك في الظروف الزمانيه
والمكانيه نحو وقيت ودويف **الرابع** ترد للتقليل وذلك في
العدد نحو مويل واجيمال **الخامس** ترد للتعظيم كقول
النبي صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله بن مسعود دقيف ملي علما فان قيل
التصغير اذا جعل امارة للتحقير والتعظيم معا فقد زال الفايده
المقصوده به لانه لا يصير دليلا على احدهما **الجواب**
عن ذلك انا نقول ليس الامر كما وقع لك من ان التصغير امارة للتحقير
والتعظيم على الاطلاق من غير تقييد بل هما فرق بينهما متى عرف
لم ينكر جعلهم التصغير دليلا على التحقير والتعظيم معا وهو ان
التصغير الدال على التعظيم لا يكون الا ومعه صفة مدح مقترنه به
الا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله بن مسعود دقيف ملي
علما فقوله دقيف تصغير محض وقوله ملي علما صفه مدح اوجبت له
التعظيم وذلك ان المشار اليه لما كان قصير الشكل صغير الجثه اطلق
عليه لفظه التصغير بان قال دقيف ولما كان غزير العلم راجح اللب
اطلق عليه صفه المدح بان قال ملي علما فلما صغره او لا نم عظمه ثانيا ٥
فقيل تصغير تعظيم لما هذا سبيله فاعرفه

وأما التصغير الدال على التحقير فليس كذلك لانه لا ينبغي
صفه مدح البته وأما انيه التصغير فعلانه ثلاثي لازياده فيه
ويجي على فعيل نحو يوب ورباعي لازياده فيه ويجي على فعيل نحو درهم
فان كان فيه زياده من حروف المد واللين من ثالثه ورابعه جا على فعيل
نحو مصديل **واما** الخماسي فمحذوف منه الحرف الاخر وهو الذي
بالحذف نحو سفيرج وقد يجي على سفيريج وربما حذفوا قبل الاخر
فقالوا في قرردق قريرد وقد حاء على زنان غير هذه وهي افعال نحو
اطفال وفعيلان نحو سكيران وفعلي نحو حبلى وفعلا نحو حمرا
والاصل ما اوردناه اولا وذلك سمي مستقصى في كتب النحو وليس هذا
موضعه واعلم انه قد وردت الفاظ لم تستعمل لها مكبر نحو المرما
واللحن والكميت وسهيل وعبر ذلك وليس هذا من غرضنا في هذا
الباب الذي نحن بصدد ذكره لخلوه من معنى التصغير فمما جا من
التصغير قول الرضي ○

وهل لحسف بالعقيق علاقه علي ام دانيت غير مدان

فانه لما كان هذا الغزال صغيرا قرب العهد بالولاده كان وروده
مصغرا اليق واحسن وادخل في الصنعه ولذلك قوله ايضا

هل ناشد لي بعقيق اللوى غزلا مر على الرتب

وامثال هذا كثيره فاعرفه فلا ينبغي لك ايها المؤلف ان تكثر من استعمال
هذا النوع من الكلام في تاليفك وان كان حسنا رايقا بل الاليق بك
ان يقتصر منه على الشي اليسير بحيث يكون كالمد به ملمعا فان مثل
التصغير وما جرى مجراه في التاليف كمثل الوشي في الثوب الديباج

فانه اذا كان ملونا احسن منه اذا كان من لون واحد وكذلك الكلام
فانه اذا كان مشتملا على قوه الانواع المذكوره من التصغير
وغيره مما سبق ذكره ومما نشرحه في هذا الكتاب كان اولى من اشتماله على
نوع واحد فاعرف ذلك **النوع** السادس من القسم الاول
من الباب الاول وهو ان يكون الكلمه مؤلفه من اقل الاوزان تركيبا
وسبب ذلك انها تركبت من حروف قليله حقت عليه النطق لقصرها
وسهل التعبير بها على اللسان لسرعه فراغه منها واذا تركبت من حروف
كثيره كان في النطق بها كلفه عن الناطق وذلك لتطاولها واشتداد
الصوت بها ولنضرب لهذا مثالا لتتفق لنا وزن اسرع فيما للمتامل
فنقول اذا لفظ الناطق بالثلاثي فقال لما الطيب عذب او تلفظ
بالرباعي فقال للذهب عسجد كان ذلك اسهل عليه من التلفظ بالخماسي اذ قال
لمزاه السديده الصوت صهلق وللعجوز ححرس وذلك مما لا يمكن النزاع
فيه كان ناهذه من نفسه ودليله من ذاته ولهذا كانت اكثر الفاظ
القران الكريم ثلاثيه وكان القليل رباعيا واما الخماسي فليس في
القران منه شي البته الا ما كان اسم نبي نحو ابرهيم واسمعيل وغيرهما
واعلم ان الاسما الثلاثيه في الاصل اذا كان فيها زياده فاكثر
ما تبلغ سبعه احرف ولذلك الرباعيه ايضا **واما** الخماسيه
فان زيادتها لا يكون الا حرفا واحدا وذلك لان الخماسي عند مرعاية
الاصول فلا تحتمل غايه الزيادات **واما** الافعال فلا تكون
الخماسيه في الاصل بل غايتها ان تكون رباعيه فقط وذلك في الاسما
اقوى من الافعال وحيث كانت اقوى منها جعلوا لها ميزه عليها

وفضيله فوقها وسبب قوه الاسما على الافعال استغنينا الاسما عنها وحاجه
الافعال اليها الا ترى الاسم مع الاسم نحو زيد منطلق كلام مفيد والفعل
مع الفعل نحو ضرب قام ليس بكلام مفيد واذا اقترن الاسم بالفعل
نحو قام زيد صار ذلك كلاما مفيدا فالاسما اذن مستغنيه عن
الافعال والافعال ليست مستغنيه عن الاسما بل هي مفتقره اليها وحيثما
على الاصول الله ملاثيها وما عنها وخماستها وبلغ بنا القول الى هذا
المقام ولنردف ذلك بذكر الاصول مع زوايدها والغرض بهذا اجتناب
الالفاظ التي كثرت حروفها واستعمال ما كان اللفظ ما لحماسي منه كلفه
على الناطق وكراهه الارسال فالاولى ان ترداد كلفته اذا لفظ بكلمه
فيها اكثر من خمسه احرف فمثال ذلك قول بعضهم في جمله رفعه نسبها
الى صديق له قاصدا بها السدق في الكلام فقال

واذا اسلعلعت ملك خمسك هذه وهكمست اي اذا طالت ملك قصرت
هذه فان قوله اسلعلعت من اقبح الالفاظ طولا مع انها من وحشي الكلام
وقد جمعت بادئ المعسين معا ومن هذا النوع ايضا ما ذكر ايضا ابو محمد
بن سنان الخفاجي وهو قول ابي الطيب المتنبي

ان الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويدا وتها

الا ترى الى نظاره هذه اللفظه وخروجها عن الاعتدال وحسب ذلك بتضاعف
استقباحها واستكراهها وامثال هذه كثيره فاعرفها فان قيل ان
هذا الذي انكرته من طول الالفاظ وجدوه ها هنا قد ورد في القران الكريم
ما يماثله ويشابهه فمن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الايه وقوله

تعالى وسيكفيكهم الله فلفظه ليستخلفنهم عشر احرف ولفظه فسكفيكهم
سبعه احرف وامثال ذلك في القران كثير فلو ان منكرا في التاليف ما رووها
في الكلام لما ورد في القران الكريم الجواب عن ذلك
ان هذا قول ليس هذا الذي قدحا في القران الكريم مثل هذا الذي اوردناه نحن
في كتابنا وانكرناه على قايله لان قوله تعالى ليستخلفنهم بلث كلمات جمعت
فصارت كلمه واحده لا معنى الا ترى ان الاصل فيها ليستخلف الله المومنين الا انه
لما جا ذكر المومنين مظهرا في الاول لم يحسن في ذكرهم ثانيا الى الاظهار بل اقتصر
على ضميرهم كما تقول قايلنا بني فلان وجارهم سوء مجاورته
بني فلان ايضا وهذا مما لا نزاع فيه لوضوحه وكذلك القول في اللفظه الاخرى
وهي قوله تعالى وسكفيكهم الله ولا تجد في القران الكريم لفظه واحده
مثل لفظه سويدا وانها في الطول لانها ليست بلاث كلمات وقد جمعت كلمه
واحده كما ارسناك وانما هي كلمه مدل على معنى الجمعه لا غير وفي اخرها الها
والالف لاضافتها الى الموت فاعرف ذلك واما النوع السابع
الذي انكرناها نحن فهو ان يكون الكلمه مبنيه من حركات حقيقه وسبب
ذلك سرعه النطق بها ومضاوه فيها من غير عنا لحقه ولا كلفه ولهذا اذا
توالى حركتان حقيقتان في كلمه واحده لم يستكره ذلك ولا استثقل وخلاف
هذا في الحركات المقيله فانه اذا توالى منها اثنتان في كلمه واحده
استكرهت واستثقلت وذلك كحده الناطق فيها من كلف العنا وكسر
المشقه من اجل هذا استثقلت الضمه على الواو والكسره على الياء لان الضمه
من جنس الواو والكسره من جنس الياء فيكون عند ذلك كانها حركتان ثقيلتان
ولنضرب لهذا مثالا لكي نتفق فنقول انا اذا

اينما لفظه مولفه من ملتد احرف وهي زع فلا خلاف اننا اذا جعلنا الجيم
مفتوحه كانت احسن من جعلها مضمومه فان من له ادنى ذوق يعلم
يعلم ان الحرع احسن موقعا من الجزع والجزع احسن موقعا من الحرع ومن المعلوم
ان هذه اللفظه لم يجل اختلاف حروفها معرا المخارج حروفها حتى ينسب
حسنها وقبحها الي المخارج بل قد تحققنا انه يكسوها ماره حسنا وماره نسلب
ذلك الحسن عنها ورانا الحسن انما حدث لها اذا فتحنا الجيم معها فعلمنا
ان حسنها حادث من ذلك السبب فان الشي اذا رايناه تيغير وتختلف احواله
ورانا ان اختلاف تلك احواله لها سبب نسبنا ذلك اليه ولما
رايناان هذه اللفظه اذا فتحنا الجيم منها كانت حسنه رائقه علمنا ان سبب ذلك
كون الجيم مفتوحه ولما رايناها اذا ضممنا الجيم منها فذهب ذلك
الحسن علمنا ان سبب ذهابه كون الجيم مضمومه وحيث كانت الحال هذه
المثابه ثبت ان اخف الحركات الفتح ثم الكسر ثم الضم والدليل علي ذلك ما اذكره
لك وهو ان الحركات تضارعه الحروف الا تري ان جماعه من علما العربيه
كانوا يسمون الضمه الواو الصغيره والكسره اليا الصغيره والفتحه الالف
الصغيره ومما يوكد ذلك انك متى اشبعت الحركه انشات تعدها حرفا
من جنسها نحو قولك في اشباع ضرب صوري يا ولهذا اذا احتاج الشاعر
الي اقامه الوزن اشبع الحركه فانشا عنها حرفا من جنسها لقول بعضهم

فانت من الغوايل حين ترمي ومن ذم الرجال بمنتزاح

يريد بمنزاح وهو مفتعل من النزح فاذا ثبت هذا فاعلم انه انما كانت
الفتحه اخف من الكسره والكسره اخف من الضمه لان الالف اخف من
الياء والياء اخف من الواو والدليل علي ذلك ما اذكره لك **فاما**

قولنا ان الالف اخف من الياء فلانا راينا العرب قد ابدلوا الالف من الياء
في اليعيين من الفعل الماضي وذلك مطرد عندهم مستمر وانما فعلوا هذا
استثقالا للالف وطلبا للاستخفاف وبيانه انهم قالوا باع وسار واختار بيع
وسير واختير فلما ثقل هذا عليهم ابدلوا الياء الفا لخفه فقالوا باع وسار
واختار ولذلك ما جري هذا المجري فعلم بهذا ان الالف اخف من الياء
فان قيل ان هذا الدليل الذي اوردته علي ان الالف اخف من الياء قد جاء عن
العرب نقيضه الا ترى انك انما استدللت علي ان الالف اخف من الياء بقولهم
العرب قد ابدلت الالف من الياء وقد رايناهم ابدلوا الياء من الالف نحو
حمالي وقال فان الياء هنا بدل من الالف حملاق والف قائلت

الجواب عن ذلك انا نقول ليست هذه الصوره في الدليل
الذي اوردناه نحن لان لفظ باع وسار واختار علي وزنه لم يغير عنه وذلك
انه فعل ماض فلما راينا العرب قد ابدلت الياء في هذا الموضع الفا مع انه
لم يغير عن وزنه بجمع ولا غيره علمنا انهم لما فعلوا ذلك استثقالا للياء
لا اضطرارا **فاما لفظ حمالي** وقال فليس لك
انه قد خرج عن وزنه الاول الا ترى ان حمالي جمع حملاق وقسا لا مصدر
قالت فلم تبدل الالف هاهنا ياء طلبا للخفه وانما ابدلت اضطرارا ليلا
يلبس الامر عليهم فانهم لو قالوا في جمع حملاق حمالاق لما عرف ان ذلك جمع
لانه ليس في الجمع فعالا الا ترى ان اصل حمالي من حملاق علي وزن فعال
وهو دناعي وقد جمع الدناعي علي فعاليل نحو براثن ودماميل فحملت لفظه
حمالي علي ذلك فالياء اذن ليست مبدله من الالف هاهنا استثقالا
للالف بل اضطرارا ليلا يلتبس الامر في ذلك وكذلك قسالي فان اصله

من قاملت ومصدر فاعلت يجي على مفاعله وفيعال نحو قاتله وقتيالا قلو قيل
عوضا عن قسال قانال على وزن فاعال لالتبس الامر في ذلك ايضا وذاك انه ليس
في اوزان المصادر فاعال فاليا انما ابدلت في هذا الموضع من الالف اضطرارا
لا استقلالا الا ترى انها قد حذفت منه واسقطت اليه وقيل
قاملت قياما ولم يفعل ذلك الا طلبا للخفة لانهم لما ابدلوا الواو وهي ثقيلة من الالف
وهي خفيفة كان بخلاف عادتهم وشانهم لان من عادتهم ان يعدلوا عن الاثقل
الى الاخف لا عن الاخف الى الاثقل لكنهم لما اضطروا الى ابدال الياء من
الالف لم يتركوا الياء على حالها بل حذفوها واسقطوها كما ذكرنا وكذلك
فعلوا في لفظة حيال ايضا فانه لما ابدلت الالف منها من الالف حذفوا الالف
اصلا واسقطوها فقالوا حيال على وزن فعال كما قالوا دراهم ودراهم وقاطر
وكذلك جميع اوزان الرباعي فاعرف ذلك وقس عليه **واما**
قولنا ان الالف اخف من الواو فدليله من وجهين الاول انها اذا بنيت من فعل المعتل
فاوه نالها مستقبل لم يحذف الالف نحو يبسر تيسر ويعسر الحدي تعسر وذلك
فعل المعتل فاوه بالواو فانه اذا بني منه مستقبل حذفت الواو نحو وعد
يعد ووزن يزن ولم يقولوا وعد يوعد ولا وزن يوزن كما قالوا يسر ييسر
ويعسر الحدي يعسر فحذفت الواو في المستقبل ولم تحذف الالف في المستقبل
علمنا ان حذفهم للواو انما هو استثقال لها دون الالف **واما**
الوجه الثاني فهو انك اذا بنيت مفعولا من المعتل العين بالواو حذفت
منه حرفا للاستثقال فقلت في قال مقول وفي صاغ مصوغ واذا بنيت
مفعولا من المعتل العين بالالف من سئيت حذفت فقلت في باع مبيع وفي عاب
معيب وان سئيت من سمت ولم تحذف فقلت مسوغ وانما لم يتموا في الواو فلم

يقولوا في مقتول ولا في مصوغ مصووغ واتموا في الالف فقالوا مبيوع ومعيوب
لان الياء فيها اثقل من الواو وفيها الضمة اخف من الواو وفيها الضمة الا ترى ان الواو اذا انضمت
فروا منها الى الهمزة فقالوا دور وانوب قال الراجز

لكل دهر قد لبست ثوبا فالهمزة في الواو اذا انضمت مطردة

واما اذا انت وبعدها واو كان ذلك اثقل لها فلهذا الزموها الحذف
في مفعول واما اذا انضمت لم تهمز ولم تغير عن حالها فهذا يدلك ويصرك
ان الالف اخف من الواو فاعرف ذلك هذا ما انتهت اليه القدرة واحاطت به
المعرفة من الاوصاف التي توجد في اللفظة الواحدة فليتأمله الواقف على كتابنا
هذا وتدبره فانه يفرق به بين الجيد والردي من الالفاظ ويعرف ما
يستعمله من ذلك وما يطرحه وحينئذ فرغنا من الكلام فيما تعلق
باللفظة المفردة فلنشرع بالكلام على الالفاظ المركبة والله اعلم بالصواب

القسم الثاني من الباب الاول في صناعة تركيب الالفاظ

اعلم ان اللفظة قبل دخولها في سبك التاليف وقبل ان تصير الى الصورة
التي تسمى كلاما دالا على معنى من المعاني لا يخلو لها من مرتبة على اختها التي في معناها
الا بان تكون هذه اشرف من هذه بعلامات توجد فيها اما ان يكون احداهما
مستعملة ما لوفه والاخرى وحشية متوعرة **واما** ان تكون حروف
هذه اخف حركة واحسن امتزاجا مع صواحبها او غير ذلك مما قدمنا ذكره
ولا تتصور بين اللفظتين فاضل في الدلالة على المعنى التي اشتركا فيه حتى يكون
احداهما احسن في الدلالة على ذلك المعنى من الاخرى ولنضرب لهذا مثالا
فنقول لا يخفى على من له ذوق صحيح وفطرة سليمة ان لفظة
الليث او الاسد احسن دلالة على مسماها من لفظة القذوس او العميثل

ضبت بهذا الدليل ان الكلمة لا تكون لها مزية على اختها الا بصلاحيات
توجد فيها دون تلك وهذا لا تشبه على اعتماده وقصد في الكلام
الا الفطن اللبيب الذي له عنايه بصناعته وكثيرا ما رأينا ممن يحكم على الالفاظ
بالجوده والرداه واذا طولت بدليل يثبت له ما ادعاه لا تخرجه له
الا حكما محضا لا حاصل وراه ولا نعلم انه لا يجوز لقايل ان يقول هذا الكلام
جيد وردي الا بعد ان يعتبر كل لفظه منه على انفرادها ويعرض عليها
تلك الصفات التي ذكرناها اولا في دانيا فاذا رأها موجوده فيها او بعضها
علم انها حقيقه بان تدخل في سبك التاليف ثم يعود بعد ذلك ويعتبر
مكانها من النظم وكيف ممازجتها لجاراتها والتيامها مع اخواتها
فاذا وجدها سديد المناسبه لها حسنه الامتزاج معها حكم على ذلك اللفظ
بالجوده وشهد له بالرونق والطلاوه وان كان الامر بخلاف ذلك حكم عليه
بالرداه والقبح على حسبما استحق **والاصل** في هذا كله حسن
التاليف بورد المعنى تاهد وميل النفوس الى استماعه والاصغا اليه
فانه اذا كان المعنى سبيا وكان اللفظ محمارا احمدا او نوع الترتيب مع ذلك
ردنا لم توجد له قبول ولا يطيب عليه رونق واذا كان المعنى واللفظ وسطين
وكان ترتيبهما جيدا حسنا كان ذلك معليا من قدرهما ورافعا من شانهما
فمثال ذلك كالعقد المتوسط الا ترى انه اذا احسن نضده
جعلت كل قطعه منه معما شاكلها وملوتها كان رايقا في المنظر وان لم
يكن مرتفعا ثمينا **ومثال** المعنى واللفظ الرائعين مع الترتيب
الردي مثال عقد ممن افسد نظمه فجعلت كل قطعه معما شاكلها ولا تناسبه
فانه يصير بذلك محللا في المنظر وان كان فائقا ثمينا وحسن التاليف هو

ان يوضع الالفاظ في مواضعها ويجعل في اماكنها وسوء التاليف
خلاف ذلك الا ترى انه اذا قدم في التاليف ما يجب تاخيره واخر ما يجب
عند ذلك تصير المعاني نافره عن مواضعها محوله عن وجوهها ○
ومثال ذلك كالصوره التي تحول بعض اعضائها الى موضع بعض
فتحول الراس الى موضع اليد او الرجل او غير ذلك فانه اذا فعل هذا
بحت الصوره وصدق هيتها الجميله الحسنه فاعرف ذلك فانه لم
يقل لفظه متمكنه من ضبه وفي خلافها فلقه مسكره الا والعرض المقل
حسن الالفاظ وبين الالفاظ بعضها من بعض وبالقياس سواء الملاومه وانها
لم توافق صواحبها **وهل** تشكل ايها المتامل لخبايا هذا
اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض
الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
انك لم تجد ما وجدت لهذه الالفاظ من المزيه الظاهره والفضيله الرايده
الا لامر يرجع الى ارتباط بعضها ببعض وانه لم يعرض لها هذا الحسن الوافر
والشرف الكامل الا من حيث لاقت الاولى بالثانيه والثالثه بالرابعه
وكذلك الى اخرها وان الفضل حصل من امتزاجها وتلاومها فان
لحقك في ذلك ادنى شك فتامل هل ترى لفظه منها لو انفردت عن مكانها
وانفردت عن اخواتها اكانت مودبه من الحسن ما تودبه وهي في
موضعها من الايه فصح لنا من هذا القول ان الالفاظ لا تتفاضل من
حيث هي مفرده فقط ومن ادل الدليل على ذلك ان الفاظ القران
الكريم قد نطق بها العرب قبل نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وليس
فيه لفظه من الالفاظ الا وقد تكلموا فيها وجاب عنهم ولو لا ذلك لما

كان عربيا لانه انما نزل على لغة القوم وكلامهم ونحن قد رأينا القرآن
الكريم يفوق جميع كلامهم ويعلوا عليه مع كونه وارداً على لغتهم
قد تكلموا بالفاظه ونطقوا بها فثبت لنا من ذلك ان الفاظ القرآن
الكريم انما تفضل سائر الكلام من حيث تركيبها ونظمها لا من حيث
انفرادها لانها من حيث انفرادها مساوية لكلام العرب حيث هي
غير الفاظهم ومن كلامهم وهذا مما لا شك فيه ولا ارتياب
فاعرفه ومما يشهد بذلك ويؤيده انك ترى اللفظة تروق في كلام ما وتزداد
بها اعجاباً واستحساناً ثم تراها في كلام اخر تثقل عليك وتستكرهها مثال
ذلك ان لفظة الاجدع قد جاءت في بيتين من الشعر وهي في احدهما لا يقبله
حسنه وفي الاخر تفضله مستكرهه لقول القحيف بن عبد الله بن
طفيل في الحماسة

لفت رحالي حتى وحدي رحلت من الاصفاليتا واخدعا
وكقول ابي خاتر

تا دهر قوم من اخذ عنك فقد اقتحم هذا الامام من حرقك

الا ترى انه قد جاء بهذه اللفظة في بيت ابي تمام من النقل عن النفس والكراهة
اضعاف ما وجدها في بيت الحماسة من الروح والخفة والايناس والبهجة هذا
مما لا يمكن النزاع فيه لظهوره وسيأتي له باب مفرد في الكلام على الصناعة
اللفظية فعليك ايها المترشح لهذه الصناعة ان تراعي في كلامك هذه
الدقايق النيقة والنكت اللطيفة فان صناعة التاليف غور لا يدرك
منتهاه ومذهب لا يوصل الى مداه

الباب الثاني من الفن الثاني من

القطب الاول في الكلام على المعاني اعلم ان المعاني على ضربين احدهما مبتدعة
صاحب الصناعة بمن غير ان يكون له فيه امام يقتدي به او رسوم قائمة في امثاله
يعمل عليها وهذا الضرب ربما تعثر عليه عند الحوادث المتجددة وتستند له عند
الامور الطارية والاخر ما احتذي به على مثال تقدم ورسم سبق وينبغي للمولف
ان يطالب الاصابة في كلا الامرين ويتوخى فيهما الصورة المقبولة والعبارة
المستحسنة ولا يتكل فيما سكره من المعاني على فضيلة السبق ولا يعتمد مزية الابداع
فتسامح في تحسين صورته فانه اذا فعل ذلك ذهب حسنه وانطمس نوره وكان
فيه الى الذم اقرب منه الى الحمد وينبغي ان يستيقن المولف ويحقق ان المعاني
اشرف من الالفاظ والدليل على ذلك ما اذكره وهو انا لو خلعنا من هذه
الالفاظ دلالتها على المعاني لما كان شيء منها احق بالتقدير من شيء بل كانت بمنزلة
اصداء الاجسام والاصوات الناسية عنها ويزيد ما ذكرناه وضوحاً ان هذه
الصناعة من النظم والنثر التي يتراضعها البلغاء بينهم ويتفاضل بها
مراتب البلاغة انما هي شيء يستعان عليه بدقيق الفكر وكثرة الرويه
والتصوير ومن المعلوم ان الذي يستخرج بالفكرة وينعم فيه النظر
انما هو المعنى دون اللفظ لان اللفظ لا يكون معروفاً عند ارباب
صناعة التاليف دائراً فيما بينهم والمعنى قد يبتدع فذكر المولف
معنى لم يسبق اليه وذلك انما يكون حادثاً عن الفكر الصحيحة والطبع
السليم فان الذي يخرج فيه صقيل ويقع فيه صاعد هو المعنى
ولهذا كان جماعة المولفين يشتركون في معرفة الجيد من الالفاظ
وانما التفاوت يقع بينهم في المعاني لان الالفاظ الجيدة يستعملها
جميعهم ولا يكاد احدهم يفوت الاخر فيها واما المعاني

فانه قد ينكر المولف المعنى من نفسه ويحمله من ذاته وذلك كثير لا يحصى
فصح من هذا الوجه ان المعاني اشرف من الالفاظ واجل واعلم ان شرف
المعنى وعلوه وسقوطه واسفافه من سابح علو الهمه وسقوطها وقد
حكى ان اشرف كلام قالته العرب القتل اتقى للقتل ومن المعلوم ان هذا
الكلام لبس فيه من الالفاظ البديعه الرايعه ما رفعه الى منزله
كون بها اشرف كلام قالته العرب حتى انهم جعلوه في مقابله قوله
تعالى ولكم في القصاص حيوه لابل في لفظه من القتل سبب
تكراره ما لا حصاه ومع هذا فانا نجد من كلامهم ما الفاظه
تطرب الاسماع وتاخذ بمجامع القلوب وذلك اكثر من ان يحصى
وهو لا يكون في منزله قولهم القتل انفى للقتل فصح حينيذ ان
مدار هذا الكلام وعلو منزلته انما هي لامر يرجع الى حاله المعنى
المتدح بحسنه وشرف قدره وقد رات جماعه من يحلفي هذه
الصناعه يحملون همتهم مقصوره على الالفاظ التي لا حاصل وراها
ولا كثير معنى تحتها واذا قال شخص اولئا نعتقد انه قد اتى بامر
عظيم فاذا انكرت هذه الحال عليهم يقولون ان لنا اسوه بالعرب
الذين هم ارباب الفصاحه وفرسان البلاغه فانهم انما اعتنوا بالالفاظ
ولم يعتنوا بالمعاني اعتناهم بها الا ترى الى جهل هولا القوم
فانه لم يجر بكفيهم جهلهم فيما ارتكبوه من ذلك حتى انهم ادعوا
ان العرب سلمهم فيه فصادف جهالتهم جهالتين ولنذكرها هنا في الرد
عليهم فاذا انا مله الناظر في كتابنا هذا عرف به ما يوقعه ويذهب
به الاستحسان كل مذهب فنقول اعلم ان العرب كما كانت تعنى بالفاظها

مصلحها وتهذبها وتراعيها ولاحظ احكامها بالنظم بارعه وبالنثر
احكمي فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها والحكم قد راي في
منثورها فاول ذلك عنايتها بالفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها
طريقا الى اظهارها واغراضها اصلحوها وزينوها وبالغوا في تحبيرها
وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في النفس وادهب بها في الدلاله
على القصد الا ترى ان الكلام اذا كان منجوعا كان للسامع حفظه
واذا هو حفظه كان جديرا باستعماله ولو لم يكن منجوعا لم يانس به
انسه في حاله السجع فاذا رات العرب قد اصلحوا الفاظهم وحسنوا
ورققوا حواشيها وممقوا اطرافها وصقلوا غروبها فلا نظن ان
العنايه اذ ذاك انما هي بالالفاظ فقط بل هي خدمه منهم للمعاني
وتنويه بها ونظير ذلك اصلاح الوعا واحكامه وانما المبغى بذلك
الاحتياط للموعي ليلا يغير جوهره فانا قد نجد من المعاني الفاخره
السامیه ما نجد من طلاوته وبلاده لفظه ونضع من رونقه سوء العباره
عنه فان قيل انا نري من الفاظهم ما قد مجوه وزخرفوه ووشوه
ودمجوه ولسنا نري مع ذلك تحته معنى شريفا فمما جاء منه قول بعضهم

ولما قضينا من منا كل حاجه ومسح بالاركان من هو ماسح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باطراف المطي الاباطح

الا ترى الى حسن هذا اللفظ وماله وصعاله وبديع احزانه ومعناه
ومع ذلك ليس منا نناله ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحج ركبنا
الطريق راجعين وجعلنا نحدث على ظهور الابل ولهذا نظاير كثيره

شريفة الالفاظ مشروفة المعاني وفيما اشرنا اليه كفاية للمتامل

الجواب عن ذلك انا نقول هذا الموضع قد سبق الى التشبث به من لم ينعم النظر فيه ولا راى ما راه القوم وانما ذلك لجفا طبع الناظر وعدم معرفته وهو ان في قول هذا الشاعر كل حاجة مما نستفيد منه اهل التسبب والرقة والاهوا والمعة ما لا يستفيده غيرهم ولا يشارههم فيه من ليس منهم الا ترى ان حوائج من اشياء كثيرة منها التلاقي ومنها التشاكي ومنها التحلي للاجتماع الى غير ذلك مما هو منوط به ومعقود الكون به وكان الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي هو مبنى البيت وعقد عرضه عليه بقوله في اخر البيت ومسح بالاركان من هو ماسح اي انما كانت حوائجنا التي قضيناها واربنا التي بلغناها من هذا النحو الى من هو مسح الاركان وما هو لا حق به وجار في القرنة من الله تعالى مجراه اي لم يسعد هذا القدر المذكور الى ما يحتمله اول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح **واما** البيت الثاني فان فيه احدثنا باطراف الاحاديث سنا وفي هذا ما يذكره امراه فيعجب به ويمن عجب منه ووضع من معناه وذلك انه لو قال احدثنا في احاديثنا وكنا وذلك لكان فيه معنى يكثره اهل التسبب وذلك انهم قد شاع عنهم واتسع في محاورتهم علو قدر الحديث بين الالفين والخدين بجمع شمل المتواصلين الا ترى قول بعضهم

وحدثني يا سعد عنها فردتني جنونا فردني من حديثك يا سعد

وقول الاخر

وحدثها السحر الحلال لو انه لدين قتل المسلم المحرز

فاذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قيد بقوله احدثنا باطراف الاحاديث سنا وذلك ان في قوله اطراف الاحاديث بيانا وحيا خفيا ورمزا ما جلوا الا ترى انه قد يريد باطرافها مما تتعاطاه المحبون وتتعاوضه ذوو الصبابة المسجون من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح وذلك احلى وادمث واعذل واشب من ان يكون هتفا ومصارحة وجهرا واذا كان الامر كذلك فمعنى هذين البيتين اعلى عندهم واشد تقدما في نفوسهم من لفظها وان عذب موقعه ولذ مسمعه نعم في قول هذا الشاعر

وسالت باعناق المطي الاباطح

من الرشاقة واللطافة ما لا حقابه فالعرب انما تحلي الفاظها وسدعها وتوشيها وتزخرفها عنايه منها بالمعاني التي تحتها او توصلا بها الى ادراك مطالبها والالفاظ اذن خدم المعاني والمخدوم لا شك اشرف من الخادم فاعرف ذلك

الباب

الثالث من الفن الثاني من القطب الاول في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم اعلم ان الاقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الاخر الا ان المذهب المحمل القول القوي هو ان الكلام المنثور افضل من الكلام المنظوم والدليل على ذلك من اربعة اوجه الاول ان القران الكريم ورد نثرا ولو لا فضله وعلو درجته لما نزل كتاب الله عز وجل على اسلوبه ونهجه وايضا فان القران معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم ان المعجزات

لا تحي الا من طريق الاصعب بحيث انه لا يمكن احدا من خلق الله الوصول اليها
والاتيان بمثلها ولما كان النثر من الاقوال الشاقة والاشياء المتصعبة اول
الله تعالى القران الذي هو معجزه على قانونه ومما يدلك على ان النثر اشق
من النظم واصعب مأخذا وان العرب كانوا افصح الناس والمبهم والبترهم
واكثرهم قدره على النفس في الكلام ومع هذا فلم يسمع لاحد منهم معجزا
الا ان القران ساعده الذي يضرب بكلامه المثل في الفصاحه والبلاغه
ولاقوام اخرين وهم قليل واما النظم فان جميع العرب كانوا يقولونه
وكان عليهم من اسهل الاشياء حتى على نسايهم وايضا فان ارباب النثر لو اردنا
حصرهم من اول الزمان الى وقتنا هذا لكانوا عددا يسيرا ○
واما ارباب النظم فلو اردنا حصرهم لاحل عصر واحد لتعذر حصول
ذلك فكيف حصر جميعهم وليس سبب هذا الا وعورة مسلك النثر وشرف
منزلته وانه لا ينال الا الافراد من الفضلا فان قيل اذا ثبت ان العرب
لم يعجزوا من النثر واكثر من النظم فليس ذلك دليلا على ان النثر اصعب
من النظم بل الامر بالعكس من ذلك وهو ان النثر لما كان سهلا عند العرب
هيأوا النظم شاقا عليهم مستصعبا عمدوا الى الاصعب وتركوا الاسهل لانهم
انما كان غرضهم اظهار قوتهم في البلاغه والفصاحه واذا كان ذلك فيما هو
اشق مسلكا واوعر مذهبا كان ادل على تمكنهم من الكلام **واما**
النثر فلما كان عندهم منزله من يرغبون فيه ويتنافسون عليه لسهولته
عندهم فلهذا لم يعتنوا به ويثروا منه ما فعلوا في النظم **واما**
قولك ان القران الكريم ورد نثرا وبفضيلك النثر على النظم بهذا السبب
فاني اقول ليس ذلك سببا لكون النثر افضل من النظم لان الله تعالى

انما انزل القران ليكون آيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ومعجزه على يديه وليفحم به
اولئك الفصحا والبلغا من العرب لانهم كانوا ارباب الفصاحه والبلاغه
بحيث كان النثر سهلا عندهم يسرا عليهم انزل الله تعالى القران على اسلوبه
ليعجزهم بما هو اسهل عليهم من غيره ليكون ذلك اعظم في الاعجاز وابلغ
الجواب عن ذلك انا نقول هذا الذي ذكرته من ان
النثر كان اسهل على العرب من النظم واستدللت عليه بقلة رغبتهم فيه
واعتنائهم به فليس ذلك دليلا لك بل هو دليل لنا دونك وذلك انه قد ثبت
باجماع منا ان العرب لم تعجز من النثر ولكثرة من النظم ومن المعلوم ان الانسان
اذا كان مكثرا من شيء استدل بذلك على عجز قدرته وقصورها عن الوصول
اليه ولا يقال ان اكثاره من هذا الشيء دليل على تعذر عليه لانه لو كان
متعذرا عليه لما قدر على الاكثار منه ولذلك لا يقال ايضا ان قليله من هذا
الشيء دليل على سهولته عنده لما قل منه وهذا مما لا يمكن النزاع فيه بحال
من الاحوال واما قولك ان النثر لما كان عند العرب اسهل من النظم انزل الله
تعالى القران الكريم على اسلوبه ليعجزهم بما هو اسهل عليهم من غيره فيدل ذلك
ادل على الاعجاز من كونه جاء على اسلوب الاشق الاصعب **فالجواب**
عن ذلك انا نقول قد ثبت ان المعجزات التي اتت على ايدي الانبياء صلوات الله عليهم لم تات
مما كان سهلا على امثالهم لانهم انما جاؤا باحياء الاموات وانشقاق البحر
وانفجار الماء من الحجر وما جرى هذا المجرى وهذا الحكم ايضا موجود في النثر
فانه لما كان شاقا على العرب وليس فيهم من يقدر على الاتيان به الا القليل
انزل الله تعالى القران الكريم على نهجه وطريقته ليكون المعجز مناسبا لما جات

وذلك ان النثر من حيث ذاته امر شاق مستصعب وانضاف الى ذلك كونه من
عند الله تعالى فصار معجزا بالضرورة فاعرف ذلك **واما** الوجه
الثانى فهو ان النثر سوب مناب النظم ولا سوب النظم مناب النثر وذلك
انه اذا اخذ معنا من المعانى وعبر عنه بلفظ مطابق له وكان ذلك الكلام
منثورا فانه لا يمكن التعبير عنه بمقدار ذلك اللفظ ويكون الكلام
شعرا وذلك انه يحتاج فى الشعر الى اقامة الوزن وهذا لا يتم الا بزيادة
لفظ او نقصان لفظ واذا زيد فى ذلك شئ صار فى الكلام ما لا حاجة اليه
اذ المعنى كان يصح بدونه وان نقص منه شئ صار المعنى ناقصا عما كان عليه فى
الاول **واما** الوجه الثالث فهو ان النثر لا ينال الا بعد تحصيل
الآيه المذكورة فى صدر كتابنا هذا او بعضها وذلك بخلاف النظم فانه قد
يقوله من لم يحصل من الآيه شيئا البتة ولهذا ترانا نحن من يقول الشعر الحسن
ونصيب فى معانيه وجيد الفاظه وهو لا يعرف من آلات التاليف شيئا لسوقه
والعامه من ارباب الحرف والصنايع **واما** الوجه الرابع فهو
ان النثر يتعلو درجته حتى ينال الوزراء والملوك واما الشاعر فلا
يعلو درجته عند رتبه المستعطين ومنزله الطالبين لما فى ايدى الناس
ولولا فضل النابغ وما عرف من شرف صنعته والحاجه اليها لما ارتقى الى درجه
الوزراء وكذلك الشاعر فلولا كساد صنعته والاستغناء عنها لعلت
درجته وارتفعت منزلته ولما كان فى طول عمره ملاقى الناس وهذا بين
مطرد لم يزل وقد شوهد راى العين فلا يمكن النزاع فيه بحال من الاحوال

الباب الثانى

الفطب الثانى

فى الاشياء الخاصه وهو فان الفن الاول فى الفصاحه والبلاغه
اعلم ان هذا باب غامض متعذر على الوالج ومسلك وعر مستصعب على
النابغ ولم يزل الناس من قديم الوقت وهلم جرا نهاضون على الخوض فيه
والغوص عليه وهم مع ذلك طلبهم لمعرفته وتوفر حرصهم على الاحاطه به لا
يطفرون منه الا بتعبه طايرا وقطره من بحر زاخر وقد قال بعض المصنفين
من العلماء لم ازل منذ خدمت اهل العلم انظر فيما قالوه فى معنى الفصاحه والبلاغه
واستكشف عن المعنى فى ذلك فلا اجده الا كالرمز والاشاره ولا اقف فيه
على قول شاف ولا كلام كاف فلما رايت الامر كذلك علمت انه لا بد فى
معرفه هذا العلم العظيم الذى كان وجه اعجاز القرآن الكريم قول مهمل ولا كلام
مجمل بل لا يتم معرفته حتى يعضل فيه القول ويدل على الخصايص التى فى تاليف
الكلام ويوضح ايضاحا جليا من غير مغادره لشئ من ذلك حتى يكون
المعرفه بهذا العلم كمعرفه الصانع الحاذق الذى يعلم ما هو به منسوجه
من الابريسم فى الثوب الديباج وكل جوهر من الاحجار الداخله فى البناء فانك
اذا نظرت الى هذا العلم الشريف احتجت عند ذلك الى طول ملث وتدبر
وكثره تامل وتفكر والى همه ثاقبه ان يقتنع الا بالمنازل واسمى الرتب
ومتى حشمت نفسك حصول هذا المرام البعيد وطلبتها صعود هذا المرقى
الناذح فقد امنت امرا عظيما وتعرضت لخطب جسيم وقنا الله واياكم
لمواقع الصواب ولنرجع الى ما نحن عرضنا ومهمنا من ذكر الفصاحه والبلاغه
والكشف عن حقيقتهما واختصاصهما بمقول اعلم ان اصل
الفصاحه فى وضع اللغه الظهور والبيان يقال افصح الصبح اذا بدا ضوءه
واسفر وافصح فلان عما فى نفسه اذا اظهره وانما سمى اللفظ فصيحا لانه

بين المقصود ويوضح المعنى المندرج تحته والفصاحة اسم عام تشمل المفرد
من اللفظ والمركب وانما كان الامر كذلك لان واضع اللغة انما وضع
الالفاظ مفردة لا مركبة فالفصاحة شملت اولا للمفرده واذا شملت
المفرده فمن الضرورة شمولها للمركبة لان المركب مجموعة من المفرده
وكل مركب كانت احراوة صفة هي فيه متساويه فتلك الصفة تعم لا
محاله واعلم ايضا ان الفصاحة امر اضافي كالحسن والقبح والكلام
الفصيح ليس كلاما محضوضا بعينه بل كل من فهم كلاما وعرفه فهو فصيح
بالنسبة اليه لانه ظاهر عنده واضح لديه ومما يقوي هذا القول
ان اللفظ الذي لا نعده نحن في زماننا فصيحا ونكرهه لعدم استعماله
وعزته كان عند من تقدمنا من ارباب التاليف مستعملا في زمانهم متعارفا
مشتهرا ولو لا ذلك لما اوردوه في كلامهم فان معظم اشعار العرب
ومن يليهم من المحدثين مشحونة به ومملوة منه ولو استعمل في زماننا هذا
لاستكر واستشنع وحكم على قايله بالجهل والتعسف ورايتا ابا محمد
بن سنان الخفاجي قد قال في كتابه ان الفصاحة نعت للالفاظ اذا وجدت
على شروط عده ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الالفاظ
ثم انه قسم الشروط الى قسمين احدهما يوجد في اللفظة المفرده والاخر
يوجد في الالفاظ المركبة وجعل ما يختص باللفظ المفرد منقسما الى ثمانية
اقسام كتباعد مخارج الحروف وان لا يكون الكلمة وحشية ولا متوعرة
وعد ذلك مما اورده وذكره في كتابه وفي هذا نظر ووقف عليه الفكر
والروية وذلك انه قد جعل صفات اللفظة التي يكون بها ذات مزية وحسن
هي الفصاحة تخالف بذلك بعض العرب لانهم قالوا ان اللفظ الفصيح هو

ذات

الظاهر الواضح ولم يقيدوا انه المتباعد مخارج الحروف ولا الذي ليس وحشيا
ولا متوعرا ولا غير ذلك مما ذكره ابو محمد بن سنان ولهذا تطرق الى كلامه الخلل
وذلك انه نقل الفصاحة عن حقيقتها التي وضعت لها في اصل اللغة بان
علقها على هذه الشروط التي ذكرها وجعل وجودها موقوفا على وجود
تلك الشروط وبعضها لا يكون فصيحة وحقيقتها ان تكون فصيحة هذا من اعجب
الاشيا فليتامل وايضا فان ابا محمد بن سنان قد ذكر في كتابه من جملة الاقسام
الثمانية قسما وهو ان لا يكون الكلمة قد عبر بها عن معنى مجرد ذلك فاذا
وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى صحب كقول عروة بن الورد

فلت لقومي في الكنيف تروحوا عشية بتنا عند ماوى فرتح

قال الكنيف اصله الساتر ومنه قيل للترس كنيف غير انه قد استعمل في الابار
الى ستر الحدث وشهرتها فانا اكره لذلك هذا حكايه كلام ابي محمد
بن سنان الخفاجي ولنا عليه اعتراض وهو انا نقول اذا كان قد جعل الفصاحة
مقصوره على الالفاظ لكنه عاد فنقض ما ادعاه بهذا القول فانه انما
انكره من هذه اللفظة التي هي الكنيف ما تضمنه من المعنى فقط والا فاذا
اعتبر لفظها ومخارج حروفها من غير نظر الى المعنى المندرج تحتها لم يوجد
لها قبح ولا كراهة لان مخارج الحروف التي تالفت منها متباعدة فمخرج الكاف
دون مخرج القاف الذي هو من اقصى اللسان ومخرج النون من طرف اللسان
منه ومن ما فوق الثنايا السفلى ومخرج الباء بين وسط اللسان منه وبين وسط
الحنك ومخرج الفا من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا ومع هذا
فاذا تالفت هذه اللفظة التي قد استقبحت ها هنا الى موضع اخر صار ذلك
القبح حسنا كقولك انا في كنف فلان اي في ذراه وتحت ظله فصح حينئذ

من نحوي كلام ابي محمد بن سنان انه نقض ما ادعاه اولا من ان الفصاحة تعت
للالفاظ بما ذكر في شروطها الثمنية التي من جملتها هذا القسم الذي الجور
عليه وهو مما يعتص بالمعنى دون اللفظ وتناقض كلام مثل ذلك الامام المشهور
في هذه الصناعة عجب عصمنا الله واياكم من الزلل وهدانا الى طريق
الصواب **واما البلاغة** فان اصلها في وضع اللغة الوصول
والانتهاء يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليه ومبلغ الشيء منتهاه وسمي الكلام
بليغا من ذلك اي انه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية وذلك ان له
اوصافا ملتئمة يعرف بها ممتي عري عن واحد منها نقص عن درجة البلاغة
فلا يسمى بليغا وهي ان يكون معناه مفيدا ويكون لفظه فصيحا ويكون غير
زايد على المعنى المندرج تحته فيلزم على هذا ان يكون كل كلام بليغ فصيحا
وليس كل كلام فصيح بليغا واعلم ان البلاغة تعم الكلام مركبا او
مفردا واما ان كذلك لان المفرد لا يكون مفيدا وما ليس مفيد فلا
يسمى بليغا وايضا فان اللفظة المفردة براسها اذا وردت في الكلام لا يراد
بها الا معنى واحد من غير زيادة في البلاغة ما تزيد معناه على لفظه وذلك
انما يكون مركبا لا مفردا **واما** اختصاص الفصاحة والبلاغة
فان ابا محمد بن سنان الخفاجي ذكر ذلك في كتابه فقال ان الفصاحة مقصورة على
وصف الالفاظ والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني ثم انه لم يورد
على ذلك دليلا بل احمل القول فيه كما قدمناه فان هذا حكاية كلامه
بعينه فلما وقفنا نحن على ما اومى اليه سنح لنا في ابنائه دليل وهو انا نقول
قد ثبت لنا ان اصل الفصاحة في وضع اللغة هو الظهور والبيان والفصيح
هو الظاهر وهو اسم فاعل من فصح مطرد في بابه يقال لزم فهو كرم وطرف

سوط ريف وشرف وهو شريف وفصح الكلام فهو فصيح ولذلك ما جرى
هذا المجرى فوزن فعيل هو اسم فاعل من فعل وهذه قاعدة مستمرة في ذلك
وقد بينت لنا ايضا ان المعنى لا يوصف بظهور البيان ولا موضوعا عن دلالته اذ
المعاني في جميعها قايمة بالنفس وانما اللفظ يظهرها ويبينها فهو اذا فاعل
البيان والايضاح وهذه ايضا قاعدة مسلمة لا خلاف فيها بحال من الاحوال
فلما كان اللفظ هو الفاعل للبيان والايضاح وكان الفصيح اسم فاعل من فصح اي
بان واتضح وجب حينيذ ان يكون اسما للفظ ومختصا به فاعرف ذلك ○
فان قيل القياس يقتضي ان الدليل الذي اوردته في الفصاحة يلزمك
في البلاغة مثله وهو ان وزن بليغ مثل وزن فصيح فكما ان اسم فصيح اسم
فاعل لذلك يوجب ان بليغ ايضا اسم فاعل واذا كان اللفظ فاعلا للفصاحة فاحقت
به كذلك يوجب ان اللفظ فاعلا للبلاغة فيجب اختصاصها به
الجواب عن ذلك انا نقول اما قولك القياس يقتضي ان يكون
البلاغة مختصة باللفظ كما ان الفصاحة مختصة به لتساوي البلاغة والفصاحة
في الدليل الذي اوردناه من حيث ان بليغا وفصيحا على وزن واحد فان هذا
الذي ذكرته قياس وارد ولكن من وجه دون وجه وذلك انا نحن لم نستدل
على الفصاحة بخص اللفظ بوزن فعيل الذي هو اسم الفاعل فقط وانما
استدللنا على ان الفصاحة تخص اللفظ من حيث ان اصلها في وضع اللغة
الظهور والبيان واضاف الى ذلك انها على وزن فعيل الذي هو اسم
فاعل من فعل نحو فصح فهو فصيح فلما صح لنا هذا ان الامر ان ثبت لنا من
مجموعهما ما ادعيناه من ان الفصاحة تخص اللفظ كما ارينا ك
واما البلاغة فلو كان اصلها في وضع اللغة الظهور والبيان

كما هو اصل الفصاحة يصح ذلك ما ذكرته من الاعتراض وانما اصلها
في وضع اللغة من الوصول والانتهاء لا غير وعلى اصل انتهاء المصدر
ينبغي ان يكون كل ما هو على وزن فعل محتصا باللفظ نحو شرف فهو
شريف وطرف فهو طريف وكرم فهو كريم وامثال ذلك مما جرى هذا
المجرى فالشرف اذا مختص باللفظ وكذلك الطرف والكرم وهذا من
اعجب الاشياء فلتتامل وايضا فقد بينا ان البلاغة اوصاف ملتئمة لا تسمى
الكلام بليغا الا بمجموعها ومتى عري عن واحد منهما فليس بليغ فالاول
منها يتعلق بالمعنى وهو الافادة والثاني يتعلق باللفظ والمعنى كليهما
وهو ان يكون اللفظ غير زايد على المعنى الثالث يتعلق باللفظ وهو
الفصاحة لان الكلام لا يطلق عليه اسم البلاغة حتى يكون فصيحا فالفصاحة
اذا شرط في البلاغة لا يتم الا به فلما دانت الحال كذلك وجبان
تعم البلاغة للفظ والمعنى معا **واما** الفصاحة فليست
كذلك لانها مختص باللفظ ووضوح فقط وذلك يتعلق باللفظ فوجب
الدليل الذي قدمنا ذكره فتدبر ما اشرنا اليه وتصفح مطلوبه فان ذلك
كفايته **الفن الثاني** من القطب الاول في ذكر اصناف
علم البيان وانقسامها وهو باب الباب الاول
في الصناعة المعنوية وينقسم الى تسعة وعشرين نوعا وانما قدمنا
ذكر المعاني على الالفاظ لان المعاني هي التي تقرر اولا في النفس
وترسخ في القلوب ثم تطلب لها بعد ذلك الفاظ تعرب عنها وتدل عليها
ولان المعاني اشرف من الالفاظ واعلا محلا فاعرف ذلك ٥
واما النوع الاول فهو في الاستعارة وهو ان يريد

تشبيه الشيء بالشيء ويدع الافصاح بالتشبيه ويطهاره ويجيء على اسم المشبه
مقترنة بالمشبه به كقولك رايت رجلا هو كالاسد
في شجاعته وقوته بشطب سوطا ويدع ذلك ويقول رايت اسدا وهذا
يكون على ضربين احدهما ان تجعل المشبه هو المشبه بان تنزله منزلته
وتسقط ذكر التشبيه من البين كقولك رايتا سدا **والثاني**
بان يجري المشبه به خبرا عن المشبه مفعول زيد اسد وزيد هو
الاسد ويجيء به على وجه يرجع الى هذا هو لذا ان لفيته لقيت به
اسدا وان لفيته لتلقين منه اسدا والقياس يقتضي ان لا يسمى هذا
الضرب الثاني استعارة وانما هو تشبيه على حد المبالغة لان علماء البيان
مختلفون في ذلك هل هو استعارة او تشبيه والمحققون منهم
اجمعوا على انه تشبيه بليغ لا استعارة وذلك لان المستعار له مذكور
والاستعارة انما تطلق حيث يطوي ذكر المستعار له ويجعل الكلام
حلوا منه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال
بين فحوى الكلام عليه كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقاذف له كبد اظفاره لم تقلم

واعلم ان الاستعارة قد جاءت في الاسماء والصفات والافعال جميعا
فقول رايت ليوثا ولقيت صماعن الخير واضا الحق الا انه قد استعمل
الضرب الثاني الذي ذكرناه وهو قولنا زيد اسد في باب الاستعارة
واوردته جماعة العلماء مثل قدامة والجاحظ وابي هلال العسكري
والعسايمي وابي محمد بن سنان الخفاجي في تصنيفاتهم في باب الاستعارة
ولم يذكروا ان الاصل فيه انه تشبيه بليغ فما اعلم هل ذلك لخفايه

عليهم او انه عرفوه ولم يذكروه وهو الاصل الذي اجمع عليه المحققون من علما البيان وقد اوردنا ما حرر في كتابنا
هذا في باب الاستعاره تشبيها بالقوه واستئناسا بهم لا يقدم
السابقون في هذا الفن بالتصنيف الان موضعه بانسه فاعرف
ذلك واعلم ان قد اجمع الجمهور من العلما على ان للاستعاره مزيه
وفضلا على حقيقتها والسبب في ذلك انك اذا قلت رايت اسدا كان
لكلامك مزيه لا تكون اذا قلت رايت رجلا هو كالاسد سواي في
الشجاعه وقوه القلب وشده البطش ولست المزيه التي بها لهذا
الحبس على الكلام المتروك على ظاهره ولكنها في طريق اتيانك لها
وتقريرك اياها معلومه ومن قرائن الاحوال فليست المزيه في قولك رايت
اسدا انه دل على شجاعه زائده وشده وافره بل انك اثبت للمستعار له الشجاعه
الزائده والشده الوافره ومن وجه هي ابلغ واكد واوجبها له ايجابا
هو اشد واقوي لانك اثبتها بالدلايل والشواهد فاذا سمعتهم يقولون
ان من شان هذه الاجناس ان تكسب المعاني بلاغه انهم لا يريدون الشجاعه
والشده وغير ذلك وانما يريدون اثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت لها
وتخبر بها عنه من طريق مواسد واكد وسياتي بيان ذلك في باب
المشبه مستوفى ان شا الله تعالى واعلم ان الاستعاره جمع بين شيئين
بمعنى مشترك بينهما حسبما حصل منهما بالاخر ولا بد للاستعاره من ثلثه اشيا
مستعار ومستعار منه ومستعار له فاللفظ المستعار قد ينقل من اصل
الى الفرع للابانه والمستعار منه والمستعار له لفظان حمل احدهما على
الاخر في معنى من المعاني هو حقيقي للمحمول عليه مجازي للمحمول

مسئله يسئل انه لك قوله تعالى واشتعل الراس شيبا فهذا مستعار
ومستعار منه ومستعار له فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل من الاصل
الذي هو النار الى الفرع الذي هو الشيب قصدا للابانه واما
المستعار منه فهو النار والاشتعال لها حقيقه واما
المستعار له فهو السبب والاشتعال له مجاز واعلم ان ابلغ الاستعارات
وما ناب للشبه منابها وكلما ازدادت الشبه فيها اخفا ازدادت
الاستعاره حسنا ورونقا حتى انك تراها اعجب ما يكون اذا كان الكلام
الف تاليفا ان اردت ان تفصح فيه بالشبه خرجت الى شي يحط من رتبته
ويضع من قدره ومثلنا على ذلك قول بعضهم

اثمرت اغصان راحته فجناه الحسن عنابا

الا ترى انك لو لفظت بفسك ان تظهر الشبه وتفصح به احتجت الى ان تقول اثمرت
اصابع يده التي هي كالاغصان لطالبي الحسن شبه العناب من اطرافها
المخضوبه ومن له ادنى تشبث بهذه الصناعه تعلم الفضيله بين ما تضمنه
هذا البيت من الاستعاره وبين اظهاره الى الشبه فاعرف ذلك وقس
عليه وحيث انتهى بنا القول الى هذا المقام ونحن على هذه الاصول
فلنتبعها بما نخرط في سلكها من الكلام على الحيد من الاستعاره
الذي يجب على المولف استعماله والرذي الذي سعى اجتنابه والبعد عنه

فنقول الاستعاره تنقسم الى قسمين الاول يحب استعماله
وهو ما كان منه وبين ما استعير له تشابه وتناسب وليضرب له امثله
نستدل بها عليه فمن ذلك قوله تعالى وايه لهم الليل نسلخ منه النهار
وهذا الوصف انما هو على ما نظهر للعين لا على حقيقه المعنى لان الليل

والنهار ايضا يقعان على هذا الجوع عند اطلامه وابضانه بغروب الشمس
وطلوعها ولسنا على الحقيقه نسمي سلخ احدهما من الاخر الا انهما في
راي العين كانهما كذلك والسلخ يكون في الشي الملتحم بعضه ببعض
فلما كانت هوادي الصبح عند طلوعه كالملتحمه باعجاز الليل اجري
عليهما اسم السلخ وكان ذلك لايقا في بابه وهو اولي من قوله نخرج
لان السلخ ادل على الالتحام المتوهم من الاخراج وذلك ان اسلاخ
الشي عن الشي هو ان يرا احدهما من الاخر ويزول عنه بالتدريج حالا
فحالا كما ينسلخ جلد الشاه عنها وكذلك انفصال الليل عن النهار
فانظر ايها المتامل لهذه الاستعاره شده المناسبه الذي بينها وبين ما
استعيرت له ومشابهتها اياه فانها من الاستعارات التي لا امد فوقها
في الحسن ومن ذلك ايضا قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا وقد ذكر
علما البيان في هذا ما يورده هاهنا وهو ان الشيب لما كان ياخذ
في الراس ويسعى فيه شيا فشيا حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزله
النار التي تشتعل في الجسم وتسري فيه حتى تحيله الى غير حاله المتقدمه
وهذا كلام مرضي في بابه الا ان ها هنا نكته اخري وذلك انه شبه
انتشار الشيب باشتعال النار في سرعه المها به وتعدر ملافه وفي
حطم الالم في القلب به ولانه لم يتوالا الخمود بعده فهذه الاستعاره
البديعه هي التي تعجز القدره البشريه عن الاتيان بمثلها ومما دون
ذلك في الطبقه قول ابي تمام

وعرس للعسف حقو بنده واباب كل حبنده وطفا

فان استعاره هذا البيت صالحه مرضيه لملا ومنها ما استعيرت له

حسن جعل للسحابه اذا كان ذلك مناسبا لان الصوب الذي يستعير للناظر
في الجود كصوب انسكاب السحابه جون مشابها لدوالب الرابات واما
قوله يحق فهو ايضا حسن مرضي لان الريح اذا هبت على الرابات حققت
برودها وجالت صوب صوب السحابه في هموليها وانصبابها ولا سيما
الوطفا ومن هذا النوع قوله في الخمر

صعقت فراض الماسي حلقها فتعلمت من حسن حلق المها

الا ترى الى حسن هذه الاستعاره فانه ليس احسن من قوله في الخمر
انها سته الحلق وذلك حيث يكون صرفا لا تستطاع شربها ولا يمر اساغتها
الحلق التي الذي يعافه الانفس وتستكرهه الارواح وقوله حسن حلق
الما ايضا عانه في الجوده لان الما الصافي سلاسته ولطافه جوهره
شبيه بالحلق السهل الطيب وابدا توصف الاخلاق الحسنه بالماء
فيقال فلان الطف اخلاقا من الماء لانه ليس في الاجسام المدركه
بالبصر الطف ولا ارق من الما لان النفس تجد لمشاهدته من اللذه والسرور
والانبساط ما لا خفا به ولهذا قال بعض الحكما الما من طبع الروح
ومما يويد قوله هذا ما ورد في القران الكريم فانه قد ذكر الما في مواضع
كثيره منه ثم ذكر احيا الارض الميته فقوله تعالى والله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
كذلك النشور فجعل الما للارض بمنزله الروح للجسد ومن بديع
الاستعاره قول بعضهم

يا طود حلم طلت معتصما به ما خر جود عمت في تياره

فان المناسبه بينها وبين ما استعيرت له شديده جدا وذلك ان الحلم

اصله في وضع اللغة التأني والسات وترك الاعجال الا ان الطول
ثابت الاصل راسخ القواعد لا تحرك عن مكانه ولا يزول عن منهله حسن
استعارته للحلم للمشابهة التي بينهما وهاهنا لكنه اخرى وهو
ان قوله طود حلم البلغ في الاستعارة من ان لو قال جبل حلم لان الطود
هو الجبل العظيم راسخ الاصل من غيره واما
استعارته للجود بحر الحسن لاخفائه على من له معرفة بهذا الفن ومن هذا
النحو قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه وارد ف اعجازا وناء بكلكل

وقد قال ابو القسم بن بشر الامدي ان امرئ القيس وصف احوال الليل
الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره وترادف اعجازه واواخره
فلما جعل له وسطا ممتدا وصدرا ثقيلا واعجازا ارادف لوسطه
استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من اجل امتداده واسم الكلكل
وجعله ناسا لتثاقله واسم العجز من اجل نهوضه فقال ابو محمد بن سنان
ان هذا الذي ذكر ابو القسم الامدي ليس بمرضي غاية الرضى وان بيت
امرئ القيس ليس من الاستعارة لحسنه ولا الرديء بل هو وسط
فان ابا القسم قد اقتضى ان امرأ القيس لما جعل الليل وسطا ممتدا
استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من اجل امتداده وحيث
جعل له اخيرا اولا استعار له عجزا وكلكلا وهذا كله
انما حسن بعضه مع بعض فذكر الصلب انما حسن لاجل العجز والوسط
والتمطي لاجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه استعارة
مبنية على استعارة اخرى هذا حكاية كلام ابي محمد بن سنان

وهو مما يقتضيه ما بين وحسن الاولى انه قال هذا البيت من الاستعارة
الوسطى التي ليست بردية ولا جيدة ثم جعلها استعارة مبنية على
استعارة اخرى وعنده ان الاستعارة المبنية على الاستعارة من
اقبح الاستعارات وابعدها فانه يقسم الاستعارة الى قسمين
قريب مختار وبعيد مطرح فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير
له مناسبة قوي وشبه واضح والبعيد المطرح اما ان يكون لبعده
مما استعير له في الاصل او لاجل انه استعارة مبنية على استعارة
اخرى ضعيف لذلك هذا ما ذكره ابن سنان في تقسيم الاستعارة
واذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة اخرى عنده بعيدة
ضعيفة فكيف جعلها وسطا هذا ما قض في القول فاعرفه

الوجه الثاني مما يأخذ على ابي القسم الامدي في موضع

الاخر انه لم يجز الا ما حسن اختياره وكان بديعا في بابه قال
الاستعارة قد تثبت انها جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب
بها احدهما بالاخر وهذا الحكم موجود في بيت امرئ القيس وانه
لو لم يكن لليل صدر يعني اولا ولم يكن له وسط واخرا لما حسنت هذه
الاستعارة ولما كان كذلك استعار لوسطه صلبا وجعله
متمطيا وجعل لصدره المثاقل اعني اوله كلكلا وجعله ناءيا
واستعار لاخره عجزا وجعله رادفا لوسطه وذلك من الاستعارات
المناسبة التي لا امد فوقها فاعرفها وحيث ذكر للاستعارة
المناسبة امثلة يخبر بها المشرع لهذه الصناعة ويستعملها في كلامه
يجب حينئذ ان يذكر القسم الاخر وهو غير المناسب وضرب

له امثله يعترف بها ايضا فمن ذلك قول ابي تمام

يوم مع سيع اسود الضواجي كتبت الموف رابيا وحليبا

فانه لا شئ افصح من هذه الاستعاره ولا اشد تباعدا بينها وبين ما استعيرت له فما كفاه ان جعل الموف كسا ابي السما واحدها كثبه حتى جعل بعضها رابيا وبعضها حليبا ثم ان الموف من شانه ان يستعار له ما يكره الا ما يستطاب ومن قبيح الاستعاره ايضا قوله

وتقاسم الناس السخا مجزا وذهبت انت براسه وسنامه

وتركت للناس الاهاب وما بقي من فرثه وعروقه وعظامه

فاستعار للسخا اثارا وسناما واهابا وعظاما وعروقا وما فتح بذلك حتى اسمعنا وله فربما فصار السخا حملا على الحصه وامثال ذلك كثيره ولا اخلوا الناظم الناثر من سقطات توجد عليه الا انه ينبغي ان يكون معفوا في جنب ما له من الحسنات الحسان وذلك لا يحط من قدره في صناعته اذ العالم بعيد سقطاته لا من بعد حيده ومن الاستعاره البعيده قول بعضهم

الى ملك في امكه المجد لم تزل على لبده المعروف من نسله بردا

فاذا استعاره للمجد انكد اوجب ما حده من استعاره للمعروف كبده اوار فانت الاستعاره اذا من البعد على ما اذكر لك واني اقول قد يبت ان الاستعاره هي الجمع بين شيين بمعنى مشترك بينهما يكسب ما ان احدهما بالاخر وهذه قاعده مسلمه لا نزاع فيها بحال من الاحوال واذا كان الامر كذلك فالجامع بين المجد والايكه من وجه بعيد وذلك ان المجد في وضع اللغه هو المجد الكريم اي الاصل الكريم والايكه في وضع اللغه واحد الايك وهو شجر ملتف فلما كان المجد هو المجيد الكريم اي الاصل وكان للايكه اصل اجبر

استعارته للمجد ايكه من هذا الوجه وفيه بعد وسبب بعيد انه يسوغ للقايل ان يقول ان هما كان له اصل على هذا القياس يجوز ان يستعار للمجد فيقول لنا جبل المجد وحايط المجد وغير ذلك مما له اصل وهذا بعيد جدا واما الاستعاره المشبه وهو قول الشاعر لبد المعروف فان بعدها مما استعيرت له وقحها مما لا يحتاج فيه الى الشرح لوضوحه وبانه وامثال ذلك كثيره لا يحصى بعلى هذا المولف احتنابها والعدول عنها النوع الثاني من الفن الثاني في التشبيه وحده ان يتبع المشبه حكم من احكام المشبه به وقيل هو الدلاله على اشتراك شيين في معنى من المعاني وان احدهما يسد مسد الاخر ويوب منابه سواء كان ذلك حقيقه او مجازا فاما الحقيقه فهو ان يقال في شيين احدهما شبيه بالاخر في جميع اوصافه كالسوادين والبياضين او ما جراهما وليس هذا من غرضنا فاما المجاز فهو ان يقال في شيين احدهما شبيه بالاخر في بعض اوصافه فقولنا زيد اسد فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل في باب المبالغه الا انه لا جل زيد اسدا على الحقيقه واعلم ان فايده التشبيه هي الكشف عن المعنى المقصود مما لتشبيه من بعيد له الاخبار والاخبار والدليل على ذلك ما ذكرناه من قولنا زيد اسد فان الغرض من هذا القول ان يبين حال زيد وانه متصف بشهامه النفس وقوه البطش والشجاعه وغير ذلك مما جرى هذا المجرى الا انا لم نجد شيا يدل به عليه سوى ان جعلناه شبيها بالاسد حيث كانت هذه الصفات مختصه به ومعهود عليه ضرورة فاقتضاه من هذا القول الكشف واين من ان لو قلنا زيد شهم شجاع قوي البطش جري الحبار واشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به اعني الاسد فانه معروف بها مشهور بكونها فيه واشباهها عليه

وأما المشبه اعني زيدا فليس معروفا بها ولا مشبوها اليها وإذا نبه
موجوده فيه **واما الحاذف** فهو قولنا زيد اسد فليس فيه شيء
زيد من حاله لبث وكمث وهو من الشده والشجاعه على كدى وكدى مما يطول
ذكره ويتسع القول فيه فاعرف ذلك واعلم ان تشبيه الشيء بالشيء لا يجاوز
من احد قسمين اما ان يكون المشبه احدهما بالاخر مع فقين من جميع الجهات
واما ان يكونا مختلفين من وجه دون وجه فاذا كانا مع فقين من جميع الجهات
كالسوادين والناطقين فهذا ليس من غرضنا اذ لا كبير فايده فيه
واذا كانا مختلفين من وجه دون وجه فهما اذا اختلفا بقي كلامنا الان على
تشبيه شيئين مختلفين احدهما بالاخر كقولنا زيد اسد فان غرضنا من هذا
ان نشبه شهامه زيد وشجاعته وجراته شهامه الاسد وشجاعته وجراته
لا ان زيدا اسد من جميع الجهات فانا لو اردنا ذلك لكان هو هو وهذا محال
لان زيدا ليس اسدا وانما هو انسان فاعرف ذلك واعلم ان التشبيه يكون بادوات
كالكاف وكان وما جرى هذا المجرى ويكون بغير ادوات وهو ان يجعل الكلام
حلوا منها صالحا لتقديرها فيه واذا جاء التشبيه بغير اداة كان ابلغ واوجز
والدليل على ذلك قولنا زيد اسد يعطي ظاهر من المعنى انا اخبرنا عن زيد انه
اسد وذلك انه هو الا ان حرف التشبيه في ذلك مقدر واذا علمنا زيدا انه الاسد
فيكون قد اظهرنا فيه حرف التشبيه الذي كان مختفيا في الاول فيصير حينئذ تشبيها
لزيد الاسد والاول كان قد جعل هو الاسد وحرف التشبيه مقدر فيه تقديرا
فمن هذا الوجه كان الاول ابلغ واشد موقعا في النفس **واما** كونه اوجز
فلان قولنا زيد اسد احضر في قولنا زيد كانه الاسد وان كان المعنيان سواء فاعرف
ذلك واعلم انه لا يخلو التشبيه في تشبيه احدهما بالاخر من بلغه اقسام

40

واما تشبيه معنى بمعنى كالذي ذكرناه من قولنا زيد اسد
واما تشبيه معنى بصوره كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء الاية فشبه ما لا يدرك بالحاسه بما يدرك بالحاسه
واما تشبيه صوره بصوره كقوله تعالى وله الجوار المنشات
في البحر كالاعلام فشبه صوره احد اجسام الفلك في كبرها وعظمها بالجبال
وذلك تشبيه صوره مركبه بصوره مركبه **وكل** واحد من هذه الاقسام الثلثه
لا يخلو ان يكون تشبيه امر مفرد ايضا وهي تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه مركب
بمركب وتشبيه مفرد بمركب **فالقسم الاول**
تشبيه المفرد بالمفرد وذلك كقول البحتري

تبسم وقطوب في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد

فهذا من احسن التشبيه واقربه وهو تشبيه صوره بصوره الا ان في
هذا البيت اخلالا في الصنعه من حيث الترتيب والتسفير فان الاولى
ان كان قدم تفسير التبسم على تفسير القطوب وسياتي بيان ذلك في بابه
ومن هذا القسم ايضا قول بعضهم في صفه السيوف والدروع وكلما
فوق الاكف بوارق وكلما فوق المتون اهلة
وهذا من بديع التشبيه ونادره فاعرفه وكذلك قول بكر بن النطاح
ايضا سحب من قيام فرعها ويعيب فيه وهو جثل الشعر
وكانها فيه نهار ساطع وكانه ليل عليها مظلم
وامثال هذا كثيره **القسم** الثاني من تشبيه المركب بالمركب
وذلك كقوله تعالى انما مثل الحياه الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض

زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا
او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس الايه فشبه حال
الدنيا في سرعه زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال حال نبات الارض
في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وتزين الارض وتزلزلت
بشبيه معنى بصوره وهو من ابدع ما جي في هذا القسم فاعرفه ۝
ومما جاء على نحو منه قوله عز وجل في حق المنافقين مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فشبه حالهم حال من
اوقد نارا في ليله مظلمه بمفازه فاستضاء بما ما حوله فاتقى ما يخاف
وامن بناء حوله اذ طفيت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا وكذلك المنافق
اذا اظهر كلمه الايمان استنار بها واعتز بعزها وامن على نفسه وماله وولده
فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في العذاب والنقمه واعلم انه لما وصفوا
بانهم اشتروا الضلاله بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل
هذا امرهم باعوه بالنار المضيه ما حول المستوقد وا الضلاله التي اشتروها
وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم في الظلمات ثم قال
الله تعالى صم بكم عمي كانوا حواسهم سليمه ولكن لما سدوا مسامعهم
عن الاصاخه الى الحق وابوا ان يطفوه بالسنتهم وان ينظروا وبصروا
بعيونهم جعلوا كانما اصابتهذه الحواس منهم الافات وهذا من
عجايب التشبيه وطريقته عند علما البيان طريقه قولهم لمؤثر للشجعان
وجود للكرام وبعض علما هذه الصناعه يجعلون ما كان على مثال
قوله تعالى صم بكم عمي استعاره وليس كذلك لان المستعار له مذكور

وهو المنافقون والاستعاره انما تطلق بحيث يطوي ذكر المستعار له ويجعل
الكلام خلوا منه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا
دلاله الحال من محوي الكلام عليه وقد اشرنا الى ذلك فيما سبق من باب
الاستعاره فاعرفه وهذا هو الفرق بين الاستعاره والتشبيه عند
المحققين من علما البيان ومن هذا القسم قول

حييت عليه حين لم سبلغ المنى ولم ترو من ما الحياه المكدر
كان دم الجلاجت برود لطيمه مسك في اهاب عضفر

وكذلك قول ابي الطيب المتنبي

كان الحفون على مقلتي ثياب سققن على ثاكل

وقد احسن بعض البغداديين في قوله

ما طالبا عجايب الامور فعد ره في الدرع دي العثير
وقد تراءت النحر في غدير ۝ ومن هذا النحو
قول ابن المعتز

والصبح تيلو المشتري وكانه عربان يمشي في الدجى بسراج

وقال مولف الكتاب في صفه سقاه الخمر

فاحذ فاني معاطاه الرحيق ما بين الاكواب والاباريق
يطوف بها علينا ولدان يعجز عن وصفهم قس وسحبان
وكانهم في ايديهم الكوس اقمار تسعى بشموس

وكذلك قوله ايضا في صفه تركه النيلوفر في حمله رسالة عملها في الربيع

فانما الى وصنه ذات تاريج وتنزح الريح
وبركه تلوفر كانها مداهن من العسجد على قضيب من

او كانه وهو في المآ يعوم سما اشرفت ممطالع النجوم

وله من مرثيه قالها في بعض الاصدقا

لم تكتسب غير الثنا والحمد في حياته
ابقى لنا مناقبا تنشر في مماته
كالرند يبقى عرفه بعد ذهاب ذاته

واعجب ما سمعته في هذا الباب قول الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زايده

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

فعرف ذلك ووقف عليه بالمرتبه **القسم الثالث** في تشبيه المفرد ومن ذلك قول بعضهم

كان السهى اذ انسان عين عرفه بن الدمع تبدو اكلما
درفت درفا

ومن هذا القسم قول الاخر في الورد الجنيد

اتاك ياحسن وردة تلذ النفوس بانفاسها
كعذرا انظرها مبصر فردت يديها على راسها

وقد ورد امثال ذلك وفيما ذكرناه هنا يه وحث تكلمنا في التشبيه الجيد وبيناه فينبغي ان نوضح التشبيه الردي ليجتنبه مولف الكتاب

فنقول اعلم ان التشبيه الردي هو ان يكون بين المشبه والمشبه به بعد وبين وذلك كقول بعضهم في السهام

كسا ها رطيب الريش فاعتدلت لها قداح كاعناق الظبا الفوار

فانه قد شبه السهام باعناق الظبا وذلك من ابعد التشبيهات واكثرها سامانا ومما جرى هذا المجرى قول بعض الاعراب

لاحت لها حبك الشعر حتى كانه ظبا جرت منها سنيح ورامح

شبه شعرات سنها في عاجبيه ظبا سوانح وبوارح وهو تشبيه بعيد جدا وامثاله لذلك كثيره فاعرفها واعلم ان الاصل في حسن التشبيه هو ان يميل الاسرا الاظهر وغير المعتاد بالمعتاد المعروف وذلك لاجل ايضاح المقصود وبيان المعنى المراد ونظهر ايضا حسن التشبيه في تمثيل الشي بما هو اعظم منه وذلك لاجل المبالغه والعلو واعلم ان من التشبيه ضربا يسمى عليه الفروع على الاصول وهو ضرب من الكلام طريف الاعتماد تجد شاهده الاوالغرض منه المبالغه فمما جا من ذلك قول ذي الرمه

ورمل كاوراك العذاري وطعته اذا التبست المظلمات الحنادس

الا تري الى ذي الرمه كيف جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وذلك ان العاده والعرف في هذا ان يشبه اعجاز النسا مكان الانقا وهو مطرد في بابه

كقول البحتري

ابن الغزال المستعير من النقا هلالا ومن نور الاقاحي مبسما

فعلت ذو الرمه والعرف العاده في هذا مشبه كثبان الانقا باعجاز النسا وذلك انه خرج مخرج المبالغه اي قد ثبت هذا الوضع وهذا المعنى لاعجاز النسا وصار كانه الاصل فيه حتى شبهت به كثبان الانقا

ومثل ذلك قول بعضهم

في طلعه البدر شي من ملاحتها وللقضيب نصيب من تثنيها

وبطابر هذا اكثر من ان يحصى فاعرفه ولما ساغ ذلك في كلام العرب واتسع صار كانه اصل في بابه **النوع الثالث** من الباب الاول في شجاعه العربيه وهو نوع من علم البيان يكاد لطايفه وسنوفر محاسنه

لان معظم البلاغه متدرجه في ابوابه ومنطويه تحت ضروبه الا اني لم اجد شيا
منه عن ارباب هذه الصناعه ولا وجدته في باب مصنف في هذا الفن شيوعي
اي رايت ابا الفتح عثمن بن جني قد ذكر في كتابه المرسوم بالخصائص شابن المقدم
والتاخير والحمل على المعنى لا غير وقد ذكرنا نحن في هذا النوع انسا عجيبه
ونكتا طريفه عزيزا عليها في انا القران الكريم واعلم ان هذا النوع
ينقسم ستة اقسام القسم الاول في الالتفات وهو ملمه اضرب الاول
الرجوع من العيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى العيبه فعل ذلك على عادة
العرب في افتنانهم في الكلام وفيه فوايد كثيرة لان الكلام اذا نقل
من اسلوب الى اسلوب كان احسن بطريه نشاط السامع وايقاظا
للاصغا اليه من اجرايه على اسلوب واحد وليس يفعل ذلك لانسا عا ينقسط
بل لامر اعلى ومهم من الغرض اعني فاما الرجوع من العيبه الى
الخطاب فكقوله تعالى في سورة الفاتحه الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم هذا رجوع من العيبه الى
الخطاب مما خص به هذا الكلام من الفوايد انه لما ذكر المحق بالحمد
واجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبيه العامه والملك الخاص فعلم
العالم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالخضوع له والاستعانه به في المهمات
مخطوب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فقيل اياك نعبد باين هذه
صفاته اي يخص بالعباده والاستعانه ليكون الخطاب ادل على العباده لذلك
المعنى الذي لاجله العباده الا به فان قوله اياك نعبد واياك نستعين بعد
قوله الحمد لله رب العالمين ليس العدول فيه من العيبه الى الخطاب انسا عا

بل اما عدل الى ما هو اغاية من حسنه وذلك ان الحمد دون العباده الا ترى ان تحمد
بعض ملوك ولا تعبده فلما كان الحال الذي اشتمل لفظ الحمد لتوسطه مع العبد
في الخبر فقال الحمد لله ولم يقل لك ولما صار الى العباده التي هي اقصى الطاعات
قال اياك نعبد فخاطب بالعباده اشرفها وقربا منه عز اسمه بالاتها الى المحمود
منها وعلى نحو من ذلك الخبر السوء فقال صراط الذين انعمت عليهم فاصرح
بالخطاب لما ذكر النعمه ثم قال غير المغضوب عليهم ولم يقل غير الذين
غضبت عليهم لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر
الغضب قال غير المغضوب عليهم فجانبا باللفظ منحرفا به عن ذكر الغضب
فاسند النعمه اليه لفظا وروي عنه لفظ الغضب بحسنا ولطفا فانظر
الى هذه اللطيفه الشريفه وناسب هذه المعاني اللطيفه التي الافهام
تكاد تطاها والافهام مع قربها صافحه عنها ومن هذا حبس قوله
تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم شيا ادا فقوله لقد جيتم
وما فيه من المخاطبه بعد العيبه زياده تسخل عليهم بالجراه على الله عز وجل
والتعرض لسخطه وتنبيه لهم على عظم ما قالوه وامثال هذا اكثر
فاعرفها واما الرجوع من العيبه الى الخطاب الى العيبه
فكقوله عز وجل هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبه وفرحوا بها جاتها ريح عاصف وجاهم الموج من
كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لين انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين الا ترى كيف صرف الكلام هاهنا من الخطاب
الى العيبه وانما فعل ذلك لفايده وهو انه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم بالمخبر
لهم ويستدعي منهم الانكار عليهم والتقبيح ولو قال حتى اذا كنتم في الفلك

وجرين بكم بريح طيبة وفرحن بها وساق الخطاب معهم الى الحاضر لانه لذ
ذلك الغائب الذي اسمعها خطاب العبد وليس بخاف عن هذا المقام ما عرفه
ومن هذا الجنس قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاعبدون فتقطعوا امرهم بينهم الاصل في تقطعوا تقطعتم عطفا على
الاول الا انه حرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات
كانه سعى عليهم ما افسدوه الى قوم اخرين وقبح عندهم ما فعلوه
بقول الا ترون الى عظيم ما ارتكبوه لا في دين الله فجعلوا امرهم بينهم فيما
بينهم قطعا ودل بهذا على اختلافهم فيه وسايبهم ثم توعدهم بعد ذلك
بان هو لا الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو يجازيهم على ما فعلوا ومما
يحط في هذا السلك ايضا قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته الاية فانه انما
قال فامنوا بالله ورسوله ولم يقل فامنوا بالله وبي حيث قال اولا
اني رسول الله اليكم لكي تجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولتعلم ان
الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص المسمى بانه النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا وغيري اظهارا للصفة وبعدا
عن التعصب لنفسه فقرر في صدر الاية انه رسول الله الى الناس وابت
ذلك في نفسه ثم لما خرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين
كثيرين قد ذكرتهما الاول اجراء تلك الصفات العظام عليه ٥
الثاني من خروج تهمة العصبية لنفسه فافهم ذلك **الضرب**
الثاني الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر فعل ذلك تعظيما لحال

للنصفه

من اجري عليه الفعل المستقبل وتفخيما لامره وبالضد من ذلك في حق من اجري
عليه فعل الامر **ومما** جا قوله تعالى يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن
بتاركي الهتنا عن قوله وما نحن للمومنين ازيقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون ولم يقل واشهدكم ليكون
موادنا له ومعناه لان اشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى
تثبيت التوحيد وسد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة
على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما
وجي به على لفظ الامر كما يقول للرجل لم يمس السري بينه وبينه اشهد علي
اني احبك بحكمه واستهانة بحاله وامثال هذا كثير فاعرفها
الضرب الثالث في الرجوع من خطاب المتكلم الى خطاب الجمع
ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد فمن ذلك قوله تعالى واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة
وبشر المومنين الا ترى الى هذا المعنى والتوسع في الكلام فانه نوع
الخطاب فبنى اولا جمع وجر فخاطب موسى وهرون عليهما السلم بالسوه والاختيار
وذلك مما يفوض الى الانبيا ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد
واقامة الصلاة لان ذلك واجب على الجميع ثم خص موسى صلوات الله عليه
بالاشارة التي هي الغرض تعظيما له وتفخيما لامره ولانه الرسول على الحقيقة
ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار وما لي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون هذا عدول عن خطاب الواحد الى خطاب الجماعة
انما ضرب الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه ابرز الكلام
لهم في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ويداريهم

ولان ذلك ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وفلوصح
قوله ومالي لا اعبد الذي وطرني مكان قوله ومالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم
طوركم الاترى الى قوله واليه ترجعون ولو لا انه صدد ذلك لقال
الذي وطرني واليه راجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال تعالى اني
امنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد سهتكم على
الصحيح الذي لا معدل عنه لان العباده لا تصح الا لمن منه مبتداوكم
واليه مرجعكم فانظر ايها المتامل لكتابنا هذا الى هذه الطرائق
التي اشرنا اليها في عصون هذا الكلام فان فيها ما سبيت من اللطايف
البليغه والفوايد العجيبه **القسم** الثاني من النوع الثالث
في الاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي
وهو قسم من التاليف لطيف الماخذ وهو المعري فالاول الاخبار
بالفعل المضارع عن الماضي اعلم ان الفعل المضارع اذا اتى به في حال
الاخبار عن وجود الفعل فان ذلك ابلغ من الاخبار بالفعل الماضي
وذلك لان الفعل المضارع وضع الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصوره
حتى كان السامع يشاهدها وليس ذلك الفعل الماضي **فمما** جاء منه
قوله تعالى الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت
فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فانه انما قيل فتثير
مضارعا وما قبله وما بعده ماض كذلك المعنى الذي اشرنا اليه وهو
حكايه الحال التي يقع فيها اثاره الريح السحاب واستحضار تلك الصوره
البديعه الدالة على القدره الباهره وهكذا يفعلون بكل فعل فيه
نوع تميز وخصوصيه بحال يستقرب لوبهم المخاطب او غير ذلك كما

ما تضمنه تابط شرا
فاضربها بلا دهش فخرت صريعا للذقين وللجران
لانه قصد ان يصور لقومه الحال التي يسجع فيها على ضرب الغول كانه يصرهم
اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على ذلك الهول وشجاعته
عند ذلك الشده ولو قال فضربتها لزالت هذه الفايده التي ذكرناها وسهمنا
عليها ومن هذا الباب قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح
الارض مخضره ان الله لطيف خبير الا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي
هنا فضا الى المضارع فقال فتصبح وذلك لافاده ما المطر زمانا بعد
زمان فكانه يقال انعم علي فاذا عام كذا فاروح واغدو شاكرا
له ولو قال فرحت وغدوت شاكرا له لم يقع ذلك الموقع فافهم ما اشرنا
اليه وتدبر فانه دقيق **واما** الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع
فهو عكس ما تقدم ذكره وفايدته ان الفعل الماضي اذا اخبر به عن الفعل
المضارع اذا لم يوجد بعد كان ابلغ واكد واعظم موقعا والحكم شانا
لان الفعل الماضي يعطي من المعنى انه قد كان ووجد وصار من الامور المقطوع
بها المحكوم بوقوعها وحدوثها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع
عن الماضي هو ان الفعل الماضي يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع
من الاشيا الهايله التي لم توجد والامور المتعاظمه التي لم تحدث فيجعل عند
ذلك مما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه **واما**
الفعل المضارع اذا اخبر به عن الماضي فان الغرض بذلك تبين هيه
الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كانه يعاينها ويشاهدها

فهذا هو القرين من الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع والاخبار بالفعل
المضارع عن الماضي فاعرفه ولنرجع الى ما نحن بصدده فمن الاول قوله للاخبار
بالفعل الماضي عن المضارع فمن ذلك قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين فانه انما قال
ففزع بلفظ الماضي بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع
وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل
الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به ومن هذا الجنس
قوله تعالى وبرزوا لله جميعا وبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيمة
وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر الله به لصدقه وصحته كانه
قد كان وجد ومثل ذلك قوله عز اسمه اتى امر الله فلا تستعجلوه فان اتاها بما
معنى ياتي وانما حسن منه لفظ الماضي لصدق اتيان الامر ودخوله في جملة
ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار ياتي بمنزلة قد اتى ومضى وكذلك
قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا فانه انما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وهما مستقبلان
للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا الملك الا هو ال
كانه قال وحشرناهم قبل ذلك مما يحشر في هذا السالك الاخبار باسم
المفعول عن الفعل المضارع وانما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي
وقد سبق الكلام عليه ومن ذلك قوله تعالى ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب
الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فانه انما
اتى باسم المفعول هاهنا على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات
معنى الجمع المبرز انه لا بد ان يجيء ميعاد امضروبا بجمع الناس وانه

الموصوف بهذه الصفة وان شيئا فوازن منه ومن قوله تعالى يوم يجمعكم
ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فانه يعبر على صحة ما قلت القسم
الثالث من النوع الثالث في علم الظاهر اعلم ان هذا القسم من مشكلات
علم البيان واسراره الغريبة وخفاياه المستطرفة العجيبة وهو مما
لم يذكره احد ممن تولى هذا الفن في كتابه ولا اشار اليه وسبب
الذهول عن ذكره في هذا الكتاب انا عثرنا على ذلك في كلام علي بن ابي طالب
صلوات الله وسلامه عليه في وصفه محاسن النبي صلى الله عليه وسلم وعند ذلك
طلبنا له مثلا او نظيرا في كلام العرب واشعارهم فوجدنا يذلك
واوردنا الكلام الوارد عن علي عليه الصلاة والسلام مما انتقاه من كلام العرب
في ذلك وانه انما استعرب وتسطر ولان العرب قد توسعوا في كلامهم
ويجوزوا الى غاية يذكرون كلاما يذل ظاهره على معنى اخر غير نفسه وخلافه
والاصل في ذلك انك تذكر كلاما تعطي معناه انه نفى لصفة شيء فاذا كان
وهو نفي الموصوف انه كان اصلا فاما قول علي بن ابي طالب عليه السلام
في هذا الباب فانه وصف محاسن النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا شيء
قبله اي لا ابداع قبله الا ترى الى طاهر ذلك ان يمر قبله عنه انها
لا ابداع وليس المراد ذلك بل المراد انه لم تكن ثم قبله اصلا ابداع
وهذا من اعجب ما وقفت عليه من علم البيان واطرفه واما ما ورد من
العرب في هذا الباب فنحو قول الشاعر

ولا ترى الضب بها ينحجر

فان ظاهر المعنى من ذلك
يعطي انه قد كان هناك ضب الا ترى انه غير منحجر وليس كذلك بل
المعنى المقصود هو انه لم يكن هناك ضب اصلا ينحجر فاعرف هذا

وقس عليه وانه اشباه كثيرة في كلامهم واشعارهم وفيما اشرنا اليه كفاية لمن له لب ومعرفة **القسم الرابع** من النوع الثاني في الجمع على المعنى
وذلك كتانيث المذكر وتذكير المونث وتصور معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد وحمل الثاني على لفظ الاول اصلا كان ذلك اللفظ او فرعا وغير ذلك اعلم ان هذا القسم من التاليف دقيق المسلك بعيد المذهب محتاج الى فضل معاودة وزيادة تامل وقد ورد في القران الكريم وفصيح الكلام منثورا ومنظوما فاما تانيث المذكر فكقول الشاعر

اتهجر شابا بالحجاز لفقعت به الخوف والاعداء بين كل جانب

ذهب بالخوف الى المخافة وقال الاخر

طول الليالي اسرعت في نقضي ○

وقال الاخر

تانفها الرالب المري ميتته سايل بني اسد ما هذه الصوت

فانه ذهب بالصوت الى الاستغاثة واعلم انه قد تشرع العرب تانيث فعل المضاف الى المذكر اذا كانت اضافته الى مونث وكان المضاف بعض المضاف اليه او منه او به ولذلك قرئ قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل الايمان اذ كان من النفس وبها وامثال ذلك كثيرة فاعرفه **واما** تذكير المونث فشايع في كلام العرب كقوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي اي هذا الشخص او هذا المري ولذلك قوله عز وجل فمن جاءه موعظة من ربه لان الوعظ والموعظة واحد وقالوا في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين انه اريد بالرحمة ها هنا المطر بدليل قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته **واما** حمل الواحد على الجماعة فكقولهم

هو احسن الشباب واجمله فافرد الضمير لان هذا الموضع يكثر فيه الواحد لفظه ومعناه احسن الشباب واجملهم وقال الله تعالى في الناس ومن الناس من يقول وقال ذو الرمة

ومنه اجمل المثلين وجها وسالفة واحسنه قذالا

فافرد الضمير مع قدرته على جمعه وهذا يدلك على قوة اعتقادهم في احسنية المواضع ولطف ما يقع فيها الا ترى ان هذا الموضع موضع جمع قد سبق في الاول لفظ الجمع فترك اللفظ وموجب الموضع وعدل الى الافراد من غير ضرورة فاقة فذكان يمكنه ان يقول ومنه اجمل المثلين وجها وسالفة واحسنهم قذالا ومن هذا النحو قول بعضهم

وقلنا اسلموا انا اخوكم فقد رثت من الاحن الصدور

يجوز ان يكون ذلك جمع اخ فذحذفت نونه للاضافة ويجوز ان يكون واحدا وقع موضع الجماعة كقول الشاعر ترى جوابها بالشحم مفتوقا والحمل على المعنى واسع في هذه اللغة واعلم ان العرب اذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ كقولك من سكرت احسنوا الى فعله وتقول شابت مفارقه وانما هو مفرق واحد ومما يوكد عندك ان العرب اذا حملت على المعنى لم تراجع اللفظ قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ثم قال تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال الى يحيي هذه الله بعد موتها الاية فان ذلك محمول على المعنى كانه قال ارايت الذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قريته

فجا بالثاني على ان الاول قد سبق كذلك وامثال هذا كثيرة **واما**
حمل الجمع على الواحد فكقوله تعالى ومن اسلم وجهه لله وهو محسن
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحمل اول الكلام على لفظ
الواحد واخره على لفظ الجمع واعلم ان العرب تعتبر تارة اللفظ وتارة المعنى
فتقول للشخص نسوة اذا وان عنوا موتنا وتقول للنفس انفس وان
عنوا رجالا لاجل اللفظ وتقول للشخص اذا عنوا موتنا وللنفس انفس
اذا عنوا مذكرا للمعنى فاعرف ذلك وقس عليه

القسم الخامس
من النوع الثالث
في التقديم والتاخير

وذلك مما يتعلق بعلم النحو فان لنا تقديما وتاخيرا في الكلام ولا تعلق
بالنحو ولنبين هذا بابه وسياتي ذكره اعلم ان التقديم والتاخير مما يخص
يقتضي ذلك اما خوفا من فساد المعنى واختلاله وسنورد كل ضرب من هذه
الضروب مشروحا مستوفى **فاما** الضرب الاول وهو ما كان التقديم فيه
هو الاولى والابلغ فذلك كتقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على
المبتدا وتقديم الظرف او الحال والاستثناء على العامل فمن ذلك تقديم المفعول
على الفعل وانما نعمد الى ذلك قصدا للاختصاص الا ترى ان قولك زيدا ضربت
ابلغ واكد من قولك ضربت زيدا لان في قولك زيدا ضربت يحصل له بالضرب
دون غيره وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لاحتمال ان يكون الضرب لغيره لانك
اذا قدمت الفعل كنت بالخيار في ايقاعه على اي مفعول شئت بان تقول
ضربت خالدا او بكرا او غيرهما واذا اخرته لزم الاختصاص للمفعول

ويدل على ذلك قول الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما زرقناهم ينفقون فانه انما قدم المفعول الذي هو الرزق على الفعل الذي هو
ينفقون لان الانسان قد ينفق مما ليس له فلو قدم الفعل فقال ومما رزقناهم
ينفقون سبق الى الوهم قبل ذكر المنفق جواز كونه مما ليس له ومع تاخيره
يزول الوهم ويرتفع ذلك اللبس ومن هذا النحو قوله تعالى اياك نعبد واياك
نستعين فان قوله اياك نعبد يخصص له بالعبادة دون غيره وكذا قوله
واياك نستعين وهذا بخلاف ما لو قال نعبدك ونستعينك فانه يحتمل ان
يكون العبادة والاستعانة لغيره كما اشرنا اليه في زيدا ضربت وضربت زيدا
فاعرف ذلك **واما** تقديم خبر المبتدا عليه فانه لا يعمد اليه ايضا
الا لضرب من الاختصاص كقولك زيد قايم وقايم زيد فاثبت له القيام
لا محالة وقولك زيد قايم انت بالخيار في اثبات القيام له او نفيه عنه فان
يقول صارت او قاعد او جالس او غير ذلك فمن هذا النحو قوله تعالى وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم من الله الاية فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا ان
حصونهم تمنعهم او ما نعتهم لان في تقديم الخبر الذي هو ما نعتهم على المبتدا
الذي هو حصونهم دليلا على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم
بمنعها اياهم وفي تصدير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على
تمكنهم في انفسهم انهم في غرة وامتناع لا يبالي معها احد بتعرض طامع او
قصد قاصد وليس شيء من ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم مانعتهم وممنعهم
ومن تقديم خبر المبتدا عليه قوله تعالى اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم فانه انما
قدم خبر المبتدا عليه في قوله اراغب عن الهتي لانه كان اهم عنده
وهو به سديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابرهيم

عن الهته وان الهته لا ينبغي ان يرغب عنها وهذا خلاف ما لو قال
انت راغب عن الهتي وقد سبق الكلام على ذلك فاعرفه **فاما**
الطرف فاعلم انه اذا كان الكلام مقصورا به الاثبات فان تقديم
الطرف فيه ابلغ من تاخيره وفايدة اسناد الكلام الواقع
بعده الى صاحب الطرف دون غيره واذا اردت بالكلام النفي فحسن
فيه تقديم الطرف وتاخيره وكلا الامرين له موضع يختص به ٥
فاما تقديمه في النفي فانه يقصد به تقديم تفضيل المنفي عنه
على غيره **واما** تاخيره فانه يقصد به النفي اصلا من غير تفضيل
وسياتي بيان ذلك عند ذكر الامثلة الدالة عليه **فاما**
الاول وهو تقديم الطرف في الاثبات فنحو قوله تعالى فذكرا انما انت
مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم فقدم الطرف على المصدر
هاهنا شديد في الوعد لا يكون عند تاخيره لانه يعطي من المعنى ان
ايابهم ليس الا الى الله المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس الا عليه
وذلك بخلاف ما لو قال ان ايابهم الينا ثم ان حسابهم علينا لان قوله ان الينا
ايابهم لا يحتمل ان يكون الاياب فيه الى غير الله لانه صدر الكلام
بالطرف واذا قال ان ايابهم الينا احتمل ان يظن المخاطب عند سماعه
ان ايابهم قبل قوله الينا ان يكون الاياب الى غيره ومن هذا الجنس
قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير فانه انما قدم الطرفين في قوله
له الملك وله الحمد ليدل بتقديمها على اختصاص الملك والحمد

لله لا غيره وكذا جا قوله تعالى من كفر فعليه كفره فان تقديم
الطرف هاهنا اشد موقعا من تاخيره وافخم شانا وذلك للدلالة
على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر وانه لا يتعداه وهذا
لا يخفى على من له معرفة بعلم البيان **واما** الثاني وهو
تاخير الطرف وتقديم على الشيء نحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه فانه انما اخر الطرف هاهنا لان القصد في الا حرف
النفي الريب فيه اثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون
واولاه الطرف لقصد ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في
قوله تعالى لا فيها غول وذلك بتفضيل الخمر الجنة على جميع
الدنيا بانها لا تعمل لا تعقل كما تعملها الدنيوية كانه قال
ليس فيها ما في غيرها من هذا من العيب والنقيصة فاخير
الطرف في قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه يقتضي النفي اصلا
من غير تفضيل وتقديم الطرف في قوله تعالى لا فيها غول
يقتضي تفضيل النفي عنه وهو خمر الجنة على غيرها من خمر الدنيا
وهذا مثل قولنا لا عيب في الدار وقولنا لا فيها عيب فالاول
قصد به ان ينفي عن الدار ان فيها عيبا اصلا وثبت انها خالية من
العيوب والثاني قصد به ان ليس فيها ما في غيرها من العرب فاعرف
ذلك وقس عليه فانه من دقايق علم البيان **واما** تقديم الحال
فنحو جاءني راكبا زيد وانما يعمل ذلك لضرب من الاختصاص ايضا وهذا
بخلاف قولك جاءني زيد راكبا لاحتمال ان يقول صاحكا او ماشيا او غير
ذلك **واما** الاستثنا فجاء هذا المجيء نحو قولك ما قام الا زيد احد

وما قام لحد الا زيدا والكلام على ذلك كالكلام على ما سبق
فاعرفه **واما الضرب** الثاني فهو ان يقدم ما الاولى
الخبر لان المعنى يحيل بذلك وتصطرب كتقديم الصفه او ما تعلق بها على
الموصوف وتقديم الصله على الموصول وتقديم العطف على المعطوف
عليه سواء كان بانا او نسقا الا عطف النسق في الواو وحده فانه جايز
نحو قولك قام وعمرو زيد وغير ذلك مما يرد مشروحا من هذا الضرب قول
بعضهم فقد والله بن لي عنا بوشك فراقهم صرد يصيح
فانه قدم بوشك فراقهم وهو معمول يصيح ويصيح صفه لصرد على صرد وذاك
فيما لا ترى انه يجوز ان يقال هذا البيت وزرد من موضع لذا وانما وقوع
المعمول حيث يجوز وقوع العامل وكما لا يجوز تقديم الصفه على موصوفها
فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها ومن هذا قول الاخر
فاصبحت بعد خط بهجتها كان تقرا رسومها قلما
فانه قدم خبر كان عليها وهو قوله خط وهذا وامثاله مما لا يجوز قياس
عليه والاصل في هذا البيت فاصبحت بعد بهجتها تقرا كان قلم خط رسومها
الا انه على تلك الحاله الاولى محتمل مضطرب وشبه بذلك قول الفرزدق
الى ملك ما امه من محارب ابوه ولا كانت كليب تصاهره
وهو يريد الى ملك ما امه من محارب اي ما ام ابيه من محارب وهذا
اقبح من الاول والشر اخلالا واما قوله
وليست حراسان التي كان خالد بها اسدا كان سيفا اميرها
فحدثنه طريف وذاك انه فيما ذكر مدح خالد بن الوليد وهجو اسدا
وكان اسد وليها بعد خالد وكانه قال وليست خراسان بالبلده التي كان

خالد بها سيفا اذ كان اسد اميرها وعلى هذا اسد امير في كان الثانيه
ضمير الشان في الحديث والجمله بعدها خبر عنها وقد يقدم بعض ما
اذ مضافه اليه وهو اسد عليها وفي تقديم المضاف اليه او سي منه على المضاف
من القبح ما لا خفاء به وايضا فان اسد احد جزي الجمله المفسره للضمير
والضمير لا يكون مفسيره الا من بعده ولو تقدم مفسيره قبلها احتاج الى
مفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول ومن هذا الجنس قوله
ملوك بسوس توارثوها سرادقها المقاول والقبابا
اراد ملوك بسوس توارثوها المقاول والقباب توارثوها سرادقها فقوله
بسوس المقاول والقباب صفه للملوك ايضا وموضعها التاخير فقدمها
وهو يريد بها موضعها كقولك مررت برجل بلحمها مار بهندا اي مار بهند
بلحمها فقدم الصفه الثانيه وهو معتقد تاخيرها وقد استعمل الفرزدق
هذا الضرب شعرا كانه يقصد ذلك في شعره ويتعمده لان مثل هذا لا يجيء
الا متكلفا مقصودا او الا فاذا ترك المولف نفسه تجري على سجيتها وطبعها
في الاسترسال من غير ان يكلفها التعقيد في الكلام فانها لا تاتي بمثل
هذه الاسباب الفسحه التي عيب في التاليف فاحش الا ترى ان المقصود من
الكلام معدوم في هذا الضرب المذكور لان المقصود من الكلام انما هو
الايضاح والابانه وافهام المعنى فاذا ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب
المراد به والمقصود منه وصار غير مفهوم منه عند ذلك ومن غيره من اللغات
كالفارسيه والرومية وغيرهما فاعرف ذلك واعلم ان من التقديم والتاخير
ما يا عجب المخبر كثير الفايده وافر اللطايف وهو باب الاستفهام فان حاجه
مولف الكلام اليه ماسه ولو ورد في كتابنا هذا منه ما يروق لابهى المتامل

وذهب بك في اه شخصا ذهل مذهب فتقول اعلم انك اذا بدات في الاستفهام
بالفعل فقلت افعلت كذا كان الشك في الفعل وكان غرضك من استفهامك
ان تعلم وجوده لا غير واذا قلت انت فعلت فبدات بالاسم كان الشك في
الفاعل وحده وهذا المعنى قايم في الهمزة اذا هي كانت للتقرير فاذا قلت
انت فعلت ذاك كان غرضك ان تقرره بانه الفاعل قال الله تعالى ءانت فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم حكايه عن قوم نمرود لانهم لم يقولوا ذلك لابرهيم عليه
السلم وعرضهم ان يقرهم ان هشر الاصنام كان وجد ان ذلك معلوم عندهم
وقد شاهدوه راي العين الاستفهام انما يكون عن شي لا يعلم وانما غرضهم
الاقرار بان ذلك حدث منه لانه قال صلوات الله عليه في الجواب بل فعله
كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت او لم افعل فالهمزة
مما ذكرنا تقرير الفعل فقد ان وانكاره لم كان وتوبيخ لفاعله عليه ولهذا
مذهب احتر وهو ان تكون الهمزة لانكار ان يكون الفعل من اصله ومثاله
قوله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا انكم لتقولون
قولا عظيما وقوله تعالى اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون فهذا
رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ما نودي الى هذا الجهل العظيم واذا
قدم الاسم في هذا صار الانكار في الفاعل تقول للرجل اذا انتحل شعرا
انت قلت هذا الشعر لست ممن يقول مثله فانكرت ان يكون هو القايل
ولم تنكر الشعر وقد يكون المراد انكار الفعل من اصله ثم يخرج اللفظ مخرجه
اذا كان الانكار في الفاعل مثال قوله تعالى قل الله اذن لكم فالاذن راجع الى
قوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ومعلوم ان
المعنى على انكار انه قد من الله اذن فيما قالوا بل من غير ان يكون هذا الاذن

قد كان من غير الله فاضافوه الى الله لان اللفظ اخرج مخرجه ليكون ابلغ في ذلك
ولقطا لله وتطييره قوله تعالى الذكرين حرم ام الانثيين فاخرج اللفظ مخرجه
اذ كان قد ثبت تحريم في احد اشيا ثم اراد معرفه عين المحرم مع المراد انكار
التحريم من اصله ويحي ان يكون قد حرم شي مما ذكروا انه محرم هذا هو الفرق
بين تقديم الاسم وتقديم الفعل الماضي فاذا كان الفعل مضارعا فالقول في ذلك
انك اذا قلت افعل لم تخل من ان تريد الحال والاستقبال فان اردت
الحال كان المعنى شبيها بالماضي فاذا قلت وان اردت الاستقبال كان المعنى اذا
بدات بالفعل انك تعد الى ايقاع الفعل نفسه وترعم انه لا يلوى وانه لا ينبغي ان
يكون فمثال الاول قول امري القيس

افاطلني والمشرفي مضاجعي ومسنونه زرق كانياب اغوال

فهذا انكر ان منه لانسان يهدده بالقتل وعلى هذا جا قوله تعالى الزمكموها
وانتم لها كارهون ومثال الثاني قولك للرجل يركب الخطر الخرج في هذا الوقت
انعرر بنفسك ومنه قول الشاعر

ايرلان قلت دراهم خالد يزيدته اني اذا للئيم

فان بدات بالاسم فقلت انت فعلت او قلت اهو فعل كنت موجها للانكار
الى نفس المذكور وانت ان تكون بمثابه من يجي منه الفعل اما لفضور همته
وعجزه مع ان يجوز ذلك في وسعه واما لارتفاع قدره وعلو همته فمثال
الاول قولك اهو يتاح للحمل هو اصغر همة من ذلك وقولك انت بمعنى
انت تاخذ على يدي يعني انك اعجز من ذلك ومثال الثاني قولك اهو
يسال فلانا هو ارفع قدرا من ذلك واعلم ان محض المعنى من الاستفهام الذي
نفسره بالانكار هو سببه للسامع حتى يرجع الى نفسه فيحجل ويرتدع قال الله

تعالى اقامت تميما بنصرها وتهدي الغيي المعنى على سبيل التمثيل او التشبيه كقولهم
انت تصعد الى السما لان اسماع الصم مما لا يدعيه احد ولذلك الصعود الى السماء
ومثله قول بعضهم

دع الوعيد فما وعيدك ضائري ... اطنين احمحه الذباب يصير

واعلم ان حال المفعول فيما ذكرناه حال الفاعل في ان تقديم اسم المفعول
يقتضي ان يكون الاخبار في طريق الاحالة والمنع من ان يكون ممتنا به من يوقع به
ذلك الفعل واذا قلت زيد يضرب انكرت ان يكون ممن له من يجبر اعليه وكذلك
الفعل اذا مت غير في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا قوله تعالى قل ارايتم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون وكان لذلك من
المزية والحسن والفخامة ما تعلم انه لو اخرت غير فقيل اتخذ غير الله وليا
وادعون غير الله لما كان مودى من المعنى ما كان تؤديه مع تقديمها وذلك
انه حصل بالتقديم معنى قولك ان يكون ممن له من يتخذ وليا او يرضى عاقل لنفسه
ان يفعل ذلك او يكون جهل الجهل وعمى اعمى ذلك ولا يكون شيء من هذا الذي
ذكرناه اذا قيل اتخذ الله وليا وذلك غير الله لانه تناول الفعل
ان يكون قط ولا يزيد على ذلك شيا هذا هو القول في الضرب الاول وهو
ان يكون تقديم الفعل لم يكن **واما الضرب الثاني**
وهو ان يكون تقديم الفعل لفعل موجود فان تقديم الاسم يقتضي شيئا بما اقتضاه
في الفعل الماضي من الاقرار بانه الفاعل او الانكار ان يكون هو الفاعل
فمثال الاول قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وقوله
تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فحكم المضارع
في الاية الاولى حكم الماضي في الاية الثانية ومثال الثاني قوله تعالى

امم يقسمون رحمة ربك فانهم ذلك واعلم اني قد الطفت بعض الكلام
في مسايل الاستفهام ليتبين ان للعربية اسرارا لا يطلع على حقايقها ولا تقدر
قدر مزاياها الا من يغذي بلبان البلاغة طفلا وينشا عليها كبيرا وصغيرا وسلك
مناهج هذا العلم وفاز منه بوفر الحظ والقسم ولا يتسع لهذا الضرب
من التاليف نطاق هذه الاوزان ولا يمكن ما تودع فيه من اللطايف صفحات ما حوزناه
بين هذه الصحايف والذي عليه مدار المعول فيما نورده بين المجمل والمفصل
هو البحث عن اسرار البلاغة والاناية عن الشي الذي به يشرف الكلام
ويحصل له المزية على سواه فتدبر ذلك ووقف عليه **القسم السادس**
من النوع الثالث في الاعتراض وهو شعبة من علم البيان سكانر محاسنها
اعلم ان الجايز من هذا القسم وغير الجايز انما يوخذ من كتب النحو فانه يكون
مستقصى فيها كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين
المعطوف والمعطوف عليه واشباه ذلك مما يجوز استعماله كالاعتراض
بين المضاف والمضاف اليه وبين ان واسمها وبين حرف الجر ومجروره وامثال
ذلك مما يقبح استعماله وليس هذا امكانه لان كتابنا هذا موضوع لمن استكمل
معرفة ذلك وغيره مما اشرنا اليه في صدر الكتاب وانما المشار اليه هاهنا
من الاعتراض ما فرق المولف به بين الجيد منه والردي لاما تعلم به الجايز وغير
الجايز فاعرف ذلك واعلم ان الاعتراض ينقسم قسمين احدهما الاتي في الكلام
الالفاية وهو جار مجرى التوكيد في كلام العرب والاخر ما يجي
في الكلام لغير فايدة فاما ان يجوز دخوله في الكلام فخروجه منه واما
ان يوثر في الكلام نقصا وفي المعنى فسادا فالاول وهو الذي ياتي في
الكلام لفايدة فمما جا منه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه

لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون هذا احد الامرين اللذين ادعيت انهما اعتراضان
احدهما قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم لانه اعترض به بين القسم الذي هو قوله فلا
اقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو انه لقرآن كريم وفي نفس هذا
الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو قسم وبين صفته التي هي عظيم
وهو قوله لو تعلمون وقد امثلنا اعتراضات كما ترى ولو جاء الكلام غير معترض
فيه لوجب ان يكون فلا اقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وفائدة هذا الاعتراض
بين القسم وجوابه انما هي تعظيم لشأن المقسم به في نفس السامع الا ترى الى قوله
تعالى لو تعلمون اعتراضا بين الموصوف والصفة وذلك واقع في الانفس لتعظيم
المقسم به اي انه من عظم الشأن وفخامة الامر بحيث لو علم ذلك وفي حقه
من التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر لعظيم بحيث لو تعلم يا فلان
عظمه لقدرته حق قدره فان ذلك يجبر في نفس المخاطب ويعظم موقعه عنده
ويبقى متطلعا الى معرفته ويترامى به وهمه الى اعلى المنازل واسمق المراتب
ومن هذا النحو قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على
وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الا ترى الى هذا
الاعتراض الذي طبق مفصل البلاغة فانه لم يوت به الا كيف وذلك انه
لما وصى بالوالدين ذكر ما كابدت الام من المشاق والمتاعب في حمل الولد وفصاله
الجاريا للموصى به بالوالدة وتذكيرا لحقها واتماحضها بالذكر دون الوالد لانها
تكلف من امر الولد ما لا تكلفه الوالد ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن قال له من ابرك ثم قال بعد ذلك اباك وما جاء على هذا الاسلوب
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

فقوله تعالى واذ قتلتم الخ تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
وفائدته ان يقرر في نفس السامعين وقلوب المستمعين ان قتلة بني اسرائيل في قتيل
ليدرأ القتل عن انفسهم لم ينفعهم في احقابه ولم يمنه لان الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه
ولو جاء الكلام خاليا من هذا الاعتراض لكان واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
فقلنا اضربوه ببعضها ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك
وبين ما ذكرناه معترضا به ومن هذا الجنس قول النابغة

يا دار عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لعينيك عبرة تتبع

وما عمري على يمين لقد وقفت طلا على الاقرع

فقوله يا دار عمرة من محتلها الجرعا هو محمود الاعتراض وما ذر لما فيه من تعظيم المقسم
به وعلى نحو هذا جاء قول الكميت

لوان الحاسدين وانت منهم رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وانت منهم من الاعتراض الذي يوكد به المعنى المقصود فيزداد به
مزية وبيلا وفائدته هاهنا التصريح بما هو المراد بنسبته الى الانفس وتقريره في
الاذهان وقال بعضهم لعبد الله بن طاهر احسن ما قيل في هذا الباب
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان وامثال هذا البيت
كثير فاعرفه واما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان
الاول ان يجوز دخوله في التاليف كخروجه منه لا يوثر حسنا ولا افتقارا فمن ذلك
قول النابغة

مقول رجال يحهلون حليمي لعل زيادا لا ابالك غافل

فقوله لا ابالك اعتراض لا فائدة فيه وليس يوثر في هذا البيت حسنا
ولا افتقارا ومثله قول زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم

ومن ذلك قول بعض المحدثين

ومهفهف ذكر الدمار ردائه اهدى لي ومعصفري شعاعا

فذكر المغرون بعد ذكر الرداء ما لا فائدة فيه البتة ومن هذا الضرب

قول ابن هانئ المغربي

فلا مهجة في الارض منك منيعة ولو قطرت في درعه قطر ارقم

فان قوله ارقط لا طائل تحته البتة ولا فائدة في ذكره اذ لا فضل للارقط

من الحيات على غيره من الالوان ولا مزية

ولمثل هذا الضرب الثاني الذي يكون موثرا في الكلام نقصا

وفي المعنى فسادا فمما جاء منه قول بعضهم

فقد والثناء من لي عنا بوشك فراقهم صرد يصيح

فان في هذا البيت من زدي الاعتراض ما ذكرنا وهو الفصل بين قد والفعل

الذي هو من ذلك قبيح لقوة اتصال قد بما يدخل عليه من الافعال الا تراها

تعد مع الفعل كالجزء منه ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل

على قد في قوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وفي قوله تعالى

ولقد عفوا المراستراه وقول الشاعر

ولقد اجمع رحلي تها حذر الموت واني لمصور

الا ترى اذا اتصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا يامن به نحو قولك قد والله

كان ذلك وقد فصل بين المبتدا الذي هو الشك وبين الخبر الذي هو

عناء بقوله لي وفصل بين الفعل الذي هو صرد وبين فاعله الذي هو صرد

غير المبتدا الذي هو عنا فجاء هذا البيت كما ترى فان فيه لاحقا به ومن

هذا الخامس قول الاخر

تطيف وتخشى مطلع الشمس ظله الى الغرب حتى ظله الشمس قد عمل

اراد يطرف مطلع الشمس اي جاد اما او على هذا التقدير وقد فصل بمطلع الشمس بين

المبتدا الذي هو ظله وبين خبره الجملة وهو قوله ظله الى الغرب واعلم

من ذلك ان الفصل بين الفعل وفاعله بالاجنبي وقد تقدم ذكره وهذا وامثاله

مما يفسد المعاني في ورودها الاختلال واعلم ان الشاعر في استعمال ذلك

اكثر ملامة من الناظم واعظم عتبا وذلك ان الناظم يحتاج الى اقامة

الوزن والقافية فيكون مجال الكلام عليه ضيقا في بعض الاوقات فلهذا طلب

اقامة الميزان الشعري لكلامه فلاجل ذلك يتسع عليه مجال التاليف

وتطلق عنانه فيهم كيف شاء ولهذا اذا اعترض في كلامه اعتراض يفسده

توجه اليه الانكار وخف عليه العيب واللام اكثر مما توجه على

الناظم النوع الرابع في الايجاز وهو حذف زيادات الكلام

هذا نوع من التاليف شريف لا يدانيه في بلاغته ومن ضرب

فيها بالقدح المعلى وذلك لعلو منزلته وبعد منناله والدليل على

ذلك انه اقل انواع التاليف استعمالا لانه لا يراد به هذه الصناعة واعلم

ان العرب اعتنوا بهذا الضرب من الكلام اعتناء زايدا ومما يدلنا على ايثار

القوم قوة ايجازهم وحذفهم في اصل كلامهم ما جاء من ابنية من الاسماء المبهمة

بها والاسماء المشروط بها فانهم استغنوا بالحرف الواحد عن الكلام

الكثير المشابهي في الطول فمن ذلك قولهم ما لك الا ترى انه قد اعمال هذا

عن قولك اعشر ما لك عشرون ام ثلثون ام ما هو ام الف فلو ذهبت تستوعب

الاعداد لم تبلغ الى ذلك ابدا ما دمت حيا فلما علت كم اعتك من الفظه

عن ذكر النابر بالضمر **واما الشرط** بفي قولهم من يقم اقم معه
كذا به من ذكر جميع النابر ايضا ولولا ذلك لاحتجنا ان نقول
ان يقم زيدا او عمرو او جعفر ونحو ذلك ثم نقف حسيرا منهوكا ولم
نجد الى عرضك سبيلا وكذلك يقيد اسما العموم في غير الايجاب
نحو احد ودبار وغيرهما فاذا قلت هل عندك احد اعناك ذلك عن ان
تقول هل عندك زيد او عمرو او جعفر فتطيل القول ثم بقصير
اقصار الكليل المنقطع وهذا وغيره اظهر امرا واذى صيغ وعرانا
فجميع ما ذكرناه هنا ساعدنا بصياصيهم القوم الى احتسابه
كلامهم وايجاز لعتهم واعلم ان جماعة من ارباب هذه الصناعه
اجمعوا على ان الكلام ينقسم قسمين منه ما حسن فيه الايجاز كالاشعار
والخطابات ومنه ما حسن فيه التطويل كالخطب والتعليقات السلطانيه
وكتب الفتوح التي قرأتي ملامن عوام الناس فان الكلام اذا طال في مثل
ذلك اثر عندهم وافهمهم ولو اقصر فيه على الايجاز والاشاره لم يقع
لاكثرهم حتى تقال في ذلك الحرب نطاعن الفرسان ونقاتلا واشتد
المصاع وحمي القراع وما جرى هذا المجرى ن والمذهب المختار في هذا
الباب ما اذكر لك وهو ان فهم العامه من الناس ليس شرطا معتبرا في احسانه
لان ذلك لو كان شرطا لوجب على قياسه ان يستعمل في الكلام الالفاظ العاميه
المبتذله عندهم التي قد تداولوها بينهم حتى يجوز ذلك اقرب الى فهمهم واسهل
ماخذا ومتنا ولا ان العله في احتيار تطويل الكلام اذا كانت فهم العامه
له ومعرفتهم به فلذلك يجعل نحن تلك العله نعينها في احتيار المبتذل من
الكلام لانه لا خلاف في ان العامه الى فهمه اقرب من فهم ما نقل

ابتذالهم اياه وبذلهم اياه وهذا شئ مدفوع لا يجوز استعماله البتة
وانما الذي يجب على مؤلف الكلام اعتماده هو ان يسلك المذاهب العويصه في البعد
ويجتهد ان لا يبتذل العاطه على معانيه مع الايضاح لها والابانه عنها فانه اذا
فعل ذلك خرج عن عهده الملامه وليس عليه ان يفهم العامه كلامه فان
نور الشمس اذا ملأ البصر الاعمى لا يجوز ذلك نقصا في استنارته وانما النقص
في بصر الاعمى حيث لا يستطيع النظر اليه قال الشاعر

على بحت المعاني من معادنها وما على بان لا يفهم البقر

وحيث انتهى القول بنا الى هذا الموضع فلنرجع الى ما هو غرضنا ومقصدنا
من الكلام على الايجاز وحده واقسامه ونوضح ذلك ايضاحا جليا فنقول
اعلم ان حد الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من اقرب طرقه وهو
ينقسم قسمين احدهما الايجاز بالحذف وهو ما حذف منه المفرد والجمله
لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون الا مما زاد معناه على لفظه ○
واما القسم الاخر فهو ما لا حذف منه شئ بل يقرن على حاله
وهو ضربان احدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير والاخر
ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر فاما القسم الاول وهو
الايجاز بالحذف وذلك باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الامر
شبيه السحر فانك ترى فيه ترك الذكر افصح من الذكر والصمت عن الافاده
ازيد للافاده وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق وايم ما تكون مبينا اذا لم
تبن وهذه جمله شكرها حتى تخبروه فيها حتى تنظروه وهذا القسم
يشتمل على اربعه عشر ضربا الاول الاكتفا بالسبب عن المسبب
والمسبب عن السبب وهو ضرب من الكلام شكاثر محاسنه وتتزايد

لطايفه فاما الاكتفا بالمسبب عن المسبب فكقوله تعالى وما تلك
العشر اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا
فتطاول عليهم العمر كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى له وعليهم
ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي على عادة احتصار القران الكريم لان
تقدير الكلام ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى موسى الى عهدك قرونا
كثيرة فتطاول على اهلها وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امتداد الوقت
الوحي فانذرت لعاقوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وعرفناك الحكم
بقصص الانبيا واما الاكتفا بالمسبب عن المسبب فكقوله تعالى فاذا
قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم تاويله والله اعلم اذا اردت
قراة القران فاكتفى بالمسبب الذي هو القراة عن السبب الذي هو الارادة
ومن ذلك قوله تعالى وقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه فاكتفى بالمسبب
الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب وكذلك قوله تعالى اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم اي اذا اردتم القيام اليها واعلم انه قد ورد
في القران الكريم ما هو سبب وهو بعينه سبب وهو بعينه مسبب
كقوله تعالى فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى الاترى
ان العبارة النهي من لا يومن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن متابعة
الصاد له عن التصديق بالبعث فقد صحت العبارة اذ لا تداهدين
المعنيين وذلك ان صد الكفار عن التصديق بالبعث سبب التكذيب
فذكر السبب ليدل به على المسبب وكانه قال لا تكذب بالبعث وايضا فان

هذا الانكار سبب عن رجاوه الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل
به على السبب كانه قال لين شديد الشكيمة في الدين ولا تكن رخوا حتى لا يلوح
منك لمن يعتريك البعث انه يطمع في صدك عما انت عليه وهذا نحو قولهم
لا ارينك ها هنا المراد نهيه عن مشاهدته وليكون بحضرته وذلك
سبب دونه اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب وهذا من اطرف
ما ورد في بابه فاعرفه الضرب الثاني من القسم الاول
من النوع الرابع وهو الاضمار على شرطه التفسير وذلك حذف الجملة
من الكلام اذا كان ما بعدها يدل عليها وفيها من دقيق الصنعة وجليل
الفايدة ما لا حاد فمما جا به قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال
مبين تقديره الا يه افمن شرح الله صدره للاسلام ومن ذلك حذف
المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا تقديره لا يستوي من انفق من قبل الفتح ومن انفق بعده
ومن قاتل ومن قاتل بعده اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا
ومن هذا الضرب حذف المعلل لقوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام
قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال
ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا
فقوله ولنجعله تعليل معلله محذوف اي وانما فعلنا ذلك لنجعله
اية للناس ومبين به اثر قدرتنا الباهرة ومن الاضمار على شرطه
التفسير حذف المفعول الواردة بعد المشية والارادة كقوله تعالى

ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم فمفعول شاء هاهنا محذوف يقدر
ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها على نحو من ذلك جاء قوله
تعالى احمقهم على الهدى الايه ومن هذا الضرب قول الشاعر

لو شئت لم يفسد سماحة حاتم كرما ولم يقدم ما ثر خالد

الاصل في ذلك شئت ان لا يفسد سماحة حاتم لم يفسدها احد فحذف ذلك
من الاول استغناء بدلالته عليه في الثاني فان الواجب في حكم البلاغة ان لا
ينطق بالمحذوف ولا يظهر الى اللفظ ولو اظهرته لصرت الى نحو هذا الشعر
ويجيء المشبه بعد لو بعد حروف الجزاء هكذا موقوفه غير متضمنة
الى شيء كثير سائغ من البلغاء ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد حتى
انهم لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب نحو قوله تعالى لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء الايه وعلى هذا الاسلوب
جاء قول الشاعر

ولو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

فلو كان على حد قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب ان يقول
لو شئت لبكيت دما ولكن ساحة الصبر اوسع ولكنه ترك تلك الطريقه
وعدل الى هذه لانه اليق في هذا الكلام خصوصا وسبب حسنه انه كان
مدعاة حسنا ان يشاء الانسان ان يبلغ دما فلما كان مفعول المشيه امرا عظيما
وبلوغا غير يسير كان الاحسن ان يذكر ولا يضمر فاعرف ذلك

الضرب الثالث من القسم الاول من النوع الرابع
وهو حذف المفعول به وذلك مما نحن نصدده اخص فان اللطائف فيه
اكثر واعجب كقولنا فلان يحل ويعقد ويبرم وينقض ويضر وينفع

وعلى هذا جاء قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو اماث واحيا ومن
بديع ذلك قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون
ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير
فقير فالمفعول به في هاتين الآيتين قد حذف في اربعة امكنة
اذ المشيه وجد امة من الناس يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهما
لان الغرض ان يعلم انه كان من الناس سقي ومن اولئك امرأتين ذودا بهما
قالتا لا نسقي ما سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلم
بعد ذلك سقي فاما يكون عنهما او ابلا او غير ذلك فحاد عن العرض
وامثال هذا كثيرة فاعرفها

الضرب الرابع من القسم الاول من النوع الرابع وهو حذف الفعل وحواله فاما حذف الفعل
فكقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على ان
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهداك لا بد له من
اضمار القول اي وقلنا له وان جاهداك اياها الانسان لتشرك بي ما
ليس لك به علم فلا تطعهما ومن هذا الباب قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا فان في هذا الكلام محذوفا تقديره
ووصى بالوالدين احسانا ولذلك قوله عز اسمه ولقد قال لهم هرون من قبل
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم
ضلوا الا تتبعني افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي اني

حيث ان يقول هرون بن بني اسرائيل ولم ترقب قولي الا ترى ليس حذف الفعل
في هذا الموضع مكروها فان بقديره فلما رجع موسى الى قومه وراى ما هم عليه من
الحال من عبادة العجل قال لاخيه يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا
الا تتبعني واخذ بلحيته وراسه انكارا عليه وغضبا قال له هرون في
الجواب يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ومن هذا الضرب ايقاع الفعل
على ضمير وهو لاحد شيئين كقوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم
فاوقع الفعل من اجمعوا على امركم وشركاءكم وما هو لامركم وحده
وانما المراد اجمعوا امركم وادعوا شركاءكم لان معنى اجمعوا من اجمع
الامر اذا نواه وعزم عليه وقد قرأ ابي فاجمعوا امركم فادعوا شركاءكم
وهذا دليل على ما اشركنا الا به ولذلك هو مثبت في مصحف عبد الله
بن مسعود فاعرف ذلك ومن حذف الفعل باب نبيل اقامة المصدر مقام
الفعل وهو باب لطيف الماخذ وانما يفعل ذلك الضرب من المبالغة والتوكيد
كقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب قوله فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الاعناق ضربا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه وفي ذلك
اختصار مع اعطاء التوكيد المصدري فاعرفه واما حذف
جواب الفعل فانه يكون في الامر كقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه لاخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بايتنا
فدمرناهم تدميرا الا ترى كيف حذف جواب الامر في هذه الاية فان
تقديره فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بايتنا فذهبا اليهم
فكذبوهما فدمرناهم تدميرا فذكر منا ستي الصفة اولها واخرها
لانهما المقصود من الصفة بطولها يعني الزام الحجة بتعنيف الرسل واستحقاق

المدبرين بتكذيبهم ومن ذلك ايضا قوله تعالى قالوا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف
وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله
الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب الاية اعلم ان في جواب الامر من هذا الكلام محذوفا بعدين
فارسله معنا ليرتع ويلعب ومما يدلنا على ذلك ما جاء بعده من قوله تعالى فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه انا اسمك
بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان الاية
فجواب الامر في هذا الموضع محذوف وتقديره فارسلوه الي يوسف فاتاه فقال
له يوسف ايها الصديق ولذلك قوله تعالى وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول
قال ارجع الى ربك فاسله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم
قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه فحذف هذا الكلام حذفا واختصارا
استغنى عنه بدلالة الحال عليه وبقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف
فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطبكن فانظر ايها المتامل الى هذه المحذوفات
الى كانها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناه وبيانه ودلالة الحال عليه
وعلى نحو من ذلك ينبغي ان يكون الحذوف فاعرفها ان شاء الله تعالى القسم
الخامس من القسم الاول من النوع الرابع وهو حذف المضاف الى المضاف اليه
واقامة كل منهما مقام الاخر وذلك باب طويل عريض سائغ وان كان ابو الحسن
الاخفش لا يرى القياس عليه فاما حذف المضاف فكقوله حتى اذا
فتحت ماجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف من ياجوج
وماجوج وهو صدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى واسئل القرية

المزرالجاس

اي اهل الغيرة ومن هذا الضرب قوله تعالى ولكن البر من اتقى بحذف
كان تقديره ولكن ذا البر من اتقى والاول اجود كان حذف المضاف ضرب من الاتساع
والخبر اولى بذلك من المبتدا لان الاتساع بحذف لا عجاز اولى منه بحذف
الصدور وقد حذف المضاف مكررا نحو قوله تعالى فقبضت قبضة من
اثر الرسول اي من تراب اثر فرس الرسول وهذا الضرب اكثر اتساعا من غيره

واما حذف المضارع فاليه وكقوله عز وجل لله الامر من قبل ومن
بعد اي من قبل ذلك ومن بعده الضرب السادس من القسم الاول من
النوع الرابع وهو حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الاخر
واكثر ذلك يجيء في الشعر وانما كانت كثرته في الشعر دون الكلام المنثور
لان القياس يكاد يحظره وذلك لان الصفة تاتي في الكلام على ضربين
اما للتاكيد والتخصيص واما للمدح والذم وكلاهما من مقامات
الاسهاب والتطويل لا من مقامات الايجاز والاختصار واذا كان الامر
كذلك لم يلق الحذف به هذا ما يضاف الى ذلك من الالتباس وضيق
البيان الا ترى انك اذا قلت مررت برجل طويل لم يبن من ظاهر هذا اللفظ
الممرور به انسان هو ام رمح ام ثوب غير ذلك واذا كان الامر كذلك فالحذف
الموصوف انما هو شيء قام الدليل عليه او شهدت به الحال وكلما استبهم
الموصوف كان حذفه غير لائق ومما يؤكد عندك ضعف حذف الموصوف
انك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك ان نعوت الصفة جملة
نحو مررت برجل قام ابوه ولقيت غلاما وجهه حسن الا ترى لو قلت مررت
قام ابوه ولقيت وجهه حسن لم يجز واعلم ان قد قامت الصفة الجملة
مقام الموصوف المبتدا في قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك

الا ترى انه لا يجوز ان يقام احد وصفي الصفة واقامة الموصوف مقامها فانه لا يكون
الا فيما دلت الحال عليه فمن ذلك ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم سير عليه
ليل اي سير عليه ليل طويل وانما حذفت الصفة في هذا الموضع لما دل
من الحال على موضعها وذلك انه يحسن في كلام القائل له لا بد من التصريح
والتطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل ونحو ذلك وانت
تحسن ذلك في ابن يفسد اذا ملته وهو ان يكون في مدح انسان والثنا
عليه فيقول اذا بدا ان والله رجلا مزيدي في قوة اللفظ ما لله في هذه الجملة
ويمكن في ضبط اللام واطالة الصوت بها اي رجلا فاضلا او شجاعا
او كريما او ما جرى هذا المجرى من الصفات ولذلك يقول سالناه فوجدناه
انسانا ويمكن الصوت بالسين وتفخيمه وتستغني عن وصفه بقولك انسانا
سمحا او جوادا او ما اشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف الصفة فاما ان عريت
من الدلالة عليها من اللفظ او الحال فان حذفها لا يجوز الا ترى لو قلت
ورددنا البصر فاحسر ما لا له على رجل ورايتنا انسانا ثم سكت لم يفد ذلك
شيئا لان هذا ونحوه مما لا يخلو ذلك المكان منه وانما المقصود ان تصف
من ذلك ما ذكرت فان لم تتعمل بعد ذلك علم ما لم يدل عليه وهذا لغو
من الحديث وجور في التكليف ومن حذف الصفة ما روي في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد اي لا صلاة كاملة
او فاضلة ونحو ذلك فاعرف ما اشرنا اليه وتدبره فانه ضرب من الكلام
دقيق وغور من العربية عميق

الضرب السابع

من القسم الاول من النوع الرابع وهو حذف الشرط وجوابه فاما حذف
الشرط فنحو قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون

الا ترى ان الفاء في قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة
فان لم تخلصوا لي العبادة في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من
حذفه تقديم المفعول مع افادته تقديمه مع الاختصاص والاخلاص ومن هذا الضرب
قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه اى فحلق فعليه فدية
ولذلك قولهم الناس يجزون باعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا
اى ان فعل المرء خيرا اجزي خيرا وان فعل شرا اجزي شرا وحذف
الشرط قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث
فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون اعلم ان هذه الفاء التي
قوله تعالى فهذا يوم البعث هي الفاء التي في قول الشاعر

فقد جئتم حراسانا وحقيقتها انها جواب شرط محذوف
دل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد
بنا فقد جئتم خراسان وان لنا ان نخلص ولذلك هذه الاية تقول تعالى
ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي قد تبين بطلان قولكم
وامثال ذلك كثيرة فاعرفه **واما** حذف جواب الشرط
وكقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين فان جواب الشرط هاهنا محذوف وتقديره ان
كان القران من عند الله وكفرتم انتم ظالمين ويدل على هذا
المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وامثال هذا
كثيرة وهو ضرب من علم البيان متوفر لطائفه فاعرفه ٥

الضرب الثامن من القسم الاول من النوع الرابع

في القسم وجوابه واما حذف القسم فنحو قولك لافعلن
او بالله او غيره مما من الاقسام المحلوف بها واما حذف جوابه فكقوله
تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك
قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق
مثلها في البلاد فان جواب القسم هاهنا محذوف وتقديره لتعذبن
او نحوه وقد دل على ذلك ما تعده من قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد
الى قوله سوط عذاب ومن هذا النحو قوله تعالى ق والقران المجيد
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب فان معناه
والقران المجيد لتبعثن والشاهد على ذلك ما جاء بعده من ذكر البعث في
قوله ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقد ورد هذا الجنس في
القران الكريم كثيرا **الضرب** التاسع من
القسم الاول من النوع الرابع في حذف لو وجوابها وهو من اللطف
وظروف الايجاز واحسنها فاما حذف لو فكقوله تعالى ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض
واما حذف جوابها فنحو قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب فان جواب لو هاهنا محذوف وتقديره لرايت
امرا عظيما وحالا هائلة او غير ذلك مما جرى هذا المجرى ومن هذا
الجنس قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون

تقديره لو يعلم الوقت الذي يستعجلونه وهو وقت صعب شديد يحيط بهم
فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على رفعها عن انفسهم ولا يجدون
ناصرا ينصرهم لما كانوا يملك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال لكن
جهلهم به هو الذي هونه عليهم ومن ذلك ايضا قوله تعالى لو ان لي بكم
قوة او اوي الى ركن شديد الاية فجواب لو في هذا الموضع محذوف كما حذف
في قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي لو ان لي بكم قوة لدفعتكم ومنعتكم
او ما اشبهه وكذلك قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي لكان هذا
القران **الضرب** العاشر من القسم الاول من النوع
الرابع في جواب لما وجواب اما وجواب اذا فاما حذف جواب لما فكقوله
تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك
كان ما كان مما ينطوي به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما
وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد طوله وما اشبه
ذلك مما اكتسبا هذه المحنة من عظائم الوصف دنيا واخرة وقوله تعالى
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتحويل ما حولهما من الفرح والسرور بعد
تلك الشدة العظيمة واما حذف جواب اما فنحو قوله تعالى
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم واما حذف جواب
اذا فمثاله قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم
ترحمون وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين الا ترى كيف
حذف الجواب عن اذا في هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله الا كانوا
عنها معرضين كانه قال تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم

لعلكم ترحمون اعرضوا ثم قال وذا بهم الاعراض عن كل اية وموعظة **الضرب**
الحادي عشر من القسم الاول من النوع الرابع في حذف لا من الكلام وهي مراده
وذلك لقوله تعالى يا الله تذكر توسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
فقوله تفتؤ نرمذ به لا نفسه فحذف لا من الكلام وهي مراده وذلك
والمعنى يالله لا تزال تذكر يوسف ومن هذا الضرب قول امرئ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

تقديره لا ابرح قاعدا فحذف لا في هذا الموضع وهي مراده فاعرف ذلك
وقس عليه **الضرب** الثاني عشر من القسم الاول
من النوع الرابع في الاستيناف وهو حذف السوال المقدر وذلك ضرب
من التاليف لطيف الامر عجيب المغزى ولا تجد بابا من ابواب الحذوف
احسن ماخذا منه ولا اطرف خبرا وهو ينقسم قسمين الاول اعاده الاسما
والصفات اعلم ان هذا القسم يجي تارة باعاده اسم من تقدم الحديث عنه
كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجي باعاده صفته
كقولك احسنت الى زيد صدقك العزيم اهل لذلك منك وهو احسن
من الاول وابلغ لانطوايه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه فمما جاء من هذا
الباب قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون اعلم انه لما قيل هدى للمتقين اختص المتقون بان الكتاب لهم هدى
فاتجه لسايل ان يقول ما بالهم خصوا بذلك فوقع قوله الذين يومنون بالغيب
الى اخره كالجواب له وجي بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا

بها من الله عز وجل اللطف والاختصاص على غير مراي الدين هذه عقائدهم
واعمالهم احصابان بعيد بعيد الله وان تعظيم الفلاح وان خلت بقوله
تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى اخر قوله وبالاخرة هم يوقنون نابعا للمتقين
وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمتقين بهذه الصفات قد اختصوا
بالهدى فاجيت بان اولئك الموصوفين غير مستعدان يفوزوا دون الناس
بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا فافهم ذلك وتدبر رموزه ودقائقه
الثاني الاستيناف بغير اعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى
ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون اتخذ من دونه الهة ان يردني
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين
اني امنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر
لي ربي وجعلني من المكرمين اعلم ان مخرج هذا القول مخرج الاستيناف
لان ذلك من مقال المسلم عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال له كيف
حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك الصلب والدس والسحق لوجهه
بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول
وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما ولذلك قوله تعالى يا ليت قومي
يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد ومن هذا القسم ايضا
قوله تعالى يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب اعلم ان مخرج
الفرق بين اثبات الفا في سوف هو له تعالى قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم ومن حذف الفاها هنا في هذه الايد اثباتها وصل ظاهر

بحرف موضوع الوصل وحذفها وصل خفي يدبري بالاستيناف الذي هو
جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا ماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا
وعلمت انت هناك سوف يعلمون فوصل بارة بالفا وتارة بالاستيناف للمتقين
في البلاغة على عاده بلغا العرب واقوى الوصلين واملغهما الاستيناف
وهو قسم من اقسام علم البيان سكاثر محاسنه فاعرفه **الضرب**
الثالث عشر من القسم الاول من النوع الرابع في حذف الواو من الكلام
واثباتها اعلم انه حذفت الواو واثبت في مواضع فاما اثباتها فكقوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم واما حذفها فنحو
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف
الواو واثباتها في كل المواضع وانما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين
الاثنين لا غير وليس لك في ذلك رسما سعه فمقول اعلم ان كل اسم نكره جا
خبره بعد الا يجوز اثبات الواو في خبره وحذفها كقولك ما رايت
رجلا الا وعليه ثياب وان شئت الا عليه ثياب فان كان الذي يقع على النكره
ناقصا فلا يجوز الا حذف الواو نحو قولك ما اظن درهما الا هو كافيك
ولا يجوز الا وهو كافيك لان الظن يحتاج الى شبر فلا تعترض فيه بالواو ولانه
يصير كالمكفي من الافعال باسم واحد وكذلك اخواتها ظننت وكان
وان وما اشبهها فخطا ان تقول ان رجلا وهو قايم او اظن رجلا وهو قايم
وما كان رجل الا وهو قايم ونحو ذلك ويجوز هذا ونحو ذلك في ليس خاصه
تقول ليس احد الا وهو قايم لان الكلام يتوهم تمامه بليس وتحرف نكره الا
ترى انك تقول ليس احد وما من احد فجاز فيها ولم يجز في اظن لانك لا تقول
ما اظن احدا فاما اصح واسمى ورايت فان الواو فيهن استهل قوام

في حال وكان واظن ونحوهما سين على البعض الا اذا دامت كان تامة ولذلك
في السبره وغيرها نحو لا رجل وما بن رجل فجوز انباب الواو فيها وحذفها
فاعرف ذلك ومن الضرب الرابع عشر من القسم الاول من النوع الرابع
في الحذف الذي يوجب الاخلال في الكلام وذلك ما حذف من اصل
اللفظ وهو اسقاط بعض حروفه ولا يحسن استعماله في التاليف لانه يجوز
كان العرب قد اوردته في اشعارها واستعملته في كلامها فحذف بعض الالفاظ
استخفافا فاحدها لحل بالمعاني ويعرضه بالشبهه الا ترى الى قول علقمه

كان ابريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم

فقوله بسبا الكتان يريد بسبا الكتان ولذلك قول لبيد

درس المنا بمتالع فابان اراد المنازل وعلى نحو من هذا جا
قول ابي داود

مدرين جندلا جايرا نحوتها فكانما مدكي سنابكها الحبا

اراد الحباحب وهذا وامثاله قليل جدا فاعرفه واما ايها المولف
ان يستعمله في كلامك وان كان جايزا وقد ورد في اشعار العرب مثله
واما القسم الباني من النوع الرابع فهو الاختصار من غير حذف
وذلك ضربان الاول ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير فمما جا
من قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره كلا لما يقض ما امره فقوله
قتل الانسان دعا عليه وقوله ما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمه الله عز
وجل ولا ري اسلوبا اغلظ من هذا الدعا والتعجب ولا احسن متاولا ادل
على سخط مع تقارب طرفيه ولا اجمع للايمة على وصمته ثم انه اخذ في صفة

جاله من ابتدا احدوثه الى منتهى زمانه فقال تعالى من اي شي خلقه من نطفة خلقه
فقدره اي هياه لما يصلح له من السبيل ميسره اي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن
امه والسبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر والاول اولى لانه نال
خلقته وتقديره ثم بعد ذلك يكون تيسير سبله لما اختاره من طريقي الخير والشر
ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه ثم اذا شا انشره اي احياه كلا رد ع
للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره اي لم يقض مع تطاول زمانه ما امره
الله عز وجل به يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط الا ترى الى هذا الكلام الذي
لو اردت ان تحذف جزا من اجزايه لما قدرت على ذلك لانك تذهب بجز
من معناه ويختل عليك نظمه فان اسقطت الجمله الاولى التي هي صدور الكلام
زال معنى الدعا عليه وان اسقطت الجمله الثانيه زال معنى التعجب من كفران
نعمه ربه وان اسقطت الجمله الاستفهاميه او غيرها زال ما تضمنه من المعنى
الذي لولاها لما كان فاعرف ذلك ومن هذا الضرب قول علي بن جبله

وما الامر حاولته عنك مهرب ولو حملته في السما المطالع
بلى هارب ما تهتدي لمكانه ظلام ولا صوب من الصبح ساطع

فهذا هو الكلام البدي الفاظه وفاق معانيه فانه قد استعمل على مدح رجل
بشمول ملكه وعموم سلطانه وانه لا مهرب عنه لمن حاوله وان صعد السما
ثم ذكر جميع المهارب في المشارق والمغارب واشار الى انه بلغ الضيا والظلام
وذلك مما لم ترد عبارته على المعنى الممدوح بمثله ولا قصر عنه ومن هذا
النحو ما جا في كتاب النوادر وهو قول بعضهم

ما اقرب الاشيا حين يسوقها قدر وابعدها اذا لم تقدر
فسل اللبيب تجد لبيبا مثله من يسع في علم يلب ويعمر

وتدبر الامر الذي تعني به لا خير في عمل بغير تدبر

فلعل نجد المروءة وهو مقصر ويحب سعي المرء غير مقصر

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل امر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضا لدفع معور عن معور

فهذا هو اللفظ الرضي والكلام العلي والمنهج القويم والصراط المستقيم وقل نحنه اذا وقع سمعك وتوسك اذا سكن قلبك قد وقع في درجات الاعجاز الى ان كاد يبلغ اساحته الاعجاز وامثال ذلك كثيرة في كلام العرب وفيما ذكرته كفاية ومقنع فاعرفه **الضرب** الثاني من القسم الثاني من النوع الرابع فيما زاد معناه على لفظه ويسمى هذا الضرب الايجاز بالقصر والقرآن الكريم ملآن من ذلك فمنه قوله تعالى من قتر وعليه قدره فهذه كلمة جامعة لما لا غاية وراءه ولا مزيد فوقه من المصادر لان من ضاره فقره فقد احاطت به كل مضرة ولذلك قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى وقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم من الامور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره وعلى نحو من ذلك قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فان هذه الاية من اجمع اية في القرآن الكريم وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن اخي اعد فاعاد النبي صلى الله عليه وسلم قرأتها عليه

فقال له ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول بشر ومن هذا الضرب ايضا قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فانها ملاك كلمات تشتمل على امر الرسالة وشرايعها واحكامها على الاستقصاء واما قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فانه قد جمع في هذه الاية جميع مكارم الاخلاق لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الريبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك من اشياء لا تحصى وفي الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما وقال بعض الاعراب في الدعاء اللهم هب لي حمقك وارض عني خلقك الا تراني الى هذه الكلمات ملحوق من المعاني الجمة من العفو عن الزلل والتجاوز عن الذنب وغير ذلك مما جرى هذا المجرى واما ارصاد الخلق مطوي على اشياء طالما لا تستغرقها الذكر ومن ذلك قوله تعالى اولئك لهم الامن وهم مهتدون فانه دخل تحت الامن جميع المحبوبات لانه ينفي به ان يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة وزوال النعمة واشباه ذلك من اصناف المكاره وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول لاخر فقال الله ما اهمك فقال هذه البلاغة فاعرف ذلك واعلم ان الاصل المعتبر في الايجاز بالقصر انك تذكر شيئا يقع على محتملات متعددة الا تراني الى قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقوله فاصدع بما تؤمر وقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى اولئك لهم الامن وهم مهتدون فان هذه الايات جميعها جارية في المنهاج الذي اشرنا اليه من انك تذكر شيئا يقع على

محتملات متعددة وامثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة ومن الاخبار ما لفظ
باب سبعي باب افعل وهو المفضيل من شئين لاشتراكهما في الصفة التي
يفضل بها احدهما على الاخر فمن ذلك قوله تعالى قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا
فقوله خير عند ربك ثوابا من الكفار وانما قال خير ثوابا وقد علم
ان مفاخرات الكفار ليس لها ثواب حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه
لان ذلك على طريقة قولهم بحسبه بينهم ضرب وجيع فكانه قال
ثوابهم النار ثم بني عليه خير ثوابا وفي ذلك ضرب من التهكم الذي
هو اعنط للممدد لهم ان يقال له عقابك النار فان قيل فما وجه
التفضيل في الخبر بين مفاخرات الكفار وثواب الصالحات قلت
هذا من اوجز كلام العرب ومثله قولهم الصيف احر من الشتا
اي ابلغ من حره من الشتا في برده وهذا حايز من بعض وكذلك البرد
ايضا فقول العرب الصيف احر من الشتا اي ان حر الصيف في بابه
ابلغ من برد الشتا في بابه مثال ذلك ان حر الصيف قد بلغ انهى درجاته
وبرد الشتا لم يبلغ انهى درجاته بل يكون قد بقي منه وبين نهايته البرد
درجة ودرجات فيكون حر الصيف بالنسبة الى حره اصل الحر ابلغ من
برد الشتا بالنسبة الى اصل البرد وهذا مثل قولهم العسل احلى من
الخل وليس في الخل حلاوة حتى يصل حلاوة العسل عليها وانما المعنى
في ذلك كالمعنى في الاية الاولى وامثال هذا كثيرة وقد ورد في

القرآن الكريم مواضع منه كقوله تعالى في سورة الفرقان واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون
كانت لهم جزاء ومصيرا وقد علم ان جهنم ليس فيها خير حتى يجعل الجنة
خيرا منها بل هي شر محض وعذاب لا خير فيه الاصل في هذه الاية ما
اشرنا اليه اولا فاعرفه ان شا الله تعالى

النوع الخامس من الباب الاول
من الفن الثاني في الاطناب

اعلم ان النوع من انواع علم المعاني شديد الالتباس كثير الاعتراض
وذلك ان جماعة الائمة المشهورين في هذه الصناعة قد جعلوه بمنزلة
التطويل الذي هو ضد الايجاز وهذا غلط فاحش فمن جملة الائمة
الذين ذكروا ذلك ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين فانه قال
في كتابه الاطناب في الكلام انما هو تمام والتمام لا يكون الا صحيحا بالاستيفاء
فاضل الكلام اسهبه والايجاز للخواص والاطناب يشترك فيه الخواص
والعوام ولا مرية ما اطنب في الكتب السلطانية في افهام الرعاع وكما ان الايجاز
له موضع فكذلك الاطناب له موضع الحاجة الى الايجاز في موضعه كالحاجة
الى الاطناب في موضعه وقال النبي صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس
على قدر عقولهم ومن استعمل الايجاز في موضع الاطناب او الاطناب
في موضع الايجاز فقد اخطا ولا شك ان الكتب الصادرة عن السلطان
في الامور العظيمة في الفتوح مواقع النعم المجددة او في الترغيب
في الطاعة والتحذير من العصيان وغير ذلك ينبغي ان يكون متسعة مستقصاة

الاترى ان كتاب المهلب الى الحجاج فتح الازاقه الحمد لله الذى كفى الاسلام بعد
ما سواه وحبل الحمد متصلا بعمته وقضى ان لا ينقطع المزيد من فضله حتى
تنقطع الشكر من خلقه فمرانا ورعدونا على حالين مختلفين يرى فيهم ما سرنا
اكثر مما سوءنا ويرون فينا ما سوءهم اكثر مما سرهم فلم نزل ذلك
دابنا ودابهم ينصرنا الله ويخذلهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتاب بناوبهم
اجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين واما
حسن هذا الكتاب لكونه فى موضعه فاما لو كتب الى العامه وقد
تطلعت نفوسهم الى معرفه ذلك الفتح العظيم وتصرفت بهم قلوبهم فى
امر مجاب فى اقبح صوره عندهم واسمجها واعلم ان الاطناب بلاغه
والتطويل عى فان الاطناب بمنزله مسلوك طريق بعيد يرمه بحوك
على زياده فائده تما تأخذ النفس منه من اللذه والتطويل بمنزله سلوك ما
تعد جهلا بما تقرب فهذا حكايه كلام ابى هلال العسكرى ولنذكر نحن ما
عندنا فى ذلك فنقول اما قول ابن هلال الاطناب فى الكلام انما هو
تمام فان البيان فى اصل اللغه هو الظهور والوضوح فكون الاطناب
على قوله ظهورا فى الكلام ووضوحا لا غير ويلزم على ذلك ان يكون كل كلام
ظاهر واضح اطنابا باستواء ان ذلك الكلام الخبرا او غيره من اصناف
علم البيان وهذا مما لم يذهب اليه احد لان ابا هلال قد جعل الاطناب
وصفا من الاوصاف التى يشترك فيها جميع ضروب الكلام وذلك ان البيان
وصف نعم كل كلام ظاهر واضح من الخبرا او تطويل او تكرير او غير ذلك
وليس الامر كما وقع له بل الاطناب نوع واحد من انواع الكلام فان اصله
فى وضع اللغه من اطنب فى الكلام اذا بالغ فيه والمبالغه لها وجوه وطرق

كالاخبار بالفعل الماضى عن المضارع وبالمضارع عن الماضى وتوليد الضمير
المنفصل من المتصل وغير ذلك مما اشرنا اليه فى كتابنا هذا ومن جمله
الوجوه والطرق التى للمبالغه الاطناب وسائر ذكره وتحقيق القول فيه
عند الفراغ من الاعتراض على كلام ابى هلال واما قوله ان
البيان لا يكون الا بالاشباع لانه جعل الاطناب بيانا فى القول الاول
وهذا لا يخلوا من حالين اما انه يعنى بالاشباع ان يوصل المعنى
الى حقيقة ما خود ذلك فى الشبع يقال شبع فلان اذا وصل فى الكلمه
الى حقه وبعدها نهايه فان كان يعنى بالاشباع ما ذكرناه فان ذلك امر
عام لجميع ضروب الكلام من الايجاز والتكرير والمقابله والتفسير
وغيرها مما اشرنا اليه فان كل ضرب من هذه الضروب المذكوره اذا وصل
فيه الكلام الى حقه تكون اطنابا فذلك من اعجب الاشياء واطرفها
وان كان يعنى بالاشباع الزياده على قدر ما يستحقه الكلام ويحتاج اليه
فذلك هو التطويل بعينه واذا كان الامر على هذا الوجه فتكون قد جعل
الاطناب والتطويل سواء وذلك اعجب من الاول واما قوله
افضل الكلام ابينه فانه يلزم من هذا القول ان التطويل فى الكلام
اذا كان واضحا مبينا يكون من افضل الكلام وذلك مما لا توافق عليه بحال
من الاحوال بل كان يحتاج الذى فى قوله ان افضل الكلام ابينه الى قرينه
اخرى وهو ان كان قال افضل الكلام اوجزه وابينه فانه لو قال
ذلك لكان قوله صوابا لا خلاف فيه واما قوله وكما ان الايجاز
له موضع فكذلك الاطناب له موضع والحاجه الى الايجاز فى موضعه
كالحاجه الى الاطناب فى موضعه ومن استعمل الايجاز فى موضع الاطناب

والاطناب في موضع الايجاز فقد اخطأ فكانه وهم من هذا القول ان
الاطناب ضد الايجاز واذا كان الامر كذلك فهو التطويل بعينه ومما قوي
هذا النوع قوله ايضا ان الايجاز للخواص والاطناب يشترك فيه الخواص
والعوام واما قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خاطبوا الناس
على قدر عقولهم فان كان عرضه من قول النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة
كل فريق من الناس بما يفهمونه فهذا لا يتعلق بصنف واحد من صنوف الكلام
اطنابا كان ذلك او ايجازا او غيرهما اذ الافهام تستمل انواع الكلام
جميعا ومتى لم يحسن الكلام مفهوما واضح المعاني فليس عندنا محسوبا
في جملة علم البيان ولا بعده من صناعة التاليف بشيء وقد يخاطب
مؤلف الكلام العامة باوحش الخطاب واحصره وهم يفهمون مع ذلك
قوله ويعرفون خطأ كان الاصل في الكلام انما هو لكشف معانيه للمخاطب
وايضاحها له وسواء عند ذلك خوطب به الخاصة او العامة فاعرف
هذا وقس عليه ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس على
قدر عقولهم اي كلموهم بما يعرفونه من الالفاظ ويعتادونه بينهم
من الكلام كما كتب عليه السلم الى كسرى ابرويز فقال من محمد رسول الله
الى كسرى ابرويز عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله
وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وبعد فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على
الكافرين فاسلم تسلم وان ابيت فاثم المجوس عليك وكتب عليه السلم ايضا الى
قوم من العرب فقال لوائل بن حجر من محمد رسول الله الى الاقيال الجاملية

اهل حضرموت باقام الصلاة وآتاء الزكاة على السعة الشاة السمة لصاحبها
وفي السيوف المحلى والاخلاط والاوراط ولا شناق ولا شغار ومن احبى فقد
اربى وكل مسكر حرام فسهل الالفاظ في كتابه الى كسرى ابروز غاية التسهيل
بحيث انها لا تخفى عن من له ادنى تشبث بلغة العربية ولما كتب الى اولئك القوم
من العرب خاطبهم بما يقوى عليه قدرتهم وهم معتادون لسماع مثله فهذا
هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس على قدر عقولهم
وليس المقصود من ذلك ما ذهب اليه ابو هلال العسكري من مخاطبة قوم
بالايجاز وقوم بالاطناب الذي هو على قياسه محض التطويل واذا
كان الاصل في الكلام انما هو وضوحه وبيانه فما الفائدة في تطويله
مع القدرة على اختصاره واجازه واما قوله ان الاطناب
بلاغة والتطويل عي فهو لعمري كذلك الا انه على اصله هجون وقد جعل
البيان بلاغة لان الاطناب عنده انما هو بيان ويلزم على ذلك ان التطويل
في الكلام اذا كان ذا بيان يكون بليغا وهذا مما لم يذهب اليه احد
البتة لانه قصد الصواب واما قوله ان الاطناب بمنزلة سلوك
طريق بعيد زهده يحتوي على زيادة فايدة بما تاخذ النفس منه من اللذة
والتطويل بمنزلة سلوك ما بعد جهلا مما يقرب فان هذا تمثيل صحيح
مناسب لما مثل به الا انه كان محتاجا الى زيادة ايضاح وهو ان يجعل
المعنى المراد في كلام ما بمنزلة المقصد الذي يتوجه اليه المسافر ويجعل الى
ذلك المقصد طريقان احدهما قريب اليه والاخر ان بعيد عنه مساويان
في البعد ويجعل الدلالة على ذلك المعنى المراد بالايجاز بمنزلة الطريق القريب
ويجعل الدلالة عليه بالتطويل بمنزلة احد الطريقين البعيدين ويجعل الدلالة

عليه بالاطناب منزله الطريق الاخر المساوي له في التعبد الا انه يزيد ويحتوي
على زياده فائده بما اخذ التعبد منه من اللذه فهذه تلك بمثيلاتها مناسبه
لما سلك به فاعرفها وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع وفرغنا من الكلام على
ما ذكره ابو هلال في باب الاطناب فلنورد نحن ما عندنا في ذلك فنقول
اعلم ان الاطناب في اصل اللغه ماخوذ من اطنب في الكلام اذا بالغ فيه
وقد ذكرنا ذلك اولا في الاعتراض على كلام ابي هلال واعلم ان المبالغه تنقسم
الى اقسام ثلثه وقد سبق ذكر منتهاه لاخبار بالفعل الماضي عن المضارع
والمضارع عن الماضي وسياتي ذكر الباقي في اثنا هذا ومن جمله اقسام
المبالغه الاطناب وفائدته زياده المنصور للمعنى المقصود اما حقيقةً واما
مجازا وهو على الحقيقه ضرب من ضروب البلاغه **فاما**
ما جاء من ذلك على سبيل المحافظه فقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه فان الفائده في قوله تعالى في جوفه كالفائده في قوله القلوب
التي في الصدور وذلك للتحصيل للسامع من زياده المقصور المدلول عليه لانه
اذا سمع به صور لنفسه جوفا تشتمل على قلبين فجاز ذلك اسرع الى الانكار
واما الذي جاء منه على سبيل المجاز فقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ففائده ذكر الصدور ها هنا انه قد يعبر
وتعلم ان العمى على الحقيقه مكانه وهو ان يضاف الحدقه بما يطمس نورها
واستعماله في القلب استعاره ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المتعارف
من نسبه العمى الى القلوب حقيقه ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر
الى زياده تصوير وتعريف لسفر الى مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار
وهذا نوع من انواع علم البيان واوفر اللطائف شيرا المحاسن ومنبع لطوائف

النوع السادس

الكلام العنايه به والمراعاه فاعرفه
من الباب الاول من الفن الثاني في توكيد الضمير المتصل
بالمنفصل وانما يفعل ذلك لضرب من المبالغه فمما جاء منه قوله تعالى فاوجس
موسى اما ان يلقى واما ان يكون نحن الملقين وقولهم يا موسى اما ان يلقي وبين
منهم له وحسن ادب دعاوه معه كما يفعل ارباب الصناعات اذا بلغوا في
تقديم بعضهم على بعض كالمناظرين قبل ان يحاضروا في الحذاق وانما قالوا
واما ان نكون نحن الملقين ولم يقولوا واما ان يلقى قالوا يا موسى اما ان يلقي
لرعيتهم في ان يلقوا وتشوقهم الى المقدم عليه وذلك لما فيه من تاكيد
الضمير المتصل بالمنفصل ومما جرى على هذا المنهاج قوله عز وجل فاوجس
في نفسه خيفه موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فتوكيد الضمير هاهنا
في قوله انك انت الاعلى ابقى للخوف من قلب موسى واثبت في نفسه العلبه والقهر
ولو قال لا تخف انك الاعلى او لا تخف فانت الاعلى لم يحز له من التقرير والاثبات
لنفي الخوف من قلب موسى ما لقوله انك انت الاعلى والدليل على ذلك ان في هذه
الثلث كلمات وهو قوله تعالى انك انت الاعلى ست فوايد الاولى ان المشار اليه
الى من شانها الاثبات لما ياتي بعدها كقولك زيد قايم ثم تقول ان زيدا
قايم ففي قولك ان زيدا قايم من الاثبات لقيام زيد والتقرير له ما ليس في
قولك زيد قايم الثانيه تكرير الضمير في قوله تعالى انك انت الاعلى
ولو اقتصر على احد الضميرين فقال انك الاعلى او فانت الاعلى لما كان بهذه
المثابه من التقرير لعلبه موسى والاثبات لقهره الثالثه لام التعريف
في قوله تعالى الاعلى ولم يقل انك انت اعلى او عال لانه لو قال ذلك لكان قد
نكره وكان صالحا لكل واحد من جنسه لقولك لرجل فانه يصلح ان يقع على كل

واحد من الرجال واذا ملت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف
وجعلته علما فيهم ولذلك قولك انا انت الا على اي انت الا على دون غيرك
الرابعة لفظة افعل الذي من شانه التفضيل ولم يقل العالي الخامسة
اثبات العلية له من العلو لان الغرض من قوله الا على اي الا غلب
الان في الا على زيادة وهي العلية من عال السادسة الاستيناف وهي
قوله انا انت الا على لانه لم يجعل علمه اتقا الخوف عنه كونه غالبا
وانما نفى الخوف عنه اوله بقوله لا تخف ثم استانف الكلام فقال انك
انت الا على فكان ذلك ابلغ في ايقان موسى عليه السلم بالغلبة والاستعلا
واثبت لذلك في نفسه فهذه ست فوايد في هذه الكلمات الثلث فانظر
ايها المتامل الى هذه البلاغة العجيبة التي تحير العقول وتذهب الالباب
ولا مر ما اعجز هذا الكلام العزيز الملجا والخصم الفصيحا ورجل فرسان الكلام
فان قيل لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل ابلغ من الاقتصار على احدهما
لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه في كتابه حيث هو احق بما هو ابلغ من
الكلام وقد رايناه في القران الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد
فيها احد الضميرين دون الاخر كقوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل
شيء قدير ولم يقل انك انت على كل شيء قدير فما الموجب لذلك اذا كان توكيد
الضمير المتصل بالمنفصل ابلغ في بابه من الاقتصار على احدهما دون الاخر
فقد كان يجب ان يرد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه لانه احق بالابلغ من الكلام
وان كان الامر بخلاف ذلك فكيف قلت ان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل ابلغ
الجواب عن ذلك انا نقول توكيد الضمير المتصل بالمنفصل

انما يرد في الكلام لتقرير المعنى المقصود واثباته في النفس وما يختص
بالله تعالى لا يفتقر الى تقرير ولا اثبات لانه اذا قيل عند ذكره على كل
شيء قدير لم يحتج في ذلك الى توكيد حتى يحقق ويتبين انه على كل شيء قدير
قد علم وعرف ان قدرته تتعلق بكل شيء وانها جارية على كل مخلوق فصار هذا
الامر المعروف المشهور الذي لا شك بمعرفته ولا مرية بمعرضته وهذا سبيله
في الوضوح والبيان فما الحاجة به الى التوكيد اذ التوكيد من شانه تقرير
المعنى المراد واثباته في النفس وقوله تعالى انك على كل شيء قدير لا يحتاج فيه
الى تقرير ولا اثبات فان قيل فقد ورد في القران الكريم ايضا عند ذكر الله
نفسه كلا الضميرين المنفصل والمتصل كقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان
اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما
في نفسك انك انت علام الغيوب فما قال انك على كل شيء قدير فما السبب في
هذا وهلا كان الجميع شرعا واحدا الجواب عن ذلك
انا نقول توكيد الضميرين احدهما بالاخر في هذه الاية لا نقص علمنا ما
اسرنا اليه اولا لاحتمال ان وقع الاقتصار على احدهما دون الاخر
كان القول في ذلك ما تقدم في الاية الاولى وان جيء بهما معا فلان
ذلك ابلغ في بابه واكد والله تعالى احق بما هو ابلغ من الكلام
واكد ولتمثل لك في استعمال الضميرين معا والاقتصار على احدهما
دون الاخر مثالا تسمعه فتقول اذا كان المعنى المقصود ظاهرا
معلوما قد ثبت في النفوس ورسخ في الالباب فانت بالخيار بين ان

تؤكد احد الضميرين الاخر في الدلالة عليه ويجوز ان يقتصر على احدهما دون
الاخر لانك اذا اولدت الكلام فيه فقد اعطيت المعنى حقه وان لم
تولد الكلام فلانه لا يحتاج الى تاكيد لشانه وظهوره واذا كان المعنى
المقصود خافيا ليس بظاهر ولا معلوم فالاولى ان يولد احد الضميرين
فيه والاخر لتقريره وتكسبه وضوحا وبيانا الا ترى الى قوله تعالى
في خبر موسى عليه السلم قلنا لا تخف انك انت الاعلى فانه لما كان ظهور موسى
على السحرة وقهره لهم امرا مستترا في ضمن الغيب لا يعلم ولا يعرف واراد الله
عز وجل ان يحيره بذلك لتذهب عنه الخوف والحذر اتى بالابلغ من الكلام
ليكون ذلك اثبت في نفس موسى واقوى دليلا عنده في انتفاء الخوف عنه فوكد
الضمير المنفصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى ولو قال انك الاعلى او فانت الاعلى
لجاز ذلك ايضا احتراز الموسى بنفي الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن
ليس له من التقرير في نفس موسى عليه السلم ما لقوله انك انت الاعلى فاعرف
ذلك وقس عليه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين فان اراده السحرة والالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده
لانهم لم يصرحوا بما في انفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم
لموسى بمثله الى ما تولد منه ما هو لهم بالضمير المتصل بالمنفصل على انهم يريدون
التقدم عليه والالقاء قبله لان من شان مقابلة خطابهم لموسى بمثله ان كان
قالوا اما ان تلقي واما ان نلقي لكون الحملتان متقابلتين فحيث قالوا اعن انفسهم
واما ان نكون نحن الملقين استدل بذلك على رغبتهم في الالقاء قبله وهذه معان
لطيفة ورموز غامضة لا تنسبه لها الا الفطن اللبيب فاعرفهما

النوع السابع من الباب الاول من الفن الثاني في الكناية والتعريض

اعلم ان هذا النوع من الكلام موقعا شريفا ومحلا رفيعا وهو مقصور

على النبل مع المعنى وترك اللفظ حايا وذلك نوع من علم البيان لطيف وقد
تكلم جماعة من المولفين في هذا الفن ووجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض
ولم يفرقوا بينهما بل اوردوا لهما من النظم والنثر وادخلوا احد القسمين
في الاخر وذكروا الكناية امثلة من التعريض والتعريض امثلة من الكناية
فمنهم ابو محمد بن سنان الخفاجي وابو هلال العسكري والثعالبي فاما ابن سنان
فانه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

قفرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضت فذلت صعبة اي اذلال

وهذا مثال صرفه للكناية عن المباضعة وهو مثال التعريض وسنورد لك
انها الناظر في كتابنا هذا فرقا بين الكناية والتعريض وميز احدهما عن الاخر
لتعرض فلا منهما على الانفراد فنقول اما الكناية فهي ان يذكر
الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كنى الله عز وجل عن الجماع بالمس فان حقيقة
المس هي الملامسة بقال مسست الشيء اذا المسته ولما كان الجماع ملامسة بالابدان
وزيادة امر اخر اطلق عليه المس مجازا وضد الكناية التصريح واما
التعريض فهو ان يذكر شيئا يدل به على غير ما ذكره واصله اللوح عن عرض
الشيء من جانبه واعلم ان بين امرئ القيس الذي اورده ابن سنان الخفاجي مثالا
للكناية هو عن التعريض فان غرضه من ذلك ان يذكر الجماع غير انه لما
استفتح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاما اخر ودل به عليه لان التصريح الى الحسنى
ورفه الكلام لانهم منهما اما اراده امرئ القيس من المعنى وذلك مما لا خفاء
به فما عرفه وحتى نفرق بين الكناية والتعريض وحتى نميز ما لا منهما عن الاخر
فلنفصلهما ونذكر اقسامهما ولنبدا اولا بالكناية فنقول

اعلم ان الكناية على ضربين احدهما ما حسن استعماله وهو الذي نحن بصدد ذكره

ما هنا والاخر ما لا يحسن استعماله وهو عيب في صناعة التاليف

فاما الضرب الاول وهو الذي يحسن استعماله فانه ينقسم الى اربعة اقسام الاول التمثيل وهو التشبيه على سبيل الكناية وذلك ان يراد الاشارة الى معنى يوضع الفاظ على معنى اخر ويورى تلك الالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا ثقي الثوب اي منزه عن العيوب والكلام بهذا فائدة لا يجوز لو قصد المعنى بلفظه الخاص وذلك لما يحصل للسامع من زيادة المصدر المدلول عليه لانه اذا صور في نفسه مثال ما خوطب به كان اسرع الى الرغبة فيه والرغبة عنه فمن بديع التمثيل قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فانه مثل الاغتياب باكل الانسان لحم انسان اخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الاخ ولم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا ثم جعل ما هنا في العبارة من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه اربع دلالات واقعة على ما قصدت له مطابقة للمعنى الذي وردت لاجله

فاما تمثيل الاغتياب باكل الانسان لحم انسان اخر مثله فشديد المناسبة جدا وذلك لان الاغتياب انما هو ذكر مثالب الناس وتمزيق اعراضهم وتمزيق العرض مماثل لاكل الانسان لحم من يغتابه لان اكل اللحم فيه تمزيق لا محالة

واما قوله لحم اخيه في الاغتياب من الكراهة لان العقل والشرع معا قد اجمعا على استكراهه وامر انزله والتعبد عنه ولما كان كذلك جعل تمثيله لحم الاخ في كراهته ومن المعلوم ان لحم الانسان مستكره عند انسان اخر مثله الا انه لا يكون مثل كراهة لحم اخيه فهذا القول بالغ في استكراه الغيبة لا مدفوعها

واما قوله ميتا فلاجل ان المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها

واما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بانها من اذم الخلال ومكروه الافعال عند الله عز وجل والناس فانظر ايها المتامل لهذا التمثيل كيف طابق قصد لما مثل به بجده من ابلغ التمثيلات وابعدها مثالا لانك متى نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التي اوردناها امثالا رايتها مناسبة لما قصدت له فتمزيق العرض مثل اكل الانسان لحم من يغتابه لان ذلك تمزيق على الحقيقة ولحم الاخ لاجل المبالغة في الكراهة والميت لامتناع الاحساس به واتصال ما هو مستكره بالمحبة لما في طبع الانفس من الشهوة للغيبة والميل اليها فاعرف ذلك ومن هذا القسم قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فمثل البخيل باحسن تمثيل لان البخيل لا يمد يده بالعطية كالمغلول الذي لا يستطيع ان يمد يده واما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لانه قد قال تعالى ولا تبسطها كل البسط وكانه اراد ولا تجعل يدك مغلولة كل الغل ولا تبسطها كل البسط فناب ذكر العنق عن قوله كل الغل لان غل اليد الى العنق هو اقصى الغايات الى حرف العادة بغل اليد اليها

ومن امثال العرب اما لك وعقله الملح وذلك ممثل المراة الحسناء ثبت السولان عقيله الملح في الدره

ومن التمثيل قول ابي الدميه

اسيا في بمعنى بديد فاوجع ام صيرتني في شمالك

اي اهدى امنزلتي كريمة عندك ام هينة عليك فذكر اليمين وجعلها مثالا لاكرام المنزلة وذكر الشمال وجعلها مثالا لهوان المنزلة لان اليمين اشرف مكانة من الشمال واكرم محلا وفي القرآن العزيز

مايدل على ذلك وهو قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب الاية فلما جا الى ذكر الشمال قال
الله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم
لا بارد ولا كريم الاية فاعرف ذلك وقس عليه **القسم**
الثاني من الكتابة في الارداف وهو اسم سماه به قدامة بن جعفر
الكاتب اعلم ان اكثر علما هذه الصناعة قد ادخلوا الارداف في
التمثيل وفي الفرق بينهما اشكال ودقة فاما التمثيل فقد
سبق الاعلام به وهو ان يراد الاشارة الى معنى موضع الالفاظ على
معنى اخر ويكون ذلك الالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي
قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا فلان نقي الثوب
اي منزه عن العيوب واما الارداف فهو ان يراد الاشارة
الى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويوتى بما هو دليل عليه ورادف
له كقولنا فلان طويل النجاد والمراد طويل القامة الا انه لم يلفظ
بطويل القامة الذي هو الغرض ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة
ولبس نقا الثوب بدليل على النزاهة عن العيوب وانما هو تمثيل
لها فاعرف ذلك واعلم ان الارداف يتفرع الى خمسة فروع الاول
فعل المادة نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او كذب بالحق لما جاه فان المراد بقوله تعالى لما جاه اي انه سفيه
الراي يعني انه لم يتوقف في تكذيبه وقت ما سمعه ولم يتعمل ما يفعل
المراجيح المعقول المتبوعون في الاشيا فان من شانهم اذا ورد عليهم
امرا وسمعوا خبرا ان يستعجلوا فيه الروية والفكرة ويتانوا في تدبره

الى ان يوضح لهم صدقه او كذبه الا ترى الى معنى قوله تعالى كذب بالحق
لما جاه اي انه ضعيف العقل عازب الراي فعدل عن ذلك الى ما هو دليل
عليه ورادف له وقوله تعالى لما جاه وذلك اكد وابلغ ومن هذا
الباب ايضا قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى
وقال الذين كفروا للحق لما جاهم ان هذا الا سحر مبين والكلام على
دليله كالكلام على الذي قبله فاعرفه **الفرع** الثاني من
الارداف وهو باب مثل ودليل دقيق الصنعة لطيف المعرى اعلم
ان العرب ما تى بمثل في هذا الموضع تولد اللكلام وفيدا من
ان يقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبيح مثلي لا يفعل هذا اي انا لا افعله
فنفى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصدا للمبالغة فسلك
به طريق الكناية لانه اذا نفاه عن مثاله وشابهه فقد نفاه عنه لامحاله
وكذلك ايضا قولهم مثلك اذا سيل اعطى اي انت كذلك وهو كثير
في الشعر القديم والمولد والكلام المشور وسبب تولد هذه
المواضع بمثل انه كان يجعل من جملة هذه اوصافهم هيبتا للامر
وتمكينا له ولو كان فيه وحده لما لق منه موضعه ولم يرس منه ومثل
ذلك قولهم في مدح الانسان انت من القوم الكرام اي لك في هذا الفعل
سابقة وانت حقيق ولست دخيلا فيه وقد ورد هذا الباب
في القران الكريم كقوله تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير
وهذا كقولهم مثلك لا يبخل ومعناه التنحي عن مثله وهم يريدون نفيه
عن ذاته قصدا للمبالغة لانهم اذا نفوه عن سيد مسده وهو على اخص

اوصافه حضر يقرره عنده ونظير ذلك قولك المغربي المذنب لا احمر الدم
وهذا ابلغ من قولك ليست لا تحمر الدم وليس فرق بين قوله تعالى
ليس كمثله شيء وبين قوله ليس مثله شيء الا من الجهة التي بيناها عليها
فاعرفها **الفرع** الثالث من الارداف وهو ما ياتي في
جواب الشرط وذلك من لطيف الكنايات واحسنها من هذا قوله تعالى
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث
فهذا يوم البعث كانه قال تعالى ان كنتم منكرين البعث فهذا
يوم البعث فلي بقوله فهذا يوم البعث عن بطلان قولهم وكذبهم
فيما ادعوه وذلك ارداف له ونظيره قولك كنت تذكر حضور زيد
فها هو اي فانت كاذب وهذا من دقايق الكناية فاعرفه
الفرع الرابع من الارداف وهو الاستثناء من غير موجب
وذلك من غرائب الكناية لقوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع الاية
والضريع نبت دوشوك يسميه قريش الشبرق وفي حال خضرته وطراوته
فاذا يبس سمته الضريع والابل ترعاه طريا ولا تقربه يابسا والمعنى ليس لهم
طعام اصلا لان الضريع ليس بطعام البهايم فضلا عن الانس وهذا مثل
قولك ليس لفلان ظل الا الشمس وتريد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد وذلك
رادف لانتفاء الظل عنه فهو ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام وعلى نحو
من هذا جاء قول بعضهم

ويفردوا بالمكرمات فليت لي لسواهم منها سوى الحرمان

والمراد نفي المكرمات عن سواهم لانه اذا كان لهم الحرمان من المكرمات فما لهم منها
شيء البتة وامثال ذلك كثيرة فاعرفها **الفرع** الخامس من الارداف

وليس مما تقدم شيء وذلك نحو قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم والمعنى
المراد من هذا الكلام انك اخطأت وبئس ما فعلت وقوله لم اذنت لهم
ما ان لما كنى عنه بالعفو اي بما لك اذنت لهم وهلا استأنيت فذكر العفو
دليل على الذنب ورادف له وان لم يذكر ولذلك حاقوله تعالى فان لم يفعلوا
ولن يفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين قيل
لهم ان استبنيم العجز عن المعاوضة فاتركوا المعاندة فوضع قوله فاتقوا النار
موضعه لان ابقاء النار لصفته وصميمه من حيث انه من شانه وورادفه
لان من ابى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لجنده ان ارتم الكرامة
عندي فاحذروا سخطي وبريدي فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما يوجبه
السخط وورادف له ومن هذا الباب قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم
تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا الا ترى الى لطافة هذه الكناية فانها افادت
تكذيب دعواهم ودفع ما ينحلوه وفائدتها هنا انه دعي في تكذيبهم
ادب حسن حيث لم يصرح بلفظه فلم يقل لم تؤمنوا لان فيه نوع استفتاح في الخطاب
ووضع قوله لم تؤمنوا الذي هو نفي لما ادعوا ما به موضعه لان ذلك رادف
له ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى قال الملا الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما
ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون جوابا عن سؤالهم
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اثبات العلم برسالته وانه من الامور
الظاهرة المسلمة التي لا يدخلها ريب ولا يعترضها شك لكن عدل عن ذلك
الى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الايمان به اعني بصالح
انما صح منهم ثبوت نبوته عندهم والعلم برسالته اليهم فالايمان به اذن

دليل على العالم بانه نبي مرسل وهذا من دقايق الاوصاف والطافه وامثال
ذلك كثير كقول الاعرابيه في حديث ام زرع نصف زوجها
له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمع صوت المزهر ايقن
انهن هوالك فان الظاهر من هذا القول ان ابله تبرك بفنايه ولا تسرح
لتقرب عليه بحرها للاضياف فاذا ضرب المزهر للقتاحرها لضيوفه فقد اعتادت
هذه الحاله والفتها وغرض الاعرابيه من هذا الكلام ان يصف زوجها بالجود
والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظ الدال عليه وانما اتت بمعان هي ادله على
ذلك من غير تصريح بمرادها ولذلك قال بعضهم

وددت وما تغني الوداده اني بما في ضمير الحاجبه عالم
فان كان خيرا سرني وعلمته وان كان شرا لم يلمني اللوايم

فان المراد من قوله لم يلمني اللوايم اي اني بحرها فاضرب علي ذلك حسابا ولم يذكر
اللفظ المختص به لكنه ذكر ما هو دليل عليه وزاد فيه وفيما اشرنا اليه من
ذلك كفايه للمتامل **القسم الثالث** من الكنايه وهو
المجاوره وذلك ان يريد المولف ذكر شي فترك ذكره جانبا الى ما جاوره فيختصر
عليه اكتفايه لانه على المعنى المقصود كقول عنتره

وسلكت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

اراد بالثياب ها هنا نفسه ولانه وصف المشكول بالكرم ولا يوصف
الثياب به فعلمت حينيذ انه اراد ما يشتمل عليه الثياب وفي ذلك من الحسن ما لا
ينكره العارف بهذه الصناعه وقال ايضا

برجاجه صفراء ذات اسره قرنت بازهر في الشمال مفدم

الصفراء ها هنا هي الخمر والذكر للرجاجه حيث هي محاوره لها ومشتمله عليها

وذهب بعض المفسرين في قوله تعالى وثيابك فطهر انه اراد بالثياب القلب اي والحبيب
اي وقلبك طهر احبدك وامثال هذه كثيره فاعرفه

القسم الرابع من الكنايه مما لبس بمثيل ولا اوداف ولا مجاوره كقوله
تعالى اومن ينشوا في الحليه وهو في الخصام غير مبين فكنى عن النساء انهم ينشون في
الحليه اي الزينه والنعمه وهو اذا احتاج الى محاراه الخصوم كان غير مبين اي ليس عنده
بيان ولا ياتي ببرهان يحاج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن
فطره الرجال ومن هذا الباب قول ابي نواس

بقول التي من سها حف محملي عرنز علينا ان تراك تسير
الا تري الى حسن هذه الكنايه عن ذكر امراته بقوله التي من سها حف مرحلي فانها من
الطفها مذهبا وكذلك قول نصيب

فعاجوا فاسوا بالذي ان اتيتها هلله ولو سكوا اسات عليك الحقائب

قال الجاحظ عن قوم سحر بالبيان وسموه بالقول والناس ينظرون الى الحال
ويقصرون بالعبارة فانر ذلك في امرنا اثر ايطوا اذا سكتنا فان المدعي بغير بينه
متعرض للتكذيب فهذا معنى قول نصيب فعل به ما ترى وامثال الجاحظ كثيره
فاعرفها **واما الضرب** الثاني من الكنايه
فهو الذي يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول ابي الطيب المتنبي

اني على شغفي بما في خمرها لاعف عما في سراويلاتها

فان هذه كنايه عن النزاهه والعفه وعلم الله عز وجل ان الفجور لاحسن منها
ولقد ذكر الشريف الرضي هذا المعنى فاوزه في احسن صوره فقال

احن الى ما يضمن الخمر والحلى واصدف عما في ضمان المازر

الا تري الى هذه الكنايه ما الطفها والمعنيان سواء وبهذا يعلم فضل الشاعرين

احدهما على الاخر وذلك اذا اخذ امعنى واحدا فصاغه احدهما في صياغة غير صياغة صاحبه فعرفه
عن صياغة الاخر فاعرف ذلك **واما** التعريض فقد جوز الله تعالى
في خطبة النساء فقوله ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء فقال
المفسرون التعريض بالخطبة ان يقول لها وهي في عدة الوفاة انك لجميلة وانك
لحسنة وما اشبه ذلك **وما** جاء من التعريض قوله تعالى الا فعلت
هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم ان كانوا ينطقون
يعني ان كبير الاصنام غضب ان يعبد هذه الاصنام الصغار فكسرها وغرض
ابرهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لانه قال
فسلوهم ان كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء بهم وهذا من زمور الكلام
والقول فيه ان قصد ابرهيم عليه السلم لم يجر الفعل الصادر عنه الى الصنم
وانما قصد بتقريره لنفسه اثباته لها على اسلوب تعريضي بلغ فيه غرضه
من الزام الحجة عليهم وتبكيتهم والاستهزاء بهم **ومن** بديع التعريض قوله
تعالى قال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك
اتبعك الا الذين هم ارادلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل
نظنكم كاذبين فقوله تعالى ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق بالنبوة
منه وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب
انك واحد من الملا وموازلهم في المنزلة فما جعلك احق منهم بها الا ترى
الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل ومن مستملحات التعريض حديث عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه قال دخلت المراة الصالحة حوله بنت حكيم امراة عثمان
بن مظعون ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو مصبح احد
ابنيه وهو يقول والله انكم لمحزونون وبخلون وانكم لمن ريحان

الله وان لصغيرهم ولطيمه وطيمها الله نوح اعلم ان نوحا واد بالطايف والمراد
بغزاة حنين وحنين واد قرب نوح لان غزاة حنين اخر غزاة اوقع بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المشركين واما عروة الطايف وتبوك اللتان كانتا
بعد حنين فلم يكن فيهما وطاء اي قتال وانما كانتا مخرج خروج الى الغزاة حسب
من غير ملاقاة العدو اعني المشركين ولا مال لهم ووجه عطف هذا الكلام
وهو قوله صلى الله عليه وسلم وان اخر وطاء وطئها الله نوح على ما قبله من
الحديث هو الاسف على مفارقة اولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت
من شوال سنة ووفاته كانت في ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما ستان
ونصف فكانه قال وانتم لمن ريحان الله اي من رزقه وانا مفارقكم عن قريب الا انه
صانع عن قوله وانا مفارقكم عن قريب بقوله فان اخر وطاه وطيمها الله نوح
فكان ذلك تعريضا بما اراده وقصده من قرب وفاته ومفارقته اياهم اعني اولاده
وهذا من اغرب التعريضات واعجبها فاعرفه ومن هذا الباب

قول السمدر الحارثي

يعني عما لا يذكروا الشعر بعد ما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فان لبس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من التعلبة لهم والقوة
عليهم الا انه لم يرد ذلك بل ذكر الشعر وجعله تعريضا عنه اي لا يجرون بعد
تلك الوقعة التي حربت لنا ولهم بذلك المكان ومن احسن التعريضات ما نسبه عمرو
بن سعدة الى المامون في حق بعض اصحابه اما بعد فقد استشفع بي فلان الى
امير المومنين لسطوله في الخائنة بطرائه من الخاصة فاعلمه ان امير المومنين
لم يحلني في مراتب المستشفعين وفي ابتذاله بذلك لعدي طاعته فوقع
المامون في كتابه قد عرفنا تعريضك لنفسك لحبائل الهمها واشتاك

هذا الخبر وفيما اشرنا اليه الكفاية **الفرع** الثامن من الباب الاول

من الفن الثاني في استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات وهو باب من علم البيان تكاثر فوايده اعلم انه اذا كان السبب احدهما خاصا والاخر عاما فان استعمال الخاص في حاله الاثبات ابلغ من استعماله في حاله النفي مثال ذلك الانسانيه والحيوانيه فان اثبات الانسانيه توجب اثبات الحيوانيه ولا توجب نفيها نفي الحيوانيه ولذلك نفي الحيوانيه توجب منه نفي الانسانيه ولا توجب من اثباتها اثبات الانسانيه ومما يدخل في هذا الباب الاسما المفرده الواقعه على الجنس التي تكون بينها وبين واحدها التاييث فانه متى اريد النفي كان استعمال واحدها ابلغ ومتى اريد الاثبات كان استعماله ابلغ فالاول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ولم يقل بضوهم لان ذكر النور في حاله النفي ابلغ من حيث ان الضوء فيه الدلاله على النور وزياده وقال ذهب الله بضوهم لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزياده وبقاء ما تسمى نورا لان الاضاءه هي شرط الاناره دليل قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءا فالغرض من قوله تعالى ذهب الله بنورهم انما هو ازاله النور عنهم راسا فهو اذا ازاله فقد ازال الضوء وكذلك ايضا قوله ذهب الله بنورهم ولم يقل اذهب الله نورهم لان كل من ذهب بشي فقد اذهبه وليس كل من اذهب شيا فقد ذهب به لان الاذهاب بالشي هو استصحاب له ومضي به وفي ذلك نوع اختصار بالمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهاب بالشي لزوال معنى الاستصحاب منه وهذا كلام دقيق يحتاج الى زياده تامل ومراجعه ومما يحمل على ذلك اوصاف الحاصه اذا وقعت

على سبيل الوصف كان يلزم من وصف احدهما وصفا لاخر ولا يلزم عكس ذلك نحو الطول والعرض فانه اذا قيل مربع عرضه مايه ذراع لزم ان يكون طوله اما مثلها او اكثر منها ولا يلزم اذا مربع طوله مايه ذراع ان يكون عرضه مثلها او اكثر منها قال الله تعالى وسارعوا الى مغفره من ربكم وجنه عرضها السموات والارض فانه انما خص العرض بالذكر دون الطول لان الطول اكثر من العرض والمعنى انه اذا كان عرضها فكيف يكون طولها هذا في حاله الاثبات ولو اريد النفي لكان له اسلوب غير ما ذكرناه وهو ان يخص به الطول دون العرض وذلك موضع كثير الاشكال وينبغي ان يكون المولف بصيرا باستعماله على احتلاف حالاته وتشعب مذاهبه **واما الاسما المفرده** الواقعه على الجنس فنحو قوله تعالى في قصه نوح عليه السلم وقال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بي ضلاله ولم يقل ضلال لان الضلاله ابلغ في نفي الضلال عنه كما لو قيل له الله ثم فعلت في الجواب ما بي ثمر كان ذلك ابلغ للتمر ولو قلت ما لي تمر لما كان مودیا من المعنى ما كان تودیه القول الاول فاعرف ذلك **النوع** التاسع من الباب الاول من الفن الثاني في التعبير تعد الابهام فعل ذلك لتفخيم المبهم واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع اولا فيذهب بالسامع كل مذهب لقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلا مقطوع وفي ابهامه اولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر وتعظيم لشانه فانه لو قال تعالى وقضينا اليه ان دابر هؤلا مقطوع لما كان هذه المسابه من الفخامه فان الابهام اولا يوقع السامع في حيره ويفكر واستعظام لما قرع سمعه ويتشوق الى معرفه تفسيره والاطلاع على حقيقته

ومن هذا الباب قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
فانه انما قال ذلك ولم يقل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم لما في الاول من البسيط
والاشعار بان الصراط المستقيم هو صراط المؤمن فدل عليه بالبلغ وجهٍ
كما هو اهل اذ دلك على اكرم الناس وافضلهم ثم يقول فلان فيكون ذلك
ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل
ست ذلن محملا ومفصلا لجعلته علما في الكرم والفضل كما مثلت لمن اراد رجلا
معا للخصلتين جميعا فعليه بفلان وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى وقال
الذي امن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوه الدنيا
متاع وان الاخره هي دار القرار من عمل سيئه فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنه يرزقون فيها بغير حساب
الا ترى كيف قال اهدكم سبيل الرشاد ولم يبين اي سبيل هو ثم فسر ذلك
فاوضح علامه بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها اصل الشر
كله ثم بنى ذلك بتعظيم الاخره والاطلاع على حقيقتها وانها هي
الوطن المستقر ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبه كل منهما لينشط عما
سلف ويبسط لما يزلف فكانه قال على سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا
والرغبه في الاخره والامتناع من الاعمال السيئه خوف المقابله عليها
والمسارعه الى الاعمال الصالحه رجا المجازاه عليها ولذلك قوله تعالى
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل فانه انما قال القواعد
من البيت ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد اولا وتبيينها بعد
ذلك من الايضاح وتفخيم حال المبين بما للبين في الاضافه ومن هذا الباب
قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب

السموات فاطلع الى اله موسى الايه لما اراد تفخيم ما امل فرعون من بلوغه
اسباب السموات ابهمها اولا ثم فسرها ثانيا ولانه لما كان بلوغها امرا
عجبا اراد ان يورده على نفس مشوقه اليه ليعطيه السامع حقه من
التعجب فافهمه لتشوق اليه نفسك هامان ثم اوضحه بعد ذلك ومما يدخل
في هذا الباب الابتدا بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه بعد كقوله
تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران فانه لما اتى بالضمير
الذي هو منه قبل صاحبه الذي هو القران كان ذلك لتحمله وتعظيما
من امره ولو قال وما تكون في شان وما تتلوا من قران ولم يذكر الضمير
لما كان للكلام تلك الفخامه التي كانت له مع ذكر الضمير وهذا مثل
قولهم الكريم العالم الفاضل ثم تقول فلان وقد سبق الكلام عليه
فعرف ذلك وقس عليه واما الابهام من غير تفسير فكثير
شايع في القران العزيز كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي
اقوم فقوله للتي هي اقوم اي للطريقه او الحاله او الملله التي هي اقومها
واسدها واي ذلك قدرت لم تجد له مع الافصاح دون البلاغه التي تجده
مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وايقاعه على مجملات
لتبين وهذا لا يخفى على العارف مرموز صناعه التاليف فاعرفه

ومما يدخل في هذا الباب الاستثنا العددي وهو ضرب
من التاليف لطيف الماخذ عجيب المعزى وانما يفعل ذلك طلبا للمبالغه لان له
تاثيرا شديدا في القلب وموقعا عظيما في النفس وفايدته انه اول ما
يطرق سمع المخاطب ذكر العشر في العدد فيكبر موقع ذلك عنده وهو
شيء بما ذكرناه من الابهام اولا ثم التفسير بعد ما ينا فمن ذلك قوله

تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
قيل الف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسع مايه وخمسين عاما لما فيه من
وهي ذوما ابتلي به نوح عليه السلم من امتناع ما كابده من طول المصابره
ليكون ذلك تسليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومسليا له فان ذكر
راس العدد الذي هو منتهى العقود واعظمها اوقع واوصل الى الغرض من
استطاله السامع مده صبره وما لاقاه من قومه فاعرف ذلك وقس عليه

النوع العاشر من الباب الاول من الفن الثاني في المعقيب
المفيد وانما يعد ذلك الى ذلك لضرب من التاكيد لما تقدمه
والاشعار بتعظيم شانه او بالصد من ذلك لمثال الاول قوله عز وجل
ونوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله وكل اتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامده وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنه فله خير
منها وهم من فزع يومئذ امنون ومن جاء بالسيه فكبت وجوههم في
النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون صنع الله من المصادر المؤكده لما قبلها
لقوله وعد الله وصنعه الله الا ترى انه لما جاء ذكر هذا الامر العظيم
الدال على القدره الباهره من النفخ في الصور واحيا الاموات والفزع
واحضار الناس للحساب ومسير الجبال كالسحاب في سرعتها وهي عند الرويه
لها والمشاهده كلها جامده عقب ذلك بان قال صنع الله اي هذا الامر
العجيب البديع صنع الله والمعنى ونوم ينفخ في الصور وكان وكنت من
الاشيا الباهره اياب الله المحسنين وعاقب المجرمين لجعل هذا الصنع
من جمله الامور التي اتقنها واتى بها على الحكمه والصواب حيث قال

صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابله الحسنه بالثواب والسيه بالعقاب
من جمله ما اتقنه من الاشيا واحكمه لها واجرايه اياها على قضايا الحكمه اي انه عالم
بما تفعل العباد وما يستوجبون عليه مكافيهم على حسب افعالهم ثم خص
ذلك بقوله تعالى من جاء بالحسنه الى اخر الاسين فاطرا بها المتامل الي
للاعه هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانه اضماره ورصاده
بعسيره واحد بعضه برقاب بعض دايما اقرع اقراعا واحدا ولا مرما اعجز
القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام
كان المشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون
الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصنعه الله وفطره الله بعد ما
وسمها باضافتها اليه بسمه التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء

واما الباني وهو ضد الاول وذلك ما يراد به تصغير الشان
والهوان كقولك اذا اخزيت ذلك انسان تريد دمه قد ركب هواه واستمر
على غيه وتمادى في جهله وسحب ذيل عجبه وما اشبه ذلك ثم تقول
صنع الشيطان الذي يحلب النفوس ويسلب الالباب وامثال هذا تبين
ما عرفها النوع الحادي عشر من الباب الاول
من الفن الثاني في التقديم والتاخير مما لا يتعلق بعلم النحو فتقديم
المفعول على الفاعل وتقديم الحال والظرف وغير ذلك فان هذا قد
افردنا له بابا وجعلناه مقصورا عليه ومن ذكره في باب شجاعه العربيه

واما هذا الباب فانه يتعلق بتقديم الاشيا بعضها على
بعض في الذكر لاختصاص احدها بما توجب له التقديم على الاخر
وذلك مما لا يحصر عددا ولا ياتي عليه شرح وقد اشرنا نحن الى بعده منه

اذا امثلها الناظر في بنائها هذا استدل بها على غيرها من ذلك يقدم
المسبب على المسبب لقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فانه انما
قدم العباده على الاستعانه لان تقديم القربه والوسيله قبل طلب
الحاجه الى حصول المطلوب واسرع لوقوع الاجابه ولو قال اياك
نستعين واياك نعبد لكان جايزا الا انه لا يسد ذلك المسد ولا يقع
ذلك الموقع وهذا لا يخفى على المنصف من ارباب هذه الصناعه وعلى
نحو من ذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة
ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما وانا سي كثيرا الا ترى كيف قدم حياه
الارض واسقا الانعام على اسقا الناس وان كان الناس اشرف محلا
واعلى مكانا وسبب ذلك ما اذكره لك وهو ان حياه الارض سبب لحياه
الانعام والناس حيث كانت حياه المنابه جعلها مقدمه في الذكر على
الانعام والناس ولما كانت الانعام ايضا من اسباب المعيش والحياه
للناس قدمها على الناس في الذكر ولان حياه الناس بحياه ارضهم وانعامهم
فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم فهذه كانت القرائن
العجيبه ورموز اسراره اللطيفه التي اذا مر الانسان عليها من غير ان
يدبرها ويعطيها فضل تامل وتدبر لا يقع على حباياها ولا يظفر
بغرائبها ومن هذا النوع تقديم الاكثر على الاقل لقوله تعالى
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فانه انما قدم الظالم لنفسه للاتيان بكثيره
وان يعظم الخلق عليه ثم اتى بعده بالمقتصدين لانهم قليل بالاضافه اليه
واخر السابقين بالخيرات اذ كانوا اقل من القليل اعني من المقتصدين

فقدم الاكثر ثم جا بعده بالاوسط ثم ذكر الاقل اخيرا وذلك لان في
تاخيره ولو عكسنا القضيه لكان المعنى ايضا واقعا في موقعه لانه يجوز ان قدم
الافضل على الافضل وذكر السابقين بالخيرات قبل من المقتصدين
والمقتصدين قبل من الظالمين وليوصي في ذلك طريقا بعضهم مولف
الكلام مقول اعلم انه متى كان الشيان احدهما كثيرا والاخر
اقل منه وكان الاقل افضل من الاكثر فانت بالخيار في تقديم
ايهما شيت لان في كل واحد منهما ما يوجب له التقديم فاعرف ذلك
وقس عليه بطايره وامثاله ومن هذا النحو قوله تعالى والله خلق
كل دابه من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على اربع الايه فانه انما قدم الماشي على بطنه لانه ادل على القدره
من الماشي على رجلين اذ هو ماش بغير الة المخلوقه للمشي ثم ذكر
الماشي على رجلين بعده وقومه على الماشي على اربع لانه ادل على القدره
ايضا حيث كثرت الات المشي في الاربع وهذا من باب تقديم الاعجب
فالاعجب فاعرف ذلك ومن هذا النوع في التقديم والتاخير انه
اذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم جي بعد ذكر شيين احدهما
افضل من الاخر وكان معنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام فانت بالخيار
في تقديم ايهما شيت لانك اذا قدمت الافضل فهي في موضع التقديم
وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر الشي معه ايضا
يناسبه واورد في موضعه فمن هذا الاسلوب قوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمه فرح بها وان تصبهم سيه بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا

يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشا عقيما انه عليم قدير فانه انما قدم الاناث اولا على الذكور
مع بعد مهم عليهن ثم رجع فقدم الذكور ولحق الاناث اولا على الذكور
مع بعد ما بهن وعرف الذكور لانه ذكر البلا في اخر الايه الاولى
وكفران الانسان بنسيانه الرحمه السابقه عنده ثم عقب ذلك
بذكر ملكه ومشيته وذكر فيه الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام
انه فاعل ما يشا لا ما يشاؤه الانسان وكان ذكر الاناث اللاتي هن من جمله
ما لا يشاؤه الانسان لاختاره اهم فالاهم واحب القديم وليلى
الجنس الباني فاتت العرب بعده بلا ذكر البلا ولما اخر الذكور وهم
احقا بالتقديم ندارك ذلك بتعريفهم اياهم لان التعريف ينوبه بالذكر
كانه قال ويهب لمن يشا الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا
يحفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك على الجنسين حقه من التقديم والتاخير
وعرف ان تقديم الاناث لم يكن لبعدهن ولكن لمقتض اخر فقال
ذكرانا واناثا وهذه دقايق لطيفه قل ما ينبه لها او يعثر على
رموزها ومن هذا الباب قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه
من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون
فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذره في الارض ولا في السما الايه فانما
فانه انما قدم الارض في الذكر على السما ومن حقها التاخير لانه لما
ذكر شهادته على سروز الارض واحوالهم ووصل ذلك بقوله لا يعزب
عنه لام بين ذلك وامثال هذا كثيره فاعرفه **النوع الثاني**
عشر من الباب الاول من القسم الثاني في عطف المظهر على ضميره

والايضاح به بعده وهذا انما تعمد اليه لغايه وهي اما تعظيم حال
المعطوف عليه او التحقير من شانه واما ضد ذلك وبعضه **ومثال**
التعظيم قوله ولما تلاقينا ونبو تميم اقبلوا الينا بوعصون
وابندروا لخونا يرضون وجاوا كانهم في تكلفهم لهل وفي سرعتهم
سل فرانا اسودا منهم في المقاتله يعالب في المخادعه والمحاله وساحد
نبو تميم مصرحا بذكرهم علينا لحمله فلدنا بالفرار واسبقنا الى توليه
الادبار فانك انما قلت وساحد نبو تميم مصرحا بذكرهم ولم يقل وساحدوا
كما قلت اقبلوا وابندروا وجاوا والدلاله على التعجب من شجاعتهم والتعظيم
لشدتهم واقدامهم ولا سيما وقد اضفت الى ذلك قولك لدنا بالفرار
واسبقنا الى توليه الادبار فكانك قلت وتماجدا وليلة الفرسان
المشاهير والحماه المذكورون وحملوا علينا حمله واحده فولينا
مدبرين منهزمين ومن هذا الباب قوله تعالى اولم يروا كيف يبدى الله
الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدا الخلق ثم الله ينشى النشاه الاخره الا ترى كيف صرح باسمه
تعالى في قوله ثم الله ينشى النشاه الاخره مع انها مبدا في قوله كيف
بدا الخلق وقد كان القياس ان يقول كيف بدا الخلق ثم ينشى النشاه الاخره
والفايده في ذلك ما ذكرناه وسمنا عليه وهو انه لما فات الاعاده عندهم
من الامور العظيمه والاشيا المستصعبه وكان صدر الكلام وافقا معهم
في الابدا وقررهم ان ذلك من الله عز وجل احتج عليهم بان الاعاده انشا
مثل الابدا واذا كان الله الذي لا يعجزه شي هو الذي لم يعجزه الابدا فاوجب
ان لا يعجزه الاعاده فالدلاله والتنبيه على عظم هذا الامر الذي هو الاعاده

ابرز اسمه تعالى واوقعه مبتدأ ثانيا فاعرف ذلك ووقف عليه وامّا
الثاني وهو ضد الاول فانه يقصد به الذم كقوله تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا الا سحر مبين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا الذي
فعله للدلالة على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وعجب
من كفرهم بليغ ولا سيما وقد اضاف الى ذلك قوله وقالوا للحق لما
جاءهم وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في ذلك
من المباهتة كانه قال تعالى وقالوا ولك الكفرة المتمردون بحراتهم
على الله ومكابرتهم مثل ذلك الحق المبين قبل ان يذوقوه ان هذا
الا سحر مبين وامثال هذا كثيرة فاعرفها **النوع الثالث**
عشر من الباب الاول من الفن الثاني في التخلص والاقتضاب
ولهذا النوع من الكلام محل كريم وموقع لطيف فاما التخلص فهو
ان ياخذ المولف في معنى من المعاني فبيناهو فيه اذ اخذ في معنى اخر
غيره وجعل الاول سببا اليه فكون بعضه اخذا برقاب بعض من غير
ان يقطع المولف كلامه ويستانف كلاما اخر بل يكون جميع كلامه كانما
افرغ افراغا وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه وطول
باعه واتساع قدرته من اجل ان الشاعر يضيق عليه نطاق الكلام
ويكون متبعا للوزن والقافية فلا توافيه الالفاظ على حسب
ارادته ولا تنزل له واما الناثر فانه مطلق العنان يمضي حيث شاء
فلذلك يشق التخلص على الشاعر اكثر مما يشق على الناثر

واما الاقتضاب فهو ضد التخلص وذلك ان يقطع الشاعر
كلامه الذي هو فيه ويستانف كلاما اخر غيره من مدح او هجاء
او غير ذلك ولا يكون الثاني علاقة بالاول ولا يلتفق منه ومنه وهو مذهب
القدماء من صنعة الشعر وسياتي بيانه واما المحدثون فانهم تصرفوا
في التخلص وابدعوا فيه فاظهروا من ذلك العجايب والغرايب كقول
علي بن الجهم وليل قد مطلت بالنعس مقلتها ... الفت قناع الدجى في كل اخدود
قد كان يغرق في امواج ظلمتها ... لولا اقتباسي سناه من وجه داود
الا ترى ما الطف هذا التخلص واحسنه فانه ذكر اولا الليل وسواده
واستداجها وانه عمرات من ظلمتها كالغريق ثم ادرج في ضمن كلامه
بعد ذلك ذكر الممدوح بما يناسب ما هو فيه من الظلمة فذكر الاماره
والاضاءة بقوله سناه من وجه داود فصار الكلام كانما افرغ
افراغا واحدا ومن هذا النحو قول ابن نباته
كان الشموع وقد اطلعت بين الندامى في مجلس لسانا
انامل اعدايك الخائفين تضرع تطلب منك الامانا
فهذا هو التخليص البديع في الصنعة الذي استحوذ على مجامع الحسن والرونق
فاعرفه وقال ابو العلا محمد بن غانم المعروف بالعنابي في كتاب الله
العزيز رجال من الاقتضاب والتخلص وهذا القول فاسد لان حقيقة
التخلص انما هي الخروج من كلام الى كلام اخر غيره بلطيفة تناسب بين
الكلامين الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القران العظيم مواضع
كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والاشارة بالجنة الى
امر ونهي ووعد ووعيد من محكم الى متشابه ومن صفة نبي مرسل وملك منزل

الى ذم الشيطان مرمد وحبار عبد لطايف دمقه ومفارق اخيه بالفعايل
فمما جاء من المخلص في القران الكريم قوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قال
هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع
ان يغفر لي خطيتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل
لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر
لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون
فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا
الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين
هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب وفيه كفاية لطالب الهداية والمسعف
لهذه الصناعة فانه متى انعم فيه النظر وتدبر ابناءه وتطاوى حكمته علم
ان في ذلك غنا عن تصفح الكتب المولفة في هذا الفن الا ترى ايها المتامل
ما احسن ما ادب ابرهيم عليه السلام قومه مع المشركين حين سالهم اولا عما
يعبدون سوال مقرر لا سوال مستفهم ثم اتى على افهامهم فابطل امرها

انها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى بعديهم اباهم الاقربون ولكن
يلحقه من ان يكون شبهه فصلا عن ان يكون حجة ثم اراد الخروج من ذلك
الى ذكر الاله الذي لا يحب العباده الا اله ولا ينبغي الرجوع والانابة الا اليه فصور
المسله في نفسه دونهم بقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين على معنى
اني فكرت في امري فراءيت عبادتي لها عباده العدو وهو الشيطان فاجتنبتها
واثرت عباده من الخير له منه واراهم بذلك انها فيصحه ينصح بها نفسه
لينظروا ويقولوا اما نصحنا ابرهيم الا بما ينصح بها نفسه فيدعي
لهم الى القبول لقوله وانعت على الاسماع منه ولو قال فانهم عدو
لكم لم يكن بتلك المثابة فتخلص عند تصوير المسله في نفسه الى ذكر
الله تعالى واجري عليه تلك الصفات العظام من تعديد شانه وتعديد
نعمه من لدن خلقته واشاره الى حين مماته ووفاته مع ما نرجي في الاخره
من رحمته ليعلم بذلك ان من هذه صفاته حقيق بالعباده وواجب
على الخلق الخضوع له والاستكانه لعظمته ثم خرج من ذلك الى ما لا
يلايمه وناسبه فدعى بدعوات المخلصين واتبل اليه ابتهال الاولين لان
الطالب من مولاه والراغب اليه اذا قدم قبل سواله وصراعته
الاعتراف بالنعمه والاقرار بالاحسان كان ذلك اسرع للاجابه وانجح
لحصول الطلبه ثم ادرج في ضمن دعايه ذكر البعث ويوم القيمه ومجازاه
الله لمن امن به واتبعه بالجنه ولمن ضل عن عبادته بالنار فجمع الترغيب
في طاعته والترهيب في معصيته ثم سال المشركين عما كانوا يعبدون
من الاصنام سوال موبخ لهم مستهزء بهم وذكر ما يصيرون اليه عند ذلك
من الندم والحسره على ما كانوا فيه من الضلال ومن العوده لئيما منوا

فانظر ايها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الاحمد بعضه برقاب بعض ومنع
احشاءه على صروف من المعاني فحلص من كل واحد منها الى الاخر بلطيفة
دقيقة حتى كانه معنى واحد فخرج من ذي الاصنام وبقرن لاسه وقومه
من عبادتهم اياها معما هي عليه من التعري عن صفات الالهية حتى لا تضر
ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فعظم
شانه وعدد نعمه ليعلم بذلك ان العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا
الى دعائه اياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيمة وثواب الله
وعقابه فتدبر هذه الصفات اللطيفة هذا الى عشرة من
ضمن هذا الكلام لانواع من صناعة التاليف وهي الايجاز والكتابة
والتقديم والتاخير واتيانه الفعل الماضي عن الفعل المضارع فاما
الاخبار فلاحفائه على العارف بما اشرنا اليه في بابه الذي سنوذنه
الا ان من جملته قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
فانه جمع الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته مع عظمهما وفخامة
شانهما في هذه الكلمات اليسيرة واما الكتابة فقوله تعالى وبرزت الجحيم
للغاوين فالغاوين هاهنا كناية عن اسه وقومه ودل على ذلك قوله
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله لان كلامه في الاول كان معهم في عبادتهم
الاصنام واما التقديم والتاخير فانه ذكر ابرهيم المنعم وتعديد
الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة واما اتيانه الفعل الماضي عن المضارع
فقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم
تعبدون بعد قوله ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وفي ذلك من الفايدة ما اشرنا اليه في بابه وقد سبق ذكره

ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الرومكم
وليل كوجه البرقعيدي ظلمه وبرد اعاليه وطول قرونه
وسريت وغيري فيه نوم مشرد كفعل سليمان بن فهد ودينه
على اولق فيه الفنا كانه ابو جابر في حبطه وجنونه
وهذه الابيات لها حكايه وذلك ان هذا الممدوح كان حاضر المجلس مع ندمايه
في ليلة من ليالي الشتا في حملتهم هما ولا الدين هجاهم الشاعر وكان البرقعيدي
معبا وسليمان بن فهد وزيرا وابو جابر حاجبا فالتمس الممدوح من الشاعر ان
يهجو المذكورين ويمدحه فانشد هذه الابيات وقد قال بعض ارباب هذه
الصناعة ان هذا الشاعر لو تحدى بهذه الابيات لاعجز الشعرا ان ياتوا بمثلها
لانه مع اتيانه بهذا النوع من علم البيان لم يقنع بذلك حتى ربى في معانيه
المقصوده الى اسمق المنازل فابتدا في البيت الاول بهجو البرقعيدي فجاء في
ضمن مراده ذكر اوصاف ليل الشتا جميعها ولم يخل منها بشي وهي الظلمه
والبرد والطول ثم ان هذه الاوصاف لليله جات ملايمه لما وقعت عليه
مطابقه له وكذلك البيت الثاني والثالث ثم خرج الى المدح بالطف وجه
واذق صنعه فاعرف ذلك فانه لم يقل في هذا الباب ابدع من هذه الابيات

ومما جا على نحو من ذلك قال اسحق بن ابرهيم الموصلي

وصافيه يعشي العيون سورها رهنه عامر في الدنان وغام
ادرتها الاكف الروبه بنتا من الليل حين اجاب كل ظلام
فاذا در قرن الشمس حتى رايتها من الغي تحكي احمد بن هشام

الا تري ما احسن ما خرج هذا الشاعر في النجا فانه اوهم في الاول الخوض
في صفه الخمر ثم استدرج المعنى الذي قصده في صفه الخمر من حيث لا يعلم

السامع لمطلع كلامه انه يريد ذلك وامثال هذا كثيرة فاعرفها **وأما**
الاعتصاب فهو الذي اشرنا اليه في صدر هذا النوع وهو ان يقطع المولف
كلامه ويشاف كلاما غيره من غير علاقة بين بينه وبين ما قبله فمن ذلك
ما هو احسن من التخلص وهو فصل الخطاب وليس في ذلك ما يوقف عليه
ويأخذ بمامع قلبك فنقول ان اريد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب
الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا فهو
فعل بمعنى فاعل كالصوم والزور وقال بعضهم هو اما بعد لان المتكلم
فصيح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله عز وجل وتحميده فاذا اراد ان
يخرج الى الغرض المسوق اليه وفصل بينه وبين ذكر الله عز وجل بقوله
اما بعد وهذا مذهب المحققين من علما البيان قالوا ومن الفصل الذي هو
احسن من الوصل هذا وهي علاقة وليده من الخروج من كلام الى كلام اخر
غيره كقوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر
وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب الاترى ما ذكر قبل
هذا ذكر من الانبيا واراد ان يذكر على عقبه بابا اخر غيره وهو ذكر
المحبة واهلها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن مآب وتدل عليه
انه لما تم ذكر اهل المحبة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان
للطاغين لشر مآب وذلك بين فصل الخطاب الذي هو الطف موقعا من
التخلص فاعرفه **النوع الرابع عشر من الباب الاول من القسم**
الثاني من المبادي والابتدا وهو نوع من صناعة التاليف جمه فوايده وقلل

ان يجعل مطلع الكلام من الشعر والخطب والرسايل دالا على المعنى المقصود بذلك
للمتعدا وتلك الخطبة او الرسالة ومن ادب ذلك ان لا يذكر الشاعر في افتتاح
القصيدة المديح ما ينطير به وقال بعض علما البيان احسنوا معاشر الكتاب
الابتدات فانها هن دلايل النجاز وينبغي للشاعر ان يحترز في المديح مما تتطير
به من وصف اقفار الديار ورسوم المنازل والاطلال ونسبت الالاف
وقدم الزمان واشباه ذلك ولا سيما اذا كان في التهاني فانه يكون اشد قبحا
وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنوايب الحادثة ومتى كان الكلام
في المديح موسسا على هذا المثال تطير منه سامعه فان راس صناعة التاليف
وضع كل شي في مكانه وانما خصصت الابتدات بالاختبار لانها اول ما يطرق
السمع من الكلام فانه متى كان الابتدا لايقا بالمعنى الوارد بعده توفرت
الدواعي على استماعه وتزايدت البواعث على الاصغا اليه من قبيح
الابتدات قول ابي الرمه

ما بال عينك منها الماء ينسكب

لان مقابله الممدوح بهذا الخطاب لاحقا بصحه وقد انكر الفضل بن يحيى
على ابي نواس قوله فيه

اربع البلى ان الخشوع لبادي فلما انتهى الى قوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغادي

استحلم تطير الفضل بن يحيى وقيل انه لم يمض على ذلك اسبوع واحد حتى
نكبوا وحكي انه لما فرغ المعتصم من بنا قصره بالميدان جلس فيه وجمع اهله
واصحابه وامرهم ان يلبسوا سني الملابس ويطهروا المجامر بالريحانه وجلس
على سرير مرصع بالجوهر الى جانبه اسره كلما دخل عليه رجل من

اه بردولته احلس في الموضع الذي يليق به فما راي الناس احسن من ذلك حاشا بذه
اسحق بن ابرهيم الموصلي في الانشاد فاذن له فانشده شعرا ما سمع باحسن
منه في صفته وصفه المجلس الا انه استقبحه بذكر الديار القديمة وبقية
اثارها فقال يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي ابلاك
فتطير المعتصم من ذلك وتعامز الناس على اسحق بن ابرهيم وعجبوا
لئن ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وطول خدمته للملوك ثم اقاموا
يومهم وانصرفوا فما عاد منهم انسان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم
سرى وخرب القصر فاذا اراد الشاعر ان يذكر ديارا في مدحه
فليذكر كما ذكر

الا يا دار امرلك السرور وساعدك النضاره والحبور

وكما قال

اشجع

قصر عليه تحيه وسلام نشرت عليه جمالها الايام

وما احسن هذا البيت بمقبح شعر اسحق بن ابرهيم الذي انشده للمعتصم في
ذلك القصر فانه لو ذكر هذا او ما جرى مجراه لكان حسنا لا يقال
وسئل بعضهم عن احذق الشعرا فقال من اجاد الابتدا والمقطع الاتري
ان قصيده ابي نواس التي هي

يا دار ما فعلت بك الايام لم تبق فيك بشاشه تستام

قد قيل انها اشرف شعره واعلاه منزله وان ابا تمام مع تقدمه في صناعه
الشعر ابتعث نفسه في الايمان بما مالها وشابها فلم يقدر على ذلك
وهي مع شرفها وعلو منزلتها في الشعر مستكرهه الابتدا من حيث التطير
لانها في مدح الخليفه الامين وافتتاح المديح بذكر الديار ودروسها مما تتطير

به ولا سيما في حق الخلفا والملوك ولهذا اختار من ذكر الاماكن والمنازل ما زاق
لفظه وحسن اللفظ به كالغدير والعقيق وزرود واشباه ذلك واختار
ايضا من اسما النسا في الغزل نحو سعاد وامامه ومية وما جرى هذا المجرى
ولقد عيب على الاخطل من اجل تغزله باسم مرور وهي امراه كان يحبها
مستبقا في الذكر وامثال هذه الاشيا حب مراعاتها والاعتنا بها فاعرف
ذلك ولما تظر ابو العميثل في قصيده اي تمام وهي

من عوادي يوسف وصواحبه استرد الاسى فاسقط

القصيده كلها حتى عاد اليه ابو تمام ووقفه على موضع الاختيار منها وهو

البك حر عنا مغرب الشمس كلما احرنا ملاصلت عليك سابه

وغير ذلك مما ذكره ابو تمام في قصيدته فلما وقف ابو العميثل عليه
راجع عبد الله بن طاهر فاجازها له ولابي تمام ابتدات كثيره
يجري هذا المجري كقوله

فدال است ادرست في الفلوا

فان الابتدا المستكره ليس من شرطه ان يكون مما تتطير به فقط وانما يكون
مستكرها مما اشرنا اليه من قول ابي تمام وما جانسه فاعرف ذلك واعلم
ان الابتدا البديع البارع يكون داعيا الى الاصغا الى ما بعده من الكلام
الاترى ان الله تعالى قال حم المر وطسم وهيعص فقرع الاسماع شي بديع
ليس لها بمثله عاده فيكون ذلك داعيا لها الى الاسماع ولذلك استحسن
من الابتدات في الكتب الحمد لله لان المنفوس يتشوف الى تحميد الله عز وجل
والثنا عليه ويميل الى معرفه ما ياتي بعده من الكلام ومن احسن الابتدات
ما ذكره مهيار فانه ابتدا بالمعنى المقصود من اول كلامه فقال

اما وهواها عدره وصلا لقد نقل الواشي اليها فاحلا
سخي جهده لكن تجاوز حده وكثر فاربات ولو شاقللا

الا تري ما الطف هذا الاعتذار قد ابرزه في هيئة الغزل واخرجه في معرض النسب والمراد به الاعتذار الي الممدوح وذلك من ابدع ما يكون في هذا الباب ومما جاء على نحو منه قول بعض المتاخرين في ابو شروان الوزير وقد خلع عليه

حللت من الحمد بان احصن الدرع فلقد سمن علي الكرم الادرع

وكذلك قوله وقد وشى في حقه الى الممدوح

وزال اقوال الوشاه الفواجر ودونك احوال الغرام المحاضر
فلولا ولوع مثل الصد ما سعوا ولولا الهوي لم استدب للمعاذر

فسلك في هذا القول مذهب مهيار الا ان في هذا زيادة على ما قاله مهيار وهي المعاتبة على الالتفات الى الوشاه والاستماع منهم وذلك من اعرى ما قيل في هذا المعنى فاعرفه من الابتدات في الكتب قول مؤلف الكتاب

الحمد لله رافع لواء الايمان وقامع اولياء الشرك والبهتان الذي نصر الاسلام واطلع نجومه وخذل الكفر وطمس رسومه فانه قدحي بالمعنى المقصود وهو السري بهرمة الكفار من اول الكتاب ومتى سمع الانسان هذا المطلع علم انه يتضمن السري بادلة المسلمين على المشركين من غير ان يحتاج الى وقوف على حديث الوقعة ومن ذلك قول بعض الكتاب في زمن المامون وقد سخط ناقة شخص ادمي فامر ان يحتذ بذلك الى البلاد فقال الحمد لله خالق الانام في بطون الانعام مصرعن المراد في اول كلامه وامثال ذلك كثير فاعرفها النوع الخامس عشر من الباب الاول من القسم

الثاني في قوة اللفظ لقوة المعنى وهو نوع من علم البيان شريف المحل لطيف المأخذ وانما يعمد اليه لضرب من المبالغة ان اللفظ اذا دار على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن اخر اكثر منه فلا بد وان يتضمن من المعنى اكثر مما كان يتضمنه اولا والدليل على ذلك ان الالفاظ هي ادلة على المعاني والمثلة للافهام عنها فاذا زيدت في الالفاظ شيء اوجب ان تتضمن زيادة المعاني بقدر ما زيد في الالفاظ وهذا لا نزاع فيه لسانا وصوغا فمن ذلك خشن واخشوشن لما فيه من تكرير المعنى وزيادة الواو ونحو فعل وافعوعل وكذلك قولهم اعشب المكان فاذا راوا كثرة العشب قالوا اعشوشب ومثله فعل وافتعل نحو قدر واقتدر فاقتدر اقوى معنى من قولهم قدر قال الله تعالى اخذ عزيز مقتدر فمقتدر هاهنا ابلغ من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الامر وشده الاخذ الذي لا يصدر الا عن قوي الغضب وكثرة السخط ومما ينظم في هذا الاوان من اسما الفاعلين فان بعضها ابلغ من بعض نحو فاعل وفعيل وما جرا مجراهما ولقد سالني بعض الاحوان عن فاعل وفعيل وايهما ابلغ فعلت في الجواب ما اذكره هاهنا وهو ان كانت العرب قد قالت ان فاعلا ابلغ من فعيل وان فعيلا ابلغ من فاعل بغير علة اوجبت ذلك ولا سبب اقتضى تمييز احدهما عن الاخر الا تحكما محضا فذلك مسلم اليهم لانه لغة القوم وكلامهم وهم المحكوم فيه وان كانت العرب لم تميز فاعلا على فعيل ولا فعيلا على فاعل ولا قالت بان احدهما ابلغ من الاخر فلنا نحن ان بحثنا عن ذلك فان وجدنا احدهما مزيدا على الاخر ذكرناها وان لم نجد كان ذلك اسوة باقي لغتهم التي لا نعرف لها علة وانما ناخذه عنهم بالنقل والتقليد

ولما سألت ايها الاخ عن الفرق بين فاعل وفعيل وانهما ابلغ انعمت النظير
في ذلك مستعينا بالله تعالى منح لي الفرق بينهما ما اذكره والله الموفق
فاقول اما الحكم على احدهما ابلغ من الاخر فهو ان فاعلا
ابلغ من فعيل وانما عله الحكم بتين وجهين الاول ان فاعلا لم يرد في كلام
العرب الا اسما للفاعل فقط نحو ضارب اسم فاعل من ضرب وقاتل اسم
فاعل من قتل وهذا مطرد في بابه لم يات غيره واما فعيل فانه يكون
اسما للفاعل ومعنى المفعول فاما كونه اسما للفاعل فنحو طريف
اسم فاعل طرف وكريم اسم فاعل من كرم ولذلك اجري هذا المجري واما
كونه بمعنى المفعول فهو نحو قتيل وجريح اللذين هما بمعنى المقتول
والمجروح فلما كان فاعل مختصا باسم الفاعل لا مشاركة فيه غيره وفعل
مشتركا فيه اسم الفاعل والمفعول كان ما هو مختص بالفاعل وحده ابلغ
مما اشترك فيه الفاعل والمفعول وذلك لقوة الفاعل على المفعول
وضعف المفعول عن الفاعل وما اختص بامر قوي ابلغ مما تردد بين امرين
قوي وضعيف فان قيل ان فاعلا قد جا بمعنى المفعول كما جا فعيل بمعنى
المفعول كما جا قوله تعالى ما دافق اي مدفوق قلنا ان قولك ان فاعلا
قد جا بمعنى المفعول واستدلالك عليه بالاية فانه ضعيف شاذ لان ذلك
لم ينقل جوازه عن العرب ولم يذهب اليه احد من العلما غير ان بعض المفسرين
قد ذكره وزيف قوله الجمهور واجمعوا على مخالفته وقالوا ان معنى
قوله تعالى ما دافق اي مدفوق وذلك ايضا اسم فاعل من افعل نحو انطلق
فهذا منطلق وانعلف فهو منعلف وما جرى هذا المجرى ثم ولو تنزل
جواز هذا عن العرب وصح عنهم لما كان نافيا كدعوانا لحن في فعيل

فانه يجي بمعنى المفعول شايعا كثيرا في كلامهم وتصح عليه القياس وما ذكرته ايها
المعترض شاذ قليل لا يعتد به ولا يقاس عليه لانه لم يات منه الا
لفظة واحدة او لفظتان او لفظات محصورة كما ذا فوق وعيشة راضية
والشايع الكثير في كلام العرب وغيره ارجح جانبا من الشاذ القليل وما
يقاس عليه ابلغ مما ليس بمقيس **واما الوجه الثاني**
في اثبات ان فاعلا ابلغ من فعيل فهو ان فاعلا يكون ايضا للفاعل متعديا
كان فعله او قاصرا فهو اذن يعمهما جميعا نحو غالب وجالس واما
فعيل فانه لا يجوز الا اسما للفاعل فعله قاصر غير متعدي نحو شريف
سيد وعليط وهو مطرد في هذا الباب لم يات في كلام العرب غيره
فلما كان فاعل اسما للفاعل المتعدي فعله والقاصر معا وفعيل
اسما للفاعل القاصر فعله فقط كان فاعل ابلغ من فعيل المتعدي
فعل فاعل الى مفعوله وقصر فعل فعل عنه فان قيل ان فعلا
جا اسما للفاعل المتعدي فعله على غير وزن فعل وفعل نحو خطب
فهو خطيب وعلم فهو عليم وهذا بدل ان فعلا مساويا لفاعل في
التعدي لان فاعلا قد جا اسما للفاعل متعديا كان فعله او قاصرا
وكذلك قد جا فعيل ايضا كما ارشدناك قلنا هذا الذي اشرت اليه
من ان فعيلا قد جا اسما للفاعل المتعدي فعله على غير وزن
فعل نحو خطب فهو خطيب وعلم فهو عليم مسلم اليك الا ان ذلك لا
يكون ناقضا لما ذكرناه ولا اعتراضا عليه لان الذي اوردته انما كان
يصح لك الاعتراض به علي ما اشرنا اليه ان لو كان خطيب وحده اسم
فاعل من خطب ولا يجوز فيه خاطب او كان عليم اسم فاعل من علم ولا يجوز

فيه عالم وانما الاصل في خطب ان يكون اسم فاعله خاطب والاصل في علم
ان يكون اسم فاعله عالم ولهذا الاتري وزن فعيل ابدا وهو اسم فاعل من
فعل او فعل الا وهو محمول على فاعل لانه الاصل وعليه القياس والدليل
على ذلك الاطراد والغالب عليه ان يكون كذلك وهذا موجود في فعل
فهو فاعل وفعل فهو فاعل **واما** فعل منهما فانه شاذ
نادر والشاذ النادر لا ينقض القياس والدليل على ان فعيلا انما ورد في
فعل وفعل فانه قد جاء فيهما الفاظا معدودة لا غير وانما اطراده
وعلته فعل نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وشبه فهو نبيه
وكذلك ما جرى هذا المجرى على انه قد شذ منه فاعل ايضا نحو طهر
فهو طاهر ولا يقال فيه ظهير وذلك قليل فاعرفه فان قيل ان
فعيلا هو اسم فاعل من الصفات الدونه ولسنا نعني بذلك ما كان مقوما
للذات نحو الحياة التي لا تقوم الذات الا بها وانما نعني بذلك ما كان ملازما
للذات نحو عاصم وقدير وسميع وبصير وفاعلا هو اسم فاعل من الصفات
العرضيه نحو ضارب وآكل وشارب وما يكون مختصا بصفه الذوات
ابلغ مما يكون مختصا بصفه الاعراض واشرف محلا **الجواب**
عن ذلك انا نقول لو سلم لك ايها المعترض ما ذكرته واطرد في بابه لكان
ناقضا لما ذكرناه نحن وادعيناه من ان فاعلا ابلغ من فعيل وانما قد جاء
فاعل وهو ايضا اسم الفاعل من صفات الذات نحو عالم وقادر وسامع
واشباه ذلك فقد عم فاعل اذن لصفات الذوات وصفات الاعراض
ولما كان عاما للامرين جميعا كان ابلغ مما اختص باحديهما دون الاخر
فان قيل قد قلت في كتابك ان ما كان مختصا بامر قوي في بابه ابلغ مما

ورد ذلك الامر من احديهما قوي والاخر ضعيف وهذا الحكم قد جاء هاهنا
في فعل وفاعل ففعل محتص باسم الفاعل من الصفات الدونه وهي اشرف محلا
من الصفات الدونه واسم الفاعل من الصفات العرضيه فالذي يختص بالاشرف
الاقوي وجوده ابلغ من الذي يتردد بينه وبين ضده وهو الادني الاضعف
الجواب عن ذلك انا نقول قد سلمنا اليك ان فاعلا الذي هو اسم الفاعل
هاهنا متردد بين صفات الدوات والاعراض ولكن من لك انت ايها المعترض
بصحه ما ذكرته من ان فعيلا الذي هو اسم الفاعل هاهنا ايضا يختص صفات
الدوات دون صفات الاعراض فان هذا شيء لم ينتظم لك سلكه ولا رسى لك
اصله لانه قد جاء فعيل ايضا وهو فاعل من صفات الاعراض نحو سيد وجيد
وبصير وفقير واشباه ذلك فقد استوى اذن فاعل وفعيل في عمومهما الصفات
الدوات والاعراض ولم يختص احديهما مزيه على الاخر في هذا المعنى ويفرد فاعل
بالمزيه على فعيل فيما اشرنا اليه قبل هذا الموضع في هذا الباب من بعديه الى
معموله واختصاصه باسم الفاعل دون معنى المفعول وقد مر ذلك مستوفى
في مكانه فاعرفه هذا ما سنح لنا في الفرق بين فاعل وفعل وانهما ابلغ والله الموفق

النوع

السادس عشر من الباب الاول من القسم الثاني في حد الامر المخاطب وهو الامر
بعكس المراد ودليل ذلك على الاستهانه بالمامور وقله المبالاه بامره اي اني مقابلك
على فعلك ومحاربك بحسبه فمن ذلك قوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه
منيبا اليه ثم اذا خوله نعمه منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله
اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فقوله
تمتع بكفرك من باب الخذلان كانه قال له اذ قد اثرت قولي على امرك من الايمان

والطاعه من حقك ان لا تومر به بعد ذلك وتومر تركه وهذا مبالغه في
حد ذاته لان المبالغه في الحد لان اشد من ان يبعث على ضد ما امر به ومن
هذا الباب قوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شيتم من
دونه الايه فان المراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغه في الحد لان
على ما سبق ذكره وفي هذا الكلام معنيان لطيفان **الاول**
اي ان عبادتكم لله وعبادتكم لغيره انما نفع او ضر لكم لا لسواكم والله تعالى
لا تزيد ذلك عنده شيا لانه مستغن عن عبادهم له **الثاني** وعد لهم
بالمقابله على فعلهم من غير اصراح بالوعيد وذلك ابلغ من الاصراح به
لوقوع الموعود في حيره من امره وترامي وهمه عند ذلك الى كل خطب
عظيم من المجازاه والمقابله كقولك لمن عصاك افعل ما شيت اني
مقابلك عليه وهذا نوع من علم البيان شريف فاعرفه **النوع**
السابع عشر من الباب الاول من القسم الثاني في الاسقاق اعلم ان صناعه
علم هذه الصناعه مفضولون الاسقاق على التجنيس وليس الامر كما وقع لهم
بل التجنيس امر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك لان التجانس في
اصل الموضع هو التماثل والتشابه يقال جانس الشي الشي اذا ماثله وشابهه
ولما كان الحال كذلك وراينا من الالفاظ ما تماثل وتشابه في صفته
وتبانه علمنا ان ذلك يطلق عليه اسم التجانس وكذلك لما راينا من المعاني ما
تماثل وتشابه علمنا ان ذلك يطلق عليه اسم التجانس ايضا فالتجانس ينقسم
قسمين احدهما تجانس في اللفظ والاخر تجانس في المعنى فاما
التجانس في اللفظ فهو على ما به تجانس لم يجعل له اسم اخر كما جعل للتجانس في
المعنى فانه يسمى الاسقاق اي احد المعنيين مشتق من الاخر فهذا الموضع

الذي نحن بصدد ذكره لا يليق ان نورد فيه الا ما يخص بالمعاني لانه من باب
الصناعه المعنويه ولذلك افردنا الاسقاق وذكرناه هاهنا فاما
التجانس في الالفاظ فسياتي ذكره في باب الصناعه اللفظيه واعلم ان الاسقاق
على ضربين صغير وكبير فالصغير ان ياخذا صلا من الاصول فتجمع بين معانيه
وان اختلفت صيغه ومبانيه كقوله سلم لم فانك ياخذ منه معنى السلامه في
تصرفه نحو سلم وسالم وسلمان وسلمي والسليم اللديغ اطلق عليه ذلك تفاؤلا
بسلامته وعلى هذا جاء غيره من الاصول كقولنا هشمتك هاشم وحاربك
محارب وسالمك سالم واصاب الارض صيب لان الصيب هو المطر الذي يشتد
صوته اي وقعه على الارض واسال ذلك كثير ولهذا الضرب من الكلام رونق
لا يخفى على العارف هذه الصناعه فمما جاء منه قول بعضهم

احلى سلم بكاظمه اسلما

وكذلك قول الاخر وهو حرير بن عطيه

وما زال معقولا عقال بن الدري وما زال محبوسا على الحر حابس

وقال غيره

لقد علم القبايل ان قومي لهم حداد البس الحديد

وامثال هذا كثيره فاعرفها **واما الاسقاق الكبير**
فهو ان ياخذا صلا من الاصول معقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا جمع
تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شي من ذلك رد بلطف الصنعه والتاويل
لها ما يجعل الاسقاق فنون وليضرب لذلك مثالا فمقول ان لقطه قرم الملاي
لها ست تراكيب وهي قرم قمر رقم رمق مرق قرم وهذه التراكيب
الست يجمعها معنى واحد وهو القوه والشده فالقرم شده شهوه اللحم

وقمر الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهيه وهي الشده التي يلقى الانسان
من امره وعنس مرقال اي ضنو وذلك نوع من الشده ايضا والمقرسه الصبر
يقال امقر الشي اذا امر وفي ذلك شده على الذائق وكراهه ومرق السهم
اذا نفذ من الرميه وذلك لشده مصابه وقوته واعلم انه اذا اسقط من
تراكيب الكلمه شي فجايز ذلك في الاسقاق لان الاسقاق ليس من شرط
كمال تراكيب الكلمه بل من شرط ان الكلمه كيف علت تراكيبها من تقديم حروفها
وتاخيرها ادت الى معنى واحد يجمعها مثال ما سقط من تراكيب الثلاثي
لفظه وس ر فان لها حمس تراكيب وهي وس ق وق س وس ر وق س ر
وسقط من جمله التراكيب قسم واحد وهو س ق ر وجميع هذه الكلمه
المذكوره تدل على القوه والشده ايضا فالوسق من قولهم استوسق الامر
اي اجتمع وقوي والوقس ابتداء الحرب وفي ذلك شده على من يصيبه ويلا
والسوق متابعه السير وفي هذا ايضا شده على السائق والمسوق والقسوه
شده القلب وغلظه والقوس معروف وفيه نوع من الشده والقوه
لنزعه السهم واخراجه الى ذلك المرمى المتباعد واعلم انا لا ندعي ان هذا
يطرد في جميع اللغه قد حابى منها كذا وكذا وهذا مما يدل على شرفها
وحكمها لان الكلمه الواحده تنقلب على ضروب من التقاليب وهي مع ذلك
داله على معنى واحد وهذا من اعجب الاسرار التي توجد في لغه العرب واعزها

ومعرفة **النوع** الثامن عشر من الباب الاول من القسم الثاني من
الحروف العاطفه والجاره وهو نوع مسيس لمؤلف الكلام مراعاته
والعنايه به لان معانيه ودقايقه لا تشمها الا الفطن اللبيب وما دار
من علما هذه الصناعه من تعرض له ولا ذكره ولا اقول انهم لم يعرفوا ذلك

اصلا بل ان هذا النوع من الكلام اشهر من ان يخفى لانه مذكور
في كتب العربيه جميعها ولست اعني باراده ها هنا ما يذكره النحويون من
ان الحروف العاطفه تشبع المعطوف عليه في الاعراب ولا ان الحروف الجاره
تجر ما تدخل عليه بل امرا اوراء ذلك وان المرجع فيه الى الاصل الذي دل عليه
العربيه في جميعهم **فاقول** ان ادرى ما الناس يجعلون ما ينبغي
ان يعطف بالواو معطوفا بالفا وما ينبغي ان يعطف بالفا معطوفا
بهم ولذلك يجعلون ما ينبغي ان يكون بعلى عن في حروف الجر وفي هذه
الاشيا دقايق اذا درتها الله السايل ليعلم الشريفها فاما حروف
العطف فنحو قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه
من نطفه خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره
الا ترى انه لما قال ثم من نطفه خلقه كيف قال فقدره ولم يقل ثم قدره
لان التقدير لما كان تابعا للخلقه وملازما لها عطفهما عليه بالفا وذلك
بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان من خلقته وتقديره في بطن امه وبين
اخراجه منها وتسهيل سبيله مهله وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى
هذا جا قوله تعالى ثم اماته فاقبره وقوله ثم اذا شا انشره فلان من
اخراجه من بطن امه وبين مصيره تراخيا وفسحه ولذلك بين موته ونشوره
ايضا ولهذا عطفها بثم ولما لم يبن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا
مهله عطفه بالفا وامثال هذا كثيره فينبغي لمؤلف الكلام تدبرها
والاتيان بها في اماكنها واعلم ان في حروف العطف موضعا يلتبس فيه
الفا بالواو وهو موضع يحتاج الى فصل يامل لانه شديد الاشتباه
والالتباس وذلك ان فعل المضارعه لا يعطف عليه الا بالفا دون الواو

ومدحي من الافعال ما ملبس بفعل المطاوعه وبعطي ظاهره انه كذلك
الا ان معناه يكون مخالفا بمعنى فعل المضارعه فيعطف حينيذ بالواو
لا بالفا وهذا موضع غامض يحب على المولف التحرز من الوقوع فيه
ممن ذلك قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا فقوله تعالى اغفلنا قلبه عن ذكرنا هاهنا بمعنى
صادفه غافلا وليس مقولا عن عقل حتى يكون معناه صددناه لانه
لو كان كذلك لكان معطوفا عليه فاتبع هواه بالفا وذلك انه مطاوعا
وفعل المطاوعه انما يكون معطوفا بالفا دون الواو كقولك
اعطيته فاخذ دعوته فاجاب ولا تقول اعطيته واخذ ولا دعوته
فاجاب كما لا تقول كسرته وانكسر وكذلك لو كان معنى اغفلنا في
الايه صددنا ومعنا لكان معطوفا بالفا وكان يقال ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه
بالواو وطريقة انه لما قال اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ان يكون
معنا وجدناه غافلا واذا وجدناه غافلا فقد غفل لا محاله وكانه قال
ولا تطع من غفل عن ذكرنا واتبع هواه اي لا تطع من فعل كذا
ولذا بعد دافعاله التي توجب ترك طاعته فاعرف ذلك ووقف عليه

واما حروف الجر فمحو قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين الا ترى
الى بلاغة هذا المعنى المقصود لمخالفه حرفي الجر هاهنا فانه انما
حولف بينهما في الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كانه مستعل
على فرس جواد يرفض حيث شاء وصاحب الضلال كانه منغمس في ظلامه

ريب فيه فلا يدري اين يتوجه وهذا معنى دقيق فتل ما تراعي في الكلام
ولا تدر اما سمعت اذا كان الرجل يلوم صديقه او يعاتب خليله على امر
من الامور فتقول له انت على صلاة الله القديم كما اعهدك وان كان هذا
جائزا في الكلام الا ان استعمال في هاهنا اولى لما اشرنا ومن
هذا النوع قوله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين
والعاملين عليها والمولفه قلوبهم وفي الرقاب والغارمين
وفي سبيل الله فانه انما عدل عن الكلام الى في البيت الاخيره
للاشعار بانهم ارسخ في استحقاق الصدقه عليهم ممن سبق ذكره لان
في الوعاء على انهم احقا بان يوضع فيهم الصدقات وجعلوا
مظنه لها وذلك لما في فك الرقاب وفي العزم من التخلص وتحرير
في قوله تعالى وفي سبيل الله فيه فضل ترجيح له على الرقاب
وعلى الغارمين وامثال هذا مما يوجب مراعاته والاعتناء به
فاعرفه النوع التاسع عشر من الباب الاول من القسم
الثاني في التكرير وهو قسمان احدهما توجد في اللفظ والمعنى
والاخر توجد في المعنى دون اللفظ فاما الذي توجد في اللفظ
والمعنى فكقولك لمن تستدعيه اسرع اسرع ومنه قول
ابي الطيب المتنبي

ولم ار مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام

واما الذي توجد في المعنى دون اللفظ فكقولك اطعني ولا تعصني
فان الامر بالطاعه نهي عن المعصيه وكل من هذين القسمين ينقسم
الى مقيد وغير ذلك فالمقيد ياتي في الكلام تاكيدا وتشييدا

من ابيره وانما يفعل ذلك للدلاله على عظيم محل الشئ الذي فرت
فيه ملامة والاسعاد بحمامه شانه وعلو قدره او الدلاله على
حقارته والاعلام بهوانه وانضاعه وغير المفيد لا ياتي
في الكلام الا عاريا وخطا من غير حاجة اليه فاما
الاول وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى فهو ضربان مفيد وغير
مفيد فالضرب الاول المفيد وهو فرعان الاول اذا كان
النكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به
غرضان مختلفان كقوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان
يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو
كره المجرمون هذا تكرير في اللفظ والمعنى يحق الحق وليحق الحق وانما
يحسن هاهنا الاختلاف المراد وذلك ان الاول تميز بين الارادتين
والثاني بيان لغرضه فما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها
لهم ونصر بقدر على غيرها عليها وانه ما نصرهم ولا خذل او لبلب الا
بهذا العرض ومن هذا الباب ايضا قوله تعالى قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا
له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه الاية الاتي الى هذا التكرير
في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله
قل الله اعبد مخلصا له ديني المراد هو من زمان مختلفان وذلك
ان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله عز وجل باحداث العباده

له والاخلاص في دينه والثاني اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره
بعبادته مخلصا له دينه والدلالة على ذلك قدم المعبود على فعل العباده
في الثاني واخر في الاول لان الكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده
وما يتعلق به من يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه فاعبدوا ما شئتم من دونه
ومما ورد على نحو من ذلك قوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما
تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون
ما اعبد لكم دينكم ولي دين معناه لا اعبد بعني في المستقبل لا تطلبونه
مني من عبادة الهكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلبه منكم من عبادة الهي ولا
انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا ما سلف ما عبدتم فيه يعني انه لم
يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما فكيف يرجى ذلك مني في
الاسلام ولا انتم عابدون في الماضي في وقت ما ما انا على عبادته الان
وامثال هذا كثير فاعرفه ومن هذا النحو قوله تعالى لبثت قوم نوح
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله
واطيعون فانه انما كرر قوله فاتقوا الله واطيعون لتولده عندهم
وليقرره في نفوسهم مع تعلق كل واحد منهما بعلة فجعل علة الاول
كونه امينا فيما بينهم وجعل علة الثاني حسم طمعه عنهم وخلوه من الاغراض
فيما يدعوهم اليه ومن هذا النحو قوله تعالى لبث قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب
ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب انما ذكر تكذيبهم هاهنا لانه لم يات به
على اسلوب واحد بل نوع فيه ضروبا من الصنعة فذكر اولا في الجملة

الخبريه على وجه الابهام ثم جاء بالجمله الاسميه فاوضحه بان كل واحد
من الاحزاب فرد من جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا
جميعهم وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والنبوع في تكريره
للجمله الخبريه اولا وبالاستئناف ثانيا وما في الاستئناف من التوضع على
جهة التوكيد والتخصيص من المبالغه المسجله عليهم باستحقاق اشد
العذاب وابلغه وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض وبه تعرف
مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره فافهمه

الفرع

الثاني من الضربين الاولين اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد
والمراد به عرض واحد كقوله تعالى والله الذي ترسل الرياح فتثير
سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم من قبله لمبلسين ففي قوله من قبله بعد قوله من قبل فائدة الدلاله على
ان عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم باسهم وتمادي بلاسهم
فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك ومثل هذا قوله تعالى
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وكذلك قوله تعالى ولا يحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم ومن هذا الجنس قوله تعالى وقال الذي
امن يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع
وان الاخرة هي دار القرار فانه انما اراد ترداد قومه ها هنا لزيادة التنبيه
لهم والايقاظ عن سنة الغفله ولانهم قومه وعشيرته وهم فيما نوبهم
من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصحتهم عليه واجبه فهو يحرز لهم

وسلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يهموه فان سرورهم يسرون وغمهم يغمه
وان لم ينزلوا على نصحته لهم وهذا من التكرير الذي هو ابلغ من الايجاز
واشد موقعا من الاختصار فاعرفه وعلى نحو منه جا قوله تعالى في سورة القمر
فذوقوا عذابي ونذر وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فانه
قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته ان تجددوا عند استماع كل نبا من
انبا الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا انتباها واستيقاظا اذا
سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وان يفرع لهم العصا مرارا لئلا تعلبهم
السهو ويستولي عليهم الغفله وهذا احكم التكرير في قوله تعالى في سورة
الرحمن جل وعلا فبأي الاء ربكما تكذبان وذلك عند ذكر كل نعمة عددها
على عباده وامثال هذا في القرآن الكريم كثيرة فاعرفها

الضرب

الثاني من التكرير في
اللفظ والمعنى وهو غير المفيد وهو الذي يكون وجوده وعدمه سواء لانه لا
ياتي الا لمعنى واحد فقط فمن ذلك ما اورده في صدر هذا الباب
وهو قول ابي الطيب المتنبي

ولم ار مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام

هذا هو التكرير الفاحش الذي يوتى في الكلام بقصارا لا ترى انه يقول
لم ار مثل جيراني في سوء الجوار وقله المراعاه ولا مثلي في مصابرتهم ومعاملي
عندهم الا انه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جا قوله

فقلت بالهم الذي فلق الحشا فلا قل عيش كلفن قلا قل

قال الصاحب اسمعيل بن عباد انكر على ابي الطيب هذا البيت لاجل التكرير الذي فيه
ورايت الواحدي قد ذكر في شرحه لشعر ابي الطيب انه لا يلزمه من هذا عيب

وانه قد جرت عادة الشعراء بمثل هذا القول الى منصور الثعالبي

واذا البلابل اطربت بهديلها فانف البلابل باحتسا بلابل

ولقد اصاب الصاحب بن عباد في استقباح بيت ابي الطيب واخطأ الواحدي في الاعتذار عنه ومثل ذلك قول الثعالبي وبيانه ان بيت ابي الطيب قد ورد فيه ذكر القلقله والقلاقل اربع مرات وهذا لا دلالة على معنى واحد لا غير وهو الذي يقول

وحركت بالهم الذي حرك الحشا ... فوافى سراع الحركة طهر مبرك

وهذا من اقبح ما يكون من التكرير واما بيت الثعالبي الذي مثله الواحدي بيت ابي الطيب فليس مثلا لان لفظة البلابل قد وردت فيه ثلث مرات وكل منها دال على معنى والبلابل الاولى جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت والبلابل الثانية جمع بلبله وهي وساوس الصدور والبلابل الثالثة جمع بلبله وهي مخرج الماء من الابريق فهو مقول واذا الاطيار من البلابل هدلت وغردت فانف البلابل من قلبي باحتسا الخمر من بلابل الابارق

وهذا من احسن ما يكون من التجنيس هاهنا وقع السهو للواحدي وهو ان البلابل في شعر الثعالبي يدل على معان مختلفه والقلاقل في شعر ابي الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه

الضرب الاول من هذا القسم وهو على ثلاثة اقسام

القسم الاول من النوع الاول من التكرير وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ وهو ضربان مفيد وغير مفيد

الضرب الاول المفيد وهو على ثلاثة اقسام ايضا

القسم الاول من الضرب الاول من القسم الاول اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين كذلك لانه على الجنس والعدد وهو باب من التكرير مشكل لانه يسبق الى الوهم انه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك فمما جاء منه قوله

تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد الا ترى ان العرب انما سمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا رجل وبرجال بلثه واقراس اربعه لان المعدود عار من الدلالة على العدد المخصوص فاما رجل وفرس وحمار فمعدود وان بالفائدة اذن في قوله تعالى الهين اثنين واله واحد هو ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والمنبه على الجنس والعدد المخصوص فاذا اردت الدلالة على ان المعنى به واحد منهما وكان الذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما ولده فقيل به على القصد اليه والعنايه به الا ترى انك لو قلت انما هو اله واحد ولم توكده بواحد لم يحسن وخيل انك نفيت الالهيه لا الوحدانيه وهذا باب من تكرير المعاني وعر المسلك دقيق المجرى وبه حل مسايل مشكلات من التكرير فاعرفه ومن هذا النحو اذا اه ان التكرير في المعنى يدل على معنيين احدهما خاص والاخر عام كقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الايه فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعا الى الخير لان الامر بالمعروف خاص والخير عام وكل امر بالمعروف خير وليس كل خير امرا بالمعروف لان الخير انواع كثيره من جملتها الامر بالمعروف وفايده التكرير ها هنا انه ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاه الوسطى الايه وامثال ذلك كثيره فاعرفها

الفرع الثاني من الضرب الاول من القسم الثاني اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد وقد سبق مثاله في اول هذا الباب هو قولك اطعني ولا تعصني لان الامر بالطاعه هي عين المعصيه والفايده في ذلك تاكيد الطاعه في نفس المخاطب والضمير لها في قلبه واللام في هذا الموضع من التكرير كالكاف

في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان المراد بهما غرضا واحدا

فاعرفه **الضرب** الثاني من القسم الثاني من تكرير

المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد فمن ذلك قول ابن هاني المغربي

سارت به صنع القصايد فمرة اذا كانت صبا وقبولا

فكانه قد قال متى ما كانت صبا وصبا لان الصبا هي القبول وليس ذلك

مثل التكرير في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى

فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى ولتكن منكم

امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فيما يرجع الى تكرير المعنى دون

اللفظ لان كل واحد من هاتين الايتين يشتمل على معنيين خاص وعام

وقول ابن هاني صبا وقبولا لا يعطي الا معنى واحدا لا غير وهذا الا خفي

على العارف بصناعة التاليف ومن هذا النحو قول الصابي في كتاب وصل

كتابك بعد الخبر وابطا وانتظاره واستبطا فان التاخير والابطا

بمعنى واحد وقد يكون لهذا وجه في التحويز وهو التعبير في نفس المخاطب

لبعد الامد وتطاول المدة في انقطاع كتابه عنه وذلك مما لا تاباه في

هذا الموضع وامثال هذا بينة فاعرفها **النوع** العشرون

من الباب الاول من القسم الثاني في مناسب المعاني وهو بلغة اضرب

الاول المطابقة وهي المقابلة اعلم ان جماعة العلماء من ارباب هذه

الصناعة قد اجمعوا على ان المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده

كالسواد والبياض من الليل والنهار وخالفهم في ذلك ابو الفرج قدامة بن

جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظتين متساويتين في البناء والصيغة

مختلفتين في المعنى وهذا الذي ذكر قدامة هو التخيير بعينه غير ان

الاسماء لا يستحسن فيها الا اذا كانت مشتقة وليست هي في مخالفته قدامة

جماعة العلماء في ايراد المطابقة ليعلم الحق في اي الجهتين معه وذلك انا نظرنا

الى اصل المطابقة في وضع اللغة فاذا هي مناسبة لما اجمع عليه العلماء

علمنا ان الحق معهم واذا كانت مناسبة لما ذكره قدامة علمنا ان الحق في يده

فرأينا اصل الطباق في اللغة من طابق البعير في سيره اذا وضع رجله موضع

يده وهذا اقوى مما ذكره قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذي

سقطت فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان غيرين اي مختلفين واللفظ

الذي يجمعهما واحد فقد امة سمى هذا النوع من الكلام المطابق حيث

كان الاسم مشتقا مما سمي به وذلك مناسب وواقع في موقعه الا انه قد جعل

التخيير اسما اخص هم المطابقة ولا مانع به واما جماعة العلماء فكانهم سموا

هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه

كذا هو الظاهر لنا من هذا الامر الا ان قد علموا الذي لم مناسبة لطيفة لم نطلع

نحن عليها ولنرجع الى هذا النوع من التاليف ونحقق الكلام فيه فنقول

اعلم ان الاليق من حيث المعنى ان يسمى هذا النوع المقابلة لانه لا يخلوا

الحال في ذلك من ثلثة اقسام اما ان يقابل الشيء لضده او لغيره او لمثله وليس لنا

قسم رابع فاما القسم الاول وهو مقابلة الشيء لضده كالسواد والبياض

وما جرى مجراه فكقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الاية وكقوله

هذه المقابلة البديعة حيث قابل الضحك بالبكاء والقليل بالكثير ولذلك

قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وهذا من احسن

ما يجيء في هذا الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حير المال عين

ساهرة لعين نائمة ومن هذا قول بعضهم في السحاب

وله ملاحزن ولامسره ضحك يراح سنه وبكا

مقابل الضحك بالبكا والحزن بالسرور في بيت واحد الا ان في ذلك بطرا
من حيث ترتيب التفسير لاحت المقابله لان ترتيب التفسير يقتضي ان قال
قله ملاحزن ولامسره بكا يراح سنه وضحك
وهذا الاخير عيب فيه وانما الاولى والاليق ما اشرنا اليه فاعرفه وسيأتي
بيانه وقال اخر

فلا الجود يفني المال والجد مقبل ولا البخل يبقي والجد مدبر

الا ترى الى هذه المقابله البديعه التي قد اتى بها هذا الشاعر فانه قابل
الجود بالبخل وبعى بقي ومقبل بمدبر وهذا هو الكلام السهل الممتنع
الذي هو كالنجم تراه قريبا على صفحات الماء وهو نائي بافق السما ومن هذا
النوع ايضا قول البحتري

وامه كان قبح الجور يسخطها وهو افاصبح حسن العدل يرضيها

فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضى وذلك بديع في بابه

واما القسم الثاني وهو مقابله الشئ بغيره وبقاربه فقول بعضهم
يحزن من يظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساء الى السوا حسانا

فقابل الظلم بالمغفره والظلم ليس ضد المغفره وانما هو ضد العدل
الا انه لما كانت المغفره قريبه من العدل مناسبه له حسنت المقابله بينها
وبين الظلم وامثال هذا البين الضرب الثاني من القسم الثاني
في المقابله وهو ان يقابل الشئ بما يشبهه وبناسبه بحال
من الاحوال وذلك مما لا يحسن استعماله في التاليف مما جامعه قول
بعضهم ام هل طحا بن بالعلياء رافعه وان تكامل فيها الذل والسبب

مع اللعس او ما يجري مجراه من اوصاف الثغر والفم

واما القسم الثالث من النوع العشرين فهو ان يقابل الشئ
بمثله وهو ضربان احدهما ان يقابل في اللفظ والمعنى الاخر المقابل
في المعنى دون اللفظ فالضرب الاول كقوله تعالى نسوا الله
فنسيهم وكقوله تعالى ومكروا ومكرنا مكرا او مكرنا مكرا وامثال
هذا كثير والضرب الثاني فهو ان يقابل الجمله بمثلها ان كانت
مستقبله وان كانت ماضيه فوبلت بماضيه وربما قوبل الماضي بالمستقبل
والمستقبل بالماضي وذلك اذا كان احدهما في معنى الاخر فمن ذلك قوله
تعالى فمن قال ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي
الي ربي فان هذا يقابل من جهة المعنى ولو كان المقابل من جهة اللفظ
لقال وان اهتديت فانما اهتدي لها وبان يقابل هذا الكلام من جهه
المعنى هو ان النفس كما هو عليها فهو نها اعني ان كل ما هو وبال عليها
وضار لها فهو نسيها ومنها لانها الاماره بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها
فهدايه ربه وتوفيقه اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يسند الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع علو
محله وسناد طريقته كان غيره اولى به ومن هذا الضرب ايضا قوله
تعالى الم نجعل الليل لسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون فانه لم يراع التفاصل في قوله لتسكنوا فيه وبصرا لان القياس
يقتضي ان يقول والنهار لتبصروا فيه وانما هو مراعاة من جهة المعنى لان من حيث
اللفظ وهذي النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى قوله مبصرا التبصروا فيه
طرق القلب في الحاجات ومن مقابله الشئ بمثله انك اذا ذكر المولف الفاظا

عنه حيوانا فالمرضي عندنا ان باقي تلك الالفاظ في الجواب من غير عدول
عنها الى غيرها مما هو في معناها فمن ذلك قوله تعالى وحق اسبوسة مثلها
ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنبا عامدا او السبب
جرما قاصدا لزمه ما اجناه وحاق به ما توخاه والاليق ان كان قال
لزمه ما اقترف وحاق به ما السبب ليكون احسن طباقا وان كان ذلك جايزا
في الكلام من حيث ان معناه صواب لكنه عدول عن الاليق والاولى في
هذا الباب وامثاله هذا خبيره فاعرفه واعلم ان في مقابل المعاني
بابا عجيبا الامر يحتاج الى فضل تامل وزياده نظر وتدبر وهو يخلص بالفوائد
من الكلام المنثور وبالاعجاز من الابيات الشعر فمما جاء من ذلك قوله تعالى
في معنى المنافقين واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم
امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفها الا انهم هم السفها ولكن لا يعلمون
الا ترى كيف فصل الايه الاخيره بقوله يعلمون والايه التي قبلها بقوله يشعرون وانما فعل
ذلك لان امر الديانه والوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل يحتاج
الى نظر واستدلال حتى يحسب الناظم العلم والمعرفه بذلك واما النفاق
وما فيه من البغي المودي الى الفتنه والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على
العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من المحارب
والمغاور فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وايضا فانه لما
السفه في الايه الاخيره وهو جهل كان ذكر العلم معه احسن طباقا فقال لا
يعلمون واما القران الكريم جمعها فصلت هذا هو قوله تعالى الم تر ان الله
انزل من السما ما فتصبح الارض مخضره ان الله لطيف خبير كقوله ما في السموات

وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد وكقوله الم تر ان الله سخر لكم ما في
الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه
ان الله بالناس لرؤف رحيم فانه انما فصلت الايه الاولى لطيف خبير
لان ذلك في موضع الرحمه لخلقه بانزال الغيث واخراج النبات
من الارض لانه خبير بمنفعتهم ومضرتهم في انزال الغيث وغيره
واما الايه الثانيه فانما فصلت بغني حميد لانه قال له ما في السموات
وما في الارض فعرف الناس ان جميع ما في السموات والارض له لا لحاجه
بل هو غني عنها جوادا بها لان لبس من غني نافعا بغناه الا اذا كان
جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد
فذكر الحميد ليدل على انه الغني النافع بغناه خلقه واما الايه
الثالثه فانما فصلت برؤف رحيم لانه لما عدد للناس ما انعم به عليهم
من تسخير ما في الارض لهم واجرا الفلك في البحر بهم وتسييرهم في ذلك
الهول العظيم وجعله السما فوقهم وامساكه ايها عن الوقوع حسن
ان يفصل ذلك بقوله رؤف رحيم اي ان هذا الفعل فعل رؤف رحيم
بكم واعلم ايها المتامل لكتابنا هذا انه قل ما توخد هذه الملازمه
والمناسبه كلام ناظم او ناثر وهذا الباب ليس في علم البيان اكثر
تبعا منه ولا اعظم فايده وهو مع ذلك رقيق المسلك ضيق المذهب
فعليكم معشر المتصدين لهذه الصناعه بتدبر مطاويه وامعان النظر
في مشكلاته ولفي ما اشرنا اليه مثالا لمن له لب ومما جاء من هذا
الباب في الشعر قول المتنبي

وقفت وما في الموت شك لواقف كانك في جفن الردي وهو نايم

تمزيك الابطال كلمي هزيمه ووحهك وضاح وثغرك باسم

وقد اخذ عليه ذلك وقيل لو جعل اخر البيت البائي واخر الست البائي

اخر الست الاول لكان اولي وحماه اخذه عليه انه استشده سيف

الدوله يوما بقصيدته التي اولها على قدر اهل العزم تاتي العزائم

فلما بلغ الي قوله وقعت وما في الموت شك لواقف الفيس

السنين قال له وقد اسقدت عليك هذين البيتين فما اسقد علي امري

ابطن قوله كاني لم اركب جوادا للذة ولم اصبا ذات حلخال

٢ ولم اسبا الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

فسال لم يلتم سطورها فلم يلتم سطر بيتي امري الفيس

وكان ينبغي ان يقول ابطن

كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي ولم اسبا للزق ولم

وكذلك ينبغي ان يقول

وقعت وما في الموت شك لواقف ووحهك وضاح وثغرك باسم

تمزيك الابطال كلمي هزيمه فاما في حض الردي وهو تمام

فقال المبيي ان صح الذي استدرك على امرئ القيس هذا فهو اعلم

بالشعر منه فقد اخطا امرؤ القيس واخطات وما ادري ما يعلم ان

الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحايك لان البزاز يعلم جملته

والحايك يعلم تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب

للصيد وقرن السماحة بسبا الخمر للانصاف بالشجاعة في منازلة الاعدا

ولذلك لما ذكرت الموت في صدر الست الاول استعنته بذكر الردي

في اخره ليكون احسن طباقا وتلازما ولما كان وجه الجرح المنهزم

يكون عبوسا وعبسه باكيه قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لا جمع

بين الاضداد في المعنى فاعجب سيف الدين لكلامه وامثال ذلك كثيره الا

انه يحتاج الناقد لها والمميز بين جيدها ورديها الى فكره وتامله ورويه

صافيه زايده

الصرف الثاني من النوع

العشرين في صحه التقسيم وفساده اعلم انا لم نرد بالتقسيم

هاهنا ما يقتضيه القسمه العقليه كما ذهب اليه المعلمون فان القسمه

العقليه تقتضي اشيا مستجلبه كما قالوا الجواهر لا تخلوا اما ان تكون

مجتمعه او متفرقه الا ترى الى هذه القسمه صحيحه من حيث العقل

لاسيما الاقسام جميعها وان كان من حملتها ما يستحيل وجوده فان الشي

لا يكون مجتمعا متفرقا في حاله واحده وانما نريد بحثنا بالتقسيم هاهنا

ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو ان يجوز المولف الى جميع اقسام

الكلام المحتمله فيستوفيها غير تارك منها قسما فمن ذلك قوله تعالى

ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

ومنهم سابق بالخيرات فانه لا يخلو العالم جميعه من هذه الاقسام

الثلثه اما عاص ظالم لنفسه واما مطيع مسارع الى الخيرات واما

مقتصد بينهما وهذا من اصح التقسيمات واكملها فاعرفه ومن هذا

النحو قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثه فاصحاب الميمنه ما اصحاب الميمنه

واصحاب المشئمه ما اصحاب المشئمه والسابقون السابقون اعلم ان هذه

الايه مماثله في المعنى لما سبق ذكره فاصحاب المشئمه هم الظالمون لانفسهم

واصحاب الميمنه هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات

وعلى نحو من ذلك جا قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا

الا ترى الى تراعه هذه القسمه فان الناس عند رؤيه البرق بين خايف وطامع
وليس لهم ثالث وكان حماعه من ارباب هذه الصناعه المنتصبين في صدرها
يحبون يقول بعض الاعراب في هذا المعنى ويقول الذي له من اصح التقسيمات
وقوله النعم بلث نعمه في حال كونها نعمه ونعمه ترجي مستقبله ونعمه
ماتي غير محتسبه فاحيي الله عليك ما انت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل
عليك تمام المحتسبه فقالوا انه ليس في اقسام النعم التي تقع الانتفاع
بها قسم رابع سوى ما ذكر الاعرابي وهذا القول فاسد وهو ان في
اقسام النعم التي قسمها ها هنا نقصا لا بد منه وزياده لا حاجه اليها
فاما النقص فاغفاله ذكر النعمه الماضيه واما الزياده فقوله بعد النعمه
المستقبله التي ماتي غير محتسبه وهذا حط الان النعمه التي ماتي غير محتسبه
هي داخله في قسم المستقبله وذلك ان النعمه المستقبله تنقسم الى قسمين
احدهما ترجى حصوله وتتوقع بلوغه والاخر لا يحتسب ولا يشعر
بوجوده فقوله ونعمه ماتي غير محتسبه توهم ان هذا القسم غير
المستقبل وهو داخل في جملته ولو قال ونعمه مستقبله من غير ان يقول
ونعمه ماتي غير محتسبه لكان قوله كافيا اذ النعمه التي ترجى او النعمه التي
لا يحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل وكان ينبغي ان يقول النعم بلث
نعمه ماضيه ونعمه في حال كونها ونعمه ماتي مستقبله فاحسن الله افاده
النعمه الماضيه وابقى عليك النعمه التي انت فيها وورحظك من النعمه
التي تستقبلها الا تراه لو قال دلك لكان قد طبق به مفصل الصواب
فافهم ما ذكرناه وقس عليه ووقف اعرابي على مجلس الحسن فقال رحم الله
من اعطى من سعه او واسى من كفاف او ايثر من قله فقال الحسن ما ترك لاحد

عذرا في تصرف الاعرابي بخير كثير ومن هذا الضرب ما ذكره ابو هلال
العسكري في كتابه وذلك انه اخذ على جميل قوله

لو ان في قلبي كقدر فلامه حبا وصلتك او اتتك رسائلي

فقال ابو هلال ان اتيان الرسايل داخل في جمله الوصل وليس الامر كما وقع
له فان جميلا انما اراد بقوله وصلتك اي اتتك زائرا او قاصدا او كنت
راسلتك مراسله والوصل لا يخرج من هذين القسمين اما زياره واما رساله ومن
اعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره ابو العلا محمد بن غانم المعروف
بالغانمي وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجر وهجركم قلي وعطفكم صد وسلمكم حرب

ثم روي المشار اليه عن ابي القسم الامدي انه قال ان بعض نقدما الكلام من اللغا
لما سمع هذا البيت قال والله هذا احسن من تقسيمات اقليدس ومن العجب كيف
ذكر الغانمي ذلك في كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه في هذه الصناعه
واعجب من ذلك قول ابي القسم الامدي واعجب منهما جميعا استحسان ما قاله الغلام
لهذا التقسيم الا تراي ان هذا البيت قد بني عليه شي اخر من جنسه فانه لو
اضيف اليه بيت غير فقيل

ولبعضكم عنف وقربكم نوى واعطاكم منع وصدقكم كذب

لجاز ذلك وربما احتمل ان يزاد على هذا البيت الثاني بيت ثالث ورابع ولو كان
ذلك التقسيم في البيت الاول صحيحا لما احتمل ان يضاف اليه شي اخر البته لان
من شرط صحه التقسيم ان لا يحتمل الزياده ومما جاء على نحو من هذا قول بعضهم
في حق مكسور بن في الحرب ممن بن جريح مصرع مدمايه وهارب كالملفت ابي
ورايه فان الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال ممن بين

قيل وماسور وناج لصح له التقسيم لان المكسور بن في الحرب الذين ذارت
عليهم الدوائر لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلثه فاما قتيل او ماسور او ناج
واما الجريح فانه يدخل في حمله الناجي والماسور لان كلا منهما يجوز ان
تكون جرحه خفيفا او ان لا يكون فاعرف ذلك وقس عليه **الضرب**
الثالث من النوع العشرين في التفسير وترتيبه وما يصح من ذلك وما يفسد ۞
اعلم ان صحة ترتيب التفسير هي ان يذكر المولف في كلامه معاني محلفه فاذا عاد
اليها بالذكر لتفسيرها قدم المقدم واخر المؤخر واذا لم يراع المولف
ذلك كان ماخوذا عليه لانه يخل بشطر من الصناعه فمن ذلك قول بعضهم

غيث وليث فعيث حين نساله عرفا وليث لدى الهيجا ضرغام
يحمي به الانام في الجدب ان قحطوا جودا ويسقي به يوم الوغى الهام

ومن هذا الباب قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار اثنين فمحونا اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة ولذلك قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم
سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التعيش وذلك في
غاية الحسن ومن هذا النحو قول بعضهم

يوم المتيم فيك حول كامل سلف الفصلان فيه اذا اتى
ما بين حرحوي وما مدامع ان حن صاف وان بكا وجدا سيى

وهذا من اصح التفسير فاعرفه ومن ذلك قول الاخر وهو غاية في بابه

شكوت فقالت كل هذا بزعمي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لسد ما صبرت وما هذا بفعل ذي القلب
وادنو فتقصيني فابعد طالبا رضاها فتقعد التباعد من ذنبي

فشكواي بوذيها وصبري يسوءها وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها اعينوا بها واستوجبوا الاجر من ربي

فما ترك هذا الشاعر شيئا من المعاني التي ذكرها اولا فيما يلاقيه من الحب والبلوي
الا وفسرها على الترتيب فاعرف ذلك وفيما اخذ على الفرزدق من هذا النحو
قوله لقد حمت قوما او لحاب اليهم طريد دم او حاملا ثقل مغرم

لا لفيت منهم معطيا او مطاعنا ورال سرراها الوشيج المقوم
لاصاب في التفسير ولاخطا في الترتيب وذلك انه اتى بتفسير ما تناول في البيت
الاول ثانيا في البيت الثاني وهو قوله طريد دم فقال او مطاعنا ولذلك
اتى بتفسير ما هو ثان في البيت الاول اولا في البيت الثاني وهو قوله حاملا
ثقل مغرم فقال الا لفيت منهم معطيا والاولى ان كان اتى بتفسير ذلك مرتبا ففسر
ما هو اول في البيت والاول ما هو اول في البيت الثاني وما هو ثان في
البيت الاول ما هو ثان في البيت الثاني وذلك لو سلم له الوزن الا ان هذا لا
يسير عيب فيه وانما الاحسن ما اشرنا اليه واعلم ان الناظم اذا اتى بمثل
ما اتى به الفرزدق لا ينكر عليه ذلك لما ينكر على الناثر وذلك ان الناظم يضطره
الوزن والقافيه الى العدول عن الواجب في التفسير وترك الاولى في صناعته لما
اضطر الوزن والقافيه للفرزدق فانه لو اراد ان ياتي بمقتضى الصنعه
لقال لقد حمت قوما او لحاب اليهم طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لا لفيت منهم طاعنا بالوشيج المقوم او معطيا وهذا مما يعتذر به الوزن
والقافيه واما الناثر فانه لا يضطر الى مثل ذلك لتصرفه كيف شاء
ولهذا كان الشاعر مواخذا باداء هذه الصناعه اكثر مما يواخذ الناثر

فعرف ذلك ومما احد عن الفرزدق قوله ايضا

كيف اسلو وانت حصف وعض وعز الخطاب وردفا وقدا

والاصل في هذا ان كان قال وردفا وقدا ولحظا وامثال هذا كثير

فاعرفها واما فساد التفسير في هذا الباب فهو ان ياتي المؤلف

بكلام ثم يفسره بتفسير لا تناسبه وذلك عيب لا يسامح فيه بحال

من الاحوال كقول بعضهم

فيا لها حسرا في ظلمة الدجى ومن خاف ان يلقاه بغي من العدي

تعال اليه يلق من نور وجهه ضيا ومن لثمه بحرا من الندي

وان يحب لهذا الشاعر ان يجعل بازا بغي العدي ما يناسبه من النصره او الاذاله

او الاعانه او ما جرى هذا المجرى ليكون ذلك تفسيرا لما جعل بازا الظلمه

الصبا وفسرها به فاما ان وضع بازا ما يخوف منه حرا من الندي لا يكون

تفسيرا له وامثال هذا كثيره فليجتنب

النوع الحادي والعشرون من الباب الاول من القسم الثاني

في الخطاب بالجمله الفعليه والخطاب بالجمله الاسميه المولد بان المشدده

وتفضيل احداهما على الاخرى وذلك كقولنا قام زيد وان زيدا قايم

وقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قايم

معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا لقايم ايضا الا ان في الثاني

زياده ليست في الاول وفي توليد بان المشدده التي من شانها الاثبات لما ياتي

بعدها من الكلام نحو هذا النحو قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا

واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون فانهم انما خاطبوا

المومنين بالجمله الفعليه وشياطينهم بالجمله الاسميه المحققه بان المشدده

فعدلوا في خطاب المومنين امنا وفي لاخوانهم انا معكم لانهم في مخاطبه اخوانهم

بما يخبر وابه عن انفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه

على صدق رغبه ووفور نشاط وكان ذلك معقبلا منهم ورايحا عند اخوانهم

وما قالوه للمومنين فانما قالوه حلفا واطهارا للايمان خوفا ومداجاه وكانوا

يعلمون انهم لو قالوه باوكد لفظ واشده لما راج لهم عند المومنين الا

رواجا ظاهرا لا باطنا ولانهم ليس لهم من عقايدهم باعث قوي على النطق في

خطاب المومنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العباده الموكده فلذلك

قالوا في خطاب المومنين امنا وفي اخوانهم انا معكم وهذه نكته دقيقه

ولطايف خفيه لا توجد في نوع من الكلام العربي الا في القران الكريم وما

اكثر ذلك وامثاله في اساليبه واوفره مودعا في عيونه فاعرفه وقس عليه

النوع الثاني والعشرون من الباب الاول من القسم الثاني

في ورود كلام الماكيد ولا يجي ذلك الا لضرب من المبالغه وقاعدتها في التاليف

اذا عبر عن امر يعز وجوده او فعل يعظم احداثه ووقوعه حتى يتاخر تحققه

لذلك وشاهده من هذا الباب قوله تعالى افرايتم ما تحرثون ايتم تزرعونه

ام نحن الزارعون لو نشا لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن

محرومون افرايتم الماء الذي تشربون ايتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون

لو نشا جعلناه اجاجا فلولا تشكرون الا ترى كيف ادخلت اللام في ايه المطعوم

دون ايه المشروب وانما جات لذلك لان جعل الماء العذب ملحا اسهل امكانا

والموجود من الماء الملح اكثر من الموجود من الماء العذب وكثيرا ما اذا جرت

المياه العذبه على الاراضي المغيره التربه احالتها الى الملوحه والمراره

فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحا الى زياده تاكيد فلذلك لم يدخل عليه لام

التاكيد المفيده زيادة للتحقيق واما المطعوم فان جعلناه خطاما
لما كان خارجا عن المعتاد وهو غير مألوف واذا وقع فلا يكون الا عن
سخط شديد وغضب زائد فقرن بلام التاكيد زيادة في تحقيق امره
وتقريره الحاده ولمونه وهكذا ينبغي بل امر فيه نوع خصوصية
فاعرفه **النوع** الثالث والعشرون في الباب الاول من
القسم الثاني في الاقتصاد والافراط والتفريط فاما الاقتصاد
فهو ان يكون المعنى المضمر في العباره على حسب ما يقتضيه المعبر عنه
في امر انه واما التفريط والافراط فهو ان يكون المعنى المضمر
في العباره بخلاف ما يقتضيه منزله المعبر عنه فاما الخطاطا
دونها وهو التفريط واما تجاوزا عنها وهو الافراط لان اصل
التفريط في وضع اللغه من فرط في الامر اذا قصر فيه وضيعه
واصل الافراط في وضع اللغه من افراط في الامر اذا تجاوز فيه
الحد فالتفريط عيب في الكلام فاحش وذلك كقول
الاعشى وما تزيد من حليم الفرات حين عوارضه تلتطم

باجود منه بما عونه اذا ما سما وهم لم تعم

فانه قد مدح ملكا بانه يجود بما عونه والما عون هو ما يستعار من
قدوم او قصعه او قدر او ما اشبه ذلك وليس للملوك في بذله مدح
البته بل هو الى الذم اقرب منه الى المدح فهذا من اقبح التفريط
ومن هذا الباب قول ابي تمام

ما زال يهدي بالمكارم والعلى حتى ظننا انه محموم

فانه اراد ان يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بالمكارم والعلى فقال ما زال

يهدي ولا اعلم ما كانت حال ابي تمام عند قوله هذا البيت ولا
اعلم اي امر اصطره اليه مع سعه مجال العربيه وانفساح مدارها
ثم ما كفاه ذلك حتى قال ظننا انه محموم وعلى نحو من ذلك جاء
قول بعضهم

ولحقه عبد المكارم هزه كما انتفض المحموم من ام ملدم

ومن اقبح ما رايناه في القبيل قول ابي تمام ايضا

انت ذلوود والسماح ابو موسى قليب وانت ذلو القليب

ومراد ابي تمام من ذلك انه سبب لعطا المشار اليه كما ان الدلو سبب في امساح
الماء من القليب فهذا وامثاله مما لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا
ولهذا كان المدح الفاظ لا يجوز استعمالها في الذم والذم الفاظ لا يجوز
استعمالها في المدح الا ترى ان من المعاني ما يعبر عنه بالفاظ مستعده ويكون
المعنى المندرج تحتها واحدا من تلك الالفاظ ما يحسن استعماله في المدح ومنها ما
لا يحسن استعماله في الذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع
الالفاظ الدالة عليه شرعا سواء في الاستعمال وانما هذا يعود الى العرف
دون الاصل ولنضرب لذلك مثالا **فصول** هل يجوز ان يخاطب
الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على ان يقال له وحق راسك فان هذا مما لا يجوز
لحد الله الا ترى ان المولف اذا اراد المدح ذكر الراس والهامه والحاهل وما
جرى هذا المجرى واذا اراد الهجو ذكر الدماغ والقفا والقذال وما جرى
هذا المجرى وان كانت معاني الجميع متقاربه ولاجل ذلك حسنت الكنايه في الموضع
الذي يقبح فيه التصريح وامثال هذا الضرب من الكلام كثيرة فاعرفه
واما الافراط فهو كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رجلا

جاءه فكلمه فقال ما شاء الله وشئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده ومن هذا الباب قول عمرو
ان المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الاجال
فان الطعن لا يسبق الاجل اذ الاجل لا يتقدم ولا يتاخر وقد قيل سابق الا
اقرب امرا من كونه بالباء غير ان كليهما افراط في القول ومما جاء على نحو من
هذا قول بشار
اذا ما غضب اغضبه مصره مسكا حجاب الشمس او قطرت دما
وقال ابو عثمان الحاظ في كتاب الحيوان لم نعلم احدا اسرف في القول
كالنابغة حيث يقول
اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد ايقن ان قبيلة اذا ما التقى الجمعان اول غالب
لانه ليس عند الطير في اتباع الجموع والعساكر الا ما يسقط من ركابهم
وودائعهم اذا ما نوا قدرا وذلك من تلك الجموع والقوة منها فاما ان يقصدوا
بالاكل والنقيز لاحد الجمعين بالاذالة والعلة بعد الم يقتله احد وقيل
ان بعض افراد هذه الصناعة لما سمع قول قيس بن الخطيم
ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها
قال هذا لم يطعنه وانما فتح فيه بابا او درءا واعلم ان علة البيان في استعمال
الافراط على ثلثة اضرب منهم من يرده ولا يراه صوابا كابي عثمان الحاظ
فيما روي عنه ومنهم من يختاره ويوثر كقدامة بن جعفر الكاتب فانه كان
يقول العلو عندي اجود المذهبين فان احسن الشعر الذي ذهب
الى التوسط من العلو والتفريط وهو الاقتصاد وذلك ان يجعل العلو وهو

الافراط مثلا ثم يستثني فيه باو او يكاد او ما جرى هذا المجرى فيدرك مراده
وسلم من عيب عايب وطعن طاعن وذلك كقول بعضهم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
وكقول ابي عبادة البحتري
ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر
وهذا المذهب المتوسط اليق المذاهب الله وادخلها في الصنعة فاعرفه
النوع الرابع والعشرون من الباب الاول من الفن الثاني في المعاطله
وهو نوع من التاليف يحب اجتنابه لانه عيب في الكلام فاحش واصل
المعاطله في اصل اللغه من تعاطلت الجراد فان اذا ركب احداها الاخرى
فسمي الكلام الذي تداخلت معانيه وركب بعضها في بعض المعاطله ماخوذا
من ذلك وهو اسم لا يتوسمه ووصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهير
بن ابي سلمى فقال كان لا يعاظل بين الكلام واعلم ان هذا الباب من التاليف
يجب تدبره لاختلاف اهل هذه الصنعه فيه فقال قدامه المعاطل هو
تداخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا اعرف ذلك الا فاحش الاستعاره
كقول اوس بن حجر
وداث هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا
فسمي الصبي تولبا والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره قدامه وهو خطا
لانه لو كان ما ذهب اليه صحيحا لكان اصل المعاطله في وضع اللغه دخول
الشيء فيما ليس من جنسه وليس اصلها في موضع اللغه لذلك بل هو التداخل
والتراكب وهذا المثال الذي مثل به قدامه لا تداخل في معانيه ولا تراكب
وانما هو استعاره فاحشه فقط فوجب حينئذ ان لا يسمى معاطله

لان حقيقه المعاظله ليست موجوده فيه **وأما جماعه** الاصحاب
من علما البيان فانهم خالفوا قدامه فيما ذهب اليه والحق في امر بين لا يخفى
في دلك حقيقه هذا الاسم الذي وضع له في اصل اللغه وقد مثله الغانمي
بقول الفرزدق

ومامثله في الناس الا ملكا ابوامه حي ابوه يقاربه

وهذا مثال حسن لوقوعه على ما مثل به الاتري الي تداخل معاني هذا البيت
وتقديم ما كان يجب تاخيره وتاخير ما كان يجب تقديمه لان الاصل
في معنى هذا البيت ومامثله في الناس حي يقاربه الا ملكا ابوامه ابوه
فاعلم ان هذا الذي اشرنا اليه من المعاظله ما به التقديم والتاخير
وقد سبق ذكره في بابها هذا الا ان المعاظله قد جعل لها اهل هذه
الصناعه بابا مفردا في كتبهم فلم نر مخالفتهم في هذا القدر لكنا
بينا حقيقتها في بابها واشرنا اليه ما وضح اشاره والحطيئه التعرف في
موضعها من التاليف النوع الخامس والعشرون من الباب
الاول من الفن الثاني في التضمين وهو مما يزداد به الكلام حلاوه
وتشب به رونقا وطلاوه ولاسيما اذا كان التضمين ابيات القران الكريم
فانها تكون في الكلام كالشاهده له والمبادره على سداده واعلم
ان التضمين على ضربين احدهما تضمين الاسناد وذلك يقع في بيتين من الشعر
وفصل من الكلام المنثور على ان يكون الاول مسندا الى الثاني فلا يقوم
الاول بنفسه ولا يتم معناه الا بالثاني فمما جاء من ذلك قول بعضهم
ومن البلوى التي لبس لها في الناس كنه
ان من يعرف شيئا يدعي اكثر منه

الاترى ان البيت الاول لم يقم بنفسه ولا تم معناه الا بالبيت الثاني ويجوز
ان يكون البيت الثاني لغير قائل البيت الاول كقول بعضهم ٥

ولما اتى من جمالك بحيه تضوع من انفاسها المسك والند
وقفت فاعييت الرسول تساؤلا واشدته عنا المثل الفرد
وحدثني يا سعد عنها فزدني جنونا فزدني من حديثك يا سعد

واما مثال هذا الضرب كثير فاعرفها الضرب
الاخر من القسمين وهو ان يضمن الشاعر شعرا او الناثر نثر كلام اخر
لغيره قصدا للاستعاره على اتمام المراد وتاكيد المعناه ولو لم يذكر ذلك
المضمن لكان المعنى صحيحا لا يحتاج الى تمام وربما ضمن الشاعر شعره
نصف بيت واقل منه كما قال محطه

قم فاسقيها يا غلام وعني ذهب الدين يعاش في اكنافهم

الاترى انه لو لم يقل في هذا البيت ذهب الدين يعاش في اكنافهم
لكان المعنى صحيحا لا يفتقر الى شيء اخر يتممه فان قوله قم فاسقيها
يا غلام وعني فيه كفايه اذ لا حاجه الى تعيين المعنى اي شيء هو لان في
ذلك زياده على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود وقد استعمل هذا
الضرب كثيرا الخطيب عبد الرحيم بن نباته كقوله في بعض خطبه
فيا ايها العمله المطرقون اما انتم بهذا الحديث مصدقون ما لكم مسه لا
تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ولقوله
في ذكر القيمه فيومئذ يعذر الخلائق على الله همما فيجاسبهم على ما احاط
بهم علما وينفذ في كل عامل بعلمه حكما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد
خاب من حمل ظلما الاترى الى براعه هذا التضمين الذي كانه وضع في هذا

الموضع رضعا وكذلك قوله في ذكر يوم القيمة ايضا هنالك يتبع الحساب
على ما احصاه الله كتابا وكون الاعمال المشوبة بالنفاق سرابا يوم يقوم
الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وعلى نحو ورد لذلك قوله اسكنتم من وجدكم الذي ابطقهم وسنجدهم
كما احلفهم ونحشرهم كما فرقهم يوم نعبد العالمين خلقا حديدا ونحشر
الظالمين لنذرهم جهنم وفودا يوم يكون شهيدا على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
ان بينها وبينه امدا بعيدا ولقوله في صفة اهل الجنة قد انشوا الجوار
الحسان ولوشفوا الحقايق الاستبرار وتبوا منازل الشهداء الابرار
والملايكة يدخلون عليهم من كل مكان سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار وعلى هذا النهج ورد قوله في ذكر القيمة وهنالك
ترفع الحجاب وتوضع الكتاب وجمع من وجب له الثواب ومن حق عليه
العقاب فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب وامثال هذه المقصات في الخطب التي للشيخ عبد الرحمن
كثيرة فاعرفها فهي اعجب من ما يجي في هذا الباب ان شا الله تعالى ۝

النوع السادس والعشرون من الباب الاول من الفن الثاني في
الاستدراج وهو التوصل الى حصول الغرض من المخاطب واللاطفه
له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به وفي ذلك من الغرايب
والدقايق ما يوقف السامع ويطربه لان مبنى صناعه التالف عليه ومنشاها
منه فمما جا من هذا الباب قوله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم
انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني

عنك شيا يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا
سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا هذا الكلام بهذا اعطاف
السامعين وسحر نفوس المتاملين وعلمك انها المرجع لهذه الصناعه
امكان النظر في مطاويه وتردد الفكر في اثنائه والحاده قدوة لك
ونهجا تقتضيه الاثر حين اراد ابرهيم ان ينصح اباه ويعظه فيما
كان مشورطا فيه من الخطا العظيم الذي عصي به امر العقل لنفد رتبة الكلام
معه في احسن اتساق وانتظام مع استعمال المحامله واللطف واللين والادب
الجميل والخلق الحسن مستفتحا في ذلك بصيغة ربه وذاكرا انه طلب منه
اولا العله في خطيته طلب مسته على عباديه وقط لافراطه ومناهيه
لان المعبود اذا كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب
والعقاب الا انه بعض الخلق لا يستحق عقل من اهله للعباده ووصفه
بالربوبيه ولو قال اشرف الخلق والملايكه والنبين فكيف بمن جعل المعبود
جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم ثنى ذلك بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا
فلم يستسلم اباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم العايق ولكنه قال ان بعي
لطايفه من العلم وشبابه وذلك علم الدلاله على الطريق السوي
فلا تستنكف وهب وانا ال ابي في مسر وعندي معرفه بالهدايه دونك
فاسعني انجك من ان تضل وسبه ثم كف ذلك بنهيه وعهيه عما كان
عليه بان الشيطان الذي استعصى على رباب الرحمن الذي جميع ما عندك
من النعم من عنده وهو عدو لوعدو ابيك ادم هو الذي ورطك
في هذه الورطه والفاك في هذه الضلاله الا ان ابرهيم عليه السلم

لامعانه في الاخلاص لم يذكر من حبايل الشيطان الا التي يختص منهما بالله عز
وجل عصيانه واسكماده ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته ثم ربع ذلك اي
بحو نفه سوء العاقبه وما ينبغ عليه من الوبال ولم يحل هذا الكلام من حسن
ادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق ما به ولكنه قال اني اخاف ان يمسك
عذاب فذكر الخوف والمس اعظامًا لهما وبكر العقاب ولايه الشيطان ودخوله
في جملة اشياعه البتر من العذاب وصدر كل نصيحه من النصائح الاربع بقوله
ماابت توسلًا اليه واستعطافًا فقال له في الجواب قال اراغب انت عن
الهتي ماابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني ملبيا الاتري كيف اقبل عليه الشيخ
بعظاظه الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله ماابت يابني
وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي ابراهيم لانه كان
اهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبه ابراهيم عن الهته وان
الهته لاينبغي ان يرغب احد عنها ومن هذا الباب قوله تعالى وقال
رجل من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلًا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب الاتري ما احسن ما اخذ هذا الكلام
واللطف مراعاه فانه احتج عليهم بالاحتجاج على طريقه التقسيم فقال لا تخلوا
هذا الرجل من ان يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يخطاه او يكون صادقا
فمصيبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له وفي هذا الكلام من حسن الادب
والانصاف ما اذكره لك ايها المتامل فقوله انما قال يصبكم بعض الذي يعدكم
وقد علم انه نبي صادق وان كل ما يعدهم به لابد من ان يصيبهم لا بعضه
لانه احتاج في مقاولة الخصوم موسى ان يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفه

في القول وما تبهم من حمقه المناصحه فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله
وادخل يصدبعضهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
وهو كلام المنصف في مقابله غير المنتصف فيه وذلك انه حين رضه صادقا
فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد به لكنه اردفه بقوله يصبكم
بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من
اعطاه حقه وافيا فضلًا من ان يعصبله وتقديم الحادب على الصادق
من هذا القبيل وكذلك قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب اي لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوه ولا عضده بالبينات
وتدبر انها المتامل لهذه الدقايق اللطيفه تضع يدك على اللطف في صناعه التاليف

النوع السابع والعشرون من الباب الاول من الفن الثاني في الاوصاد

وهو نوع من انواع علم البيان لطيف المأخذ قبو الصنعه وذلك ان يبنى على
قافيه فقد ارصدها له اي اعدها في نفسه فاذا انشد صدر البيت عرف ما تاتي
به في قافيته وذلك من محاسن التاليف لان خير الكلام ما دل بعضه على
بعض وفي الافتخار بهذه الصناعه يقول ابن نباته

حدها اذا اشتدت في القوم من طرب صدورها عرفت منها قوافيها

مسى لها الراب العجلان حاجبه وصبح الحاسد الغضبان بطريها

ومن هذا الباب قول النابغه

قد الامري سارت اليه بعذره ركابي فلاقت صدرها عيس رحالي

ولو لفي اليمن بعتك حوفا لافرقت اليمين من الشمالي

الاتري انه يعلم اذا عرفت القافيه في البيت الاول ان في البيت الثاني يكون
ذكر الشمال وقال البحتري

اعلمت ذمي من غير جرم وحللت بلا سبب حرام اللئام كلا بل
فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمته بحرام
فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول والمصراع الاول من البيت الثاني
منه ما قاله البحتري فاعرف ذلك وقف عليه ومن هذا الاسلوب قوله تعالى
وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله فيما فيه عرف
ان بعده محذوفا لما تقدم من الدلالة عليه ومن ذلك ايضا قوله تعالى
ومنهم من حسقنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون وعلى نحو منه ورد قوله عز من قائل لمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا
وقف السامع على قوله وان اوهن البيوت يعلم ان بعده بيت العنكبوت
وامثال هذا كثيرة فاعرفها الا ان ابا هلال العسكري قد سمى هذا النوع
التوشيح وليس كذلك لان سميه الارصاد اولى وذلك حيث ناسب الاسم
مسماه ولان به واما التوشيح فهو نوع اخر من التاليف وسيأتي
ذكره في باه فاعلم انه قد اختلف ارباب هذه الصناعة في تسميه انواع علم
البيان حتى ان احدهم يضع لنوع واحد اسمين اعتقادا منه ان ذلك النوع
نوعان مختلفان وليس الامر كما وقع له بل هما نوع واحد ممن فعل ذلك
العلوي فانه ذكر في كتابه ما سماه التبليغ
وقال هو ان ياتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير ان يكون للقافية
فيما ذكر صنع ثم ياتي بها الحاجة الشعر اليها حتى يتمم وزنه فيبلغ بذلك
الغاية القصوى في الجودة كقول امرئ القيس

كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب
فانه قد اتى بالمشبه تاما قبل القافية ثم لما جاء بها بلغ بها الامر الاقصى
في التاكيد ثم انه ذكر بعد هذا الباب بابا اخر وسماه الاشباع
فقال هو ان ياتي الشاعر بالبيت معلقا بالقافية وعلى اخر اجزائه ولا
يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك ان الشاعر اذا اخذ بارعا جلب
بقدرته ودرايته وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه ويستغني عن الزيادة
فيه قافية مسمعة لا عار بصة ووزنه فجعلها نعتا للمذكور
كقول ذي الرمة
قف العيس في اطلال مية فاسئل رسوما كاخلاق الرداء المسلسل
هذا كلام الغانمي بعينه والباب الذي سوى الافرق بينهما بحال من الاحوال
والدليل على ذلك ان بيت امرئ القيس تم معناه قبل الاتيان بقافيته وكذلك
بيت ذي الرمة الا ترى ان امرأ القيس لما قال
كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب
اتى بالمشبه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهو قوله لم يثقب وهكذا
ذو الرمة فانه لما قال
قف العيس في اطلال مية فاسئل رسوما كاخلاق الرداء المسلسل
ايضا قبل الاتيان بالقافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة وهو قوله المسلسل
واعلم ان ابا هلال العسكري قد سمى هذين القسمين بعينهما الاعمال وقال
وهو ان يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه ثم ياتي بالمقطع فزيد
فيه معنى اخر واصل الاعمال من اوغل في الامر اذا ابعد في الذهاب
فيه ثم مثل ابو هلال ذلك بقول ذي الرمة

وقف المعبس في اطلاله ميه قابل البيت

وهذا اقرب امرا من الغامي لانه ذكره في باب واحد ولم يذكره في باب اخر ما فعلى الغامي ولبس الاخذ على الغامي في ذلك منافسة على الاسما وانما المنافسة له على ان ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل ابوابه ولون احد الابواب التي ذكرها داخلا في الاخر فمذهب عليه ذلك ويخفى عنه وهو اشهر من فلق الصباح

النوع الثامن والعشرون في الباب الاول من الفن الثاني من التوشيح

وهو ان يبني الشاعر ابيات قصيدته على بحر من محلفن فاذا وقف من البيت على القافيه الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض واذا اضاف الى ذلك ما بني عليه شعره من القافيه الاخرى كان ايضا شعرا مستقيما من بحر اخر على عروض وصار ما يضاف الى القافيه الاولى البيت كالوشاح ممن ذلك قول بعضهم

اسلم ودمت على الحوادث ما سرى ... شرا وهضاب حزا

ونل المراد ممكنا منه على رغم الدهور وفر بطول بقاء

وهذا من محاسن صناعة التاليف فاعرفه الا ترى الى هذين البيتين يدل ان على قافيه اخرى وبحر اخر نحو قولنا اسلم ودمت على الحوادث ما سرى شر ... ونل المراد ممكنا منه على رغم الدهور

وامثال هذا كثيره فاعرفه الا ان فيه نوع اشكال وصعوبه

النوع التاسع والعشرون من الباب الاول من الفن الثاني في الاخذ والسرقه والاشاره الى الحد من ذلك الذي لا يتاتى به والردي الذي لا فسحه في استعماله لانه عيب في الكلام فاحض اعلم انه لا يخلو المولف السارق معنى من المعاني المسبوقه وهو انها من اخذ قسمين اما ان ياتي بذلك المعنى بلفظه من غير تغيير له

وهذا يسمى النسخ ماخوذا من الكتاب اذا نقله على هيته وصورته واما ان يعبر لفظه الاول ويبدله بغيره وهو ضربان احدهما ان يخرجه من معرض جميل وهيئه حسنه وذلك يسمى السلخ ماخوذا من سلخ جلد الشاه لانه اخذ بعض الشيء المسلوخ والاخر ان يخرجه من معرض ردي وهيئه قبيحه وذلك يسمى المسخ ماخوذا من مسخ الصوره صوره اخرى ودنيها كما مسخ الله الادميين قرده فاما القسم الاول وهو النسخ فان ارباب هذه الصناعه يسمونه وقوع الحافر على الحافر كقول امرا القيس

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقول طرفه بن العبد البكري

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك اسى وتجلد

والاخذ اذا كان كذلك كان معيبا وان ادعى الاخر انه لم يسمع قول الاول بل وقع له كما وقع لذاك فان صحه ذلك لا يعلمه الا الله عز وجل والعيب لازم للاخر في ظاهر الامر وان كان ما ادعاه صادقا ولعمري ان القوم اذا كانوا من قبيله واحده او في ارض واحده فان خواطرهم تتبع مقاديره كما ان اخلاقهم وسماتهم تكون مقاديره الا ان الظاهر ما قلناه فانه ليس لنا الا الظاهر والله متولي السرائر فاعرف ذلك واعلم ان من هذا القسم الذي هو النسخ ما يعمد المولف الاخر فياخذ ما ذكره المولف الاول لفظا ومعنى ولكنه بغير هيئه ذلك بتقديم بعض الالفاظ التي اتى بها موخره في الاول وباخير بعض الالفاظ التي اتى بها مقدمه في الاول وذلك ايضا من قبيح الاخذ وفاحشه او ان المولف الاخر ياخذ المعنى من المولف الاول ويات على اكثر الفاظه غير تارك منها الا القليل وهذا ايضا يقبح ذكر ولا يجوز استعماله واما القسم الثاني وهو ضربان الاول السلخ ولا

عيب فيه فانه ليس لاحد من ارباب التاليف غنى عن سماع المعاني ممن يقدمه وليس يجب
عليه انه اذا اخذها ان يلبسوها الفاظا جميلة ويخرجها في معرض انيق وصورة حسنة
ويزيد في بداعة تركيبها وجودة تاليفها فانه اذا فعل ذلك صار اولى بها ممن تقدمه
واحق بها ممن سبقه اليها وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه لولا ان
الكلام يعاد لنفد واعلم ان المعاني مشتركة بين ارباب هذه الصناعة وانما
يتفاضلون في تركيبها واختلاف صورها وقد قيل ان اباعذر الكلام من سبك
لفظه على معناه والمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه وقد اطبق المتقدمون
والمتاخرون على تداول المعاني بينهم وليس على احد منهم عيب في ذلك الا اذا اخذ
المعنى بلفظه او اخذه فافسده وقصر فيه عمن تقدمه واما اذا اخذه فابرزه في لباس
جميل وركبه تركيبا انيقا واخرجه في معرض حسن فانه يكون احق بمن ابتدعه
ومن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

اخذه سلم الخاسر بعده فقال

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

وهذا البيت اوجز من الاول واخصر ولما سمع ذلك بشار قال ذهب به ابن الفاعلة
ومن هذا النحو قول بعضهم شعرا

احق من اتبت لك العذر في حال سعلك من لم يحل ساعة من ورك فنت

فراعك اخذه اخر بعده فقال في شكر ما تقدم ومن احسانك شاغل عن استنباطها
لاخر منه فاتى بالمعنى الذي في الاول وزاد عليه زيادة مع الايجاز والاختصار
فاما الزيادة فهي ذكر السكر لها اولا من الجبل واسداءه اليه من الاحسان
وذلك واجب في الاول لانه من فروض الاحسان على المنعم عليه واما الايجاز فهو

في الكلام الباقي اثنا عشر كلمة والكلام الاول سبع عشرة كلمة ولما جاء ابو نواس
صاغ هذا المعنى صياغة اخرى واكثر اختصارا فقال

لا تستزيني الى عارفه حتى افوه ببعض ما سلفا

وذلك من بديع هذا الباب ومما ورد من هذا الاسلوب قول العرب
القتل ابقى للقتل فجاء القران الكريم بهذا المعنى وزاد عليه اشياء عجيبة
فقال تعالى ولكم في القصاص حيوة ما اولي الالباب فمما زادت به الاية على قول
العرب انه ليس كل قتل يبقى القتل وانما القتل الذي يعقبه القتل ما كان
على وجه القصاص والعدل ففي ذكر القصاص بيان الغرض المطلوب ومن ذلك ان
في ذكر الحياة من ايضاح المعنى المرغوب فيه ما ليس في قول العرب القتل ابقى للقتل
ومن ذلك ان قوله تعالى القصاص حيوة نظير قولهم القتل ابقى للقتل والقصاص حيوة
تعالى القصاص حيوة نظير قولهم القتل ابقى للقتل والقصاص حيوة اوجز واخصر
لان القصاص حيوة عشرة احرف فالقتل ابقى للقتل اربعة عشر حرفا ومن ذلك
ان في قولهم القتل ابقى للقتل تكريرا يثقل النطق به على اللسان وليس في قوله
تعالى القصاص حيوة تكرير فهذه اربع زيادات تفضل بها الاية على قول العرب
وكذلك ايضا قول بعض الاعراب

حيي ذوي الاضغان بسط عقولهم تحيه ذي الضغن وقد يرقع النعل

وان حسوا بالقول فاعفف تكرما وان كتموا عنك الحديث فلا تسل

فان الذي يؤذيك منه سماعه وان الذي قالوا وراك لم يقل

فورد في القران الكريم هذا المعنى المذكور في كلمات مختصرات وهي قوله تعالى
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم الا ترى الى هذه الاية حاوية المعنى المشار اليه في الابيات

مع الايجاز وحسن التركيب اما الايجاز فهو ان الشاعر ذكر هذا المعنى في بيته
ابيات فيها بيته ومئون كله والقرآن العزيز اتى بالمعنى في آية واحدة فيها
بيت عشر كله واما حسن التركيب فلاحقابه ومن جمله المقابله بين الاضداد
نحو ذكر السيئ والحسن والعدو والصديق ومن هذا الباب قول النابغه

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب

اخذ هذا المعنى الاقوه فقال

وترى الطير على اثارنا رأي عين ثقة ان ستمار

فذكر المعنى المشار اليه في بيت واحد فحاز فضيلة الايجاز التي هي اعلى درجات الكلام
وصار احق بذلك المعنى من النابغه وان سبقه اليه وتقدمه فيه ومما جرى
هذا المجرى قول ابي العتاهيه

لم يعمه لا يسفل شكرها الله في طي المكاره كامنه

اخذه ابو تمام فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فذكر المعنى الذي ذكره ابو العتاهيه وعلله وهذا من غرائب ما يوجد في باب
الاحتراس فاعرفه ومن ذلك قول ابي تمام ايضا

فان لم تجد في قسمه العمر حيله وحاوله الاعطاب حسانه
لحاذها بين غير شرك بربه واشركهم في صومه وصلاته

اخذه المتنبي فقال

فلو سمتهم في الخير حدو الاعطون الذي صلوا وصاموا

فاتى بالمعنى الذي ذكره وزاد عليه بقوله يوم الخير لان الانسان يكون في

يوم في ذلك اليوم اشد احتياطا الى صلاته وصيامه واعظم افتقارا
واميال هذا كثيره فاعرفها وقد تساوى المولفان في ايراد المعنى باللفظ
بقول بشار

سقط الطير حيث ينتقط الحب ويغشى منازل الكرما

اخذ غيره فقال ولم يزد عليه شيئا

يزدحم الناس على بابه والمسرع العدب كثير الزحام

وعلى نحو من ذلك قول الاخر

ما اتت الاكلم مبتدرا الى اكله اضطرارا

اخذه بعضهم فقال

وان يقوم سودول لحاجة الى سيد لو تطفرون بسيد

الضرب الثاني من القسم الثاني وهو

المسخ وذلك عيب في الكلام فاحش فمما جاء منه قول الشريف الرضي

احن الى ما تضمن الخمر والحلي واصدف عما في ضمان المارر

وقال ابو الطيب المتنبي

اني على سعفي بما في خمرها لاعف عما في سراويلاتها

الا ترى الى هذا المسخ ما اصحه وذلك ان لو تاخر زمان المسبي عن زمان الشريف
الرضي ومثل ذلك يعرف الفاضل بين الشاعرين وبين الكلامين
فقول الشريف على ما يراه من اللطافه والحسن وقول ابي الطيب على ما يراه
من الرداءه والقبح قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم اعلم
ان ما كان من هذا الباب على سبيل المسخ فانه يدور على نحو من قول ابي الطيب
وعما اشرنا اليه كفايه للمتامل هذا النوع خاتمه الانواع من باب

الصناعه المعنويه وذلك مبلغ ما عرفناه من علم البيان فيما يختص بالمعاني
الا اني رايت ابا عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر في كتابه نوعا اخر
فقال لا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام الفاظ المتكلمين والنحويين
والمهندسين ومعانيهم والالفاظ التي يختص بها بعض الناس والعلوم
لان الانسان اذا خاض في علم وتكلم في صناعة من حيث يوجب عليه ان
يستعمل الفاظ ذلك العلم واصحاب تلك الصناعه ثم مثل ذلك بقول
ابي تمام

مودة ذهب اثمارها شبه وهمه جوهر معروفها عرض

ويقول ايضا

حرقا تلعب بالعقول حياتها كلعب الافعال بالاسماء

وهذا ما ذكره الخفاجي في كتابه ولنا عليه اعتراض
وهو انا نقول له ما الموجب لجعلك هذا القسم ممن فصل ولا يستعمل في
احتابه فان قال اني انما انكرت استعماله واثرت تركه واحتنابه لانه غير
مفهوم **فلنا له في الجواب** لا يخلوا الامر في
هذا بين حالين اما انه غير مفهوم للعامه او الخاصه فان كان غير
مفهوم للعامه فقط فليس جهل العامه النوع من الكلام داعيا الى احتنابه
ولو كان فهم العامه معتبرا في اختيار الكلام لكان ما يسد له من الفاظها
مقدما على غيره وذلك شيء مدفوع لا يذهب اليه احد البته وان قال
ان هذا النوع غير مفهوم للخاصه فلنا له فانت ايها الشيخ الامام
قد فهمته وعرفته ولولا فهمك له ومعرفتك به والا لكيف كنت تنكره
وحكمت على احتنابه وهذا يدل على انك لست من العامه ولا من الخاصه

لانك قد فهمت ما لا يفهمه الفريقان ولا يعرفانه وذلك من اعجب الاشياء
فان قال اني انما انكرت هذا النوع لان صناعة التاليف من المنظوم
والمنثور لا يستعمل فيها ما ليس من جنسها قلت له في الجواب يبطل عليك
ذلك باستعمال الفقه من الاحكام السلطانيه في المخابرات واستعمال
الحساب فيما يحتاج اليه من الكتابه الى العمال وارباب الخراج واستعمال
النجوم في قسمة بعض الخراج بعضها على بعض فيقال لما انكرته ايها الشيخ
الامام من استعمال تلك العلوم اسوه بالفقه والحساب والنجوم
ثم ما انكرت من شيء يدل على فضل صاحبه وغزارة علمه ليس من الواجب
في صناعة التاليف ان الناظم والناثر ينبغي له ان يستعمل في كل معنى
يقصده مما يليق به ويخرط في سلكه فان كان ذلك المعنى مما يحتاج الى النحو
استعمل فيه النحو وان كان مما يحتاج الى الحساب استعمل فيه الحساب
وكذلك ما في العلوم والا فاذا اخذ المولف معنى يحتاج فيه الى ذكر
احد هذه العلوم المذكوره ولم يذكره كان ذلك المعنى ناقصا عما يحتاج
اليه وهذا لبس يخفى على اللبيب المنصف فاعرفه

الباب الثاني من القسم

الباني من القطب الثاني في الصناعه اللفظيه

وسنقسمه الى سبعه انواع النوع الاول في السجع والازدواج وهو
تواطو الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد اعلم ان السجع
قد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعه ثم لا ادري لذلك وجها
سوى حجرهم عن الاتيان به وقصورهم عن سلوك مذهبه والا فلو كان
مذموما كما ذكر لما ورد في القران الكريم فانه قد اتى منه شيء كثير كقوله تعالى

ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا
وكقوله تعالى في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم في امر مريج افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وكقوله تعالى
والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا
فوسطن به جمعا وامثال هذا كثيرة لا تحصى وورد على هذا الاسلوب
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم شيء كثير ايضا فمن ذلك ما رواه عبد
الله بن سلام قال لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحول الناس
اليه وقيل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحشت في الناس لانظر
اليه فلما ثبت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب وكان اول شيء
تكلم به ان قال ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا
بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فان قيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرا عليه وقد تكلم بكلام مسجوع اسجعا
كسجع الكهان ولولا ان السجع مكروه لما انكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجواب عن ذلك انا نقول
لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع اصلا لقال اسجعا ثم سكت وكان
المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال اسجعا كسجع الكهان
صار المعنى معللا على امر اخر وهو انكار الفعل لم كان على هذا
الوجه وعلم انه انما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير
وانه لم يذم السجع على الاطلاق ومحال ان يذمه على الاطلاق ولان
القرآن الكريم قد اتى به وهو صلى الله عليه وسلم قد نطق به في كثير

من كلامه حتى انه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها باخواتها لاجل السجع فقال
لابن ابنه عليهما السلام اعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما اراد ملمة
لان الاصل فيها من الم فهو ملم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لترجعن
مأذورات غير مأجورات وانما اراد موزورات من الوزر فقال مأذورات
لمكان مأجورات طلبا للتوازن والسجع وهذا من ادل الدليل على فضيلة
السجع واعلم ان الاصل في هذا انما هو الاعتدال في مقاطع الكلام
والطبع يميل الى الاعتدال في جميع الاشياء وجبت انتهى بنا القول
الى هذا الموضع فلنتبعه بذكر اقسام السجع وما يحمد منه في الاستعمال وما
يذم فنقول اعلم اولا ان السجع لا يحمد على كل حال ولا في كل موضع حتى
يتوخاه المؤلف في كلامه بحيث يذهب فضيلة المعاني لاجله وذلك انه اذا
صور في نفسه معنى من المعاني ثم اراد ان يصوغه بلفظ مسجوع ولم يواته
ذلك الا بزيادة على ذلك المعنى او بنقصان منه ولا يكون محتاجا الى الزيادة
ولا الى النقصان وانما يضطر الى ذلك اضطرارا لان المعنى الذي هو قد قصده
يحتاج الى لفظ يدل عليه واذا دل عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا الا ان
يضيف اليه شيئا اخر وينقص لاجل الفقرة المطلوبة فاذا فعل ذلك فلا
بد وان يزداد الكلام الذي قصده زيادة لا حاجة اليها وينقص نقصا لا حاجة
اليه وهذا الذي يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف
واما اذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فانه يجيء في غاية الحسن وهو
اعلى درجات الكلام واعلم ان السجع ينقسم الى ثلثة اقسام الاول ان يكون
الفصلان متساويين لا يزيد احدهما على الاخر كقوله تعالى فاما اليتيم فلا
تقهر واما السائل فلا تنهر وقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات

فالمعيرات صحا فاثرن به بقعا فوسطن به جمعا الاترى كيف جاءت هذه الفصول
متساويه الاجزاء حتى كانها خرطت في قالب واحد وامثال ذلك في القران
الكريم كثيره وهو اشرف السجع منزله واعلاه درجه الاعتدال الذي فيه
القسم الثاني ان يكون الفصل الثاني اطول من الاول لا طولا يخرجه عن
الاعتدال الحسن وخاصيرا فانه يقبح عند ذلك ويستكره فمن حيد هذا القسم
قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السما
فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج الاترى ان الفصل الاول تسع كلمات والفصل
الثاني اثنا عشره لفظه والفصل الثالث احدى عشره لفظه ومن ذلك
ايضا قوله تعالى في سوره مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمه فردا ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر
به قوما لدا وامثال هذا في القران الكريم كثير فاعرفه القسم الثالث
ان يكون الفصل الاخير اقصر من الاول وهو عيب عند ارباب هذه الصناعه
قاحش وسبب ذلك ان يكون السمع قد يكون استوفى امده من الفصل الاول
بحكم طوله ثم جاء الفصل الثاني قصيرا عن الاول فيكون كالشيء المنوط فبقي
الانسان عند سماعه كمن يريد المضي الى غايه فعثر دونها وان شك احد
فيما اشرنا اليه من هذا المثال فليضع فصلين من الكلام وليكن الاول منهما
اطول من الثاني ثم يعرضهما على نفسه فانه يجد صحه ما ذكرناه واعلم ان السجع

في الشعر بمنزله السجع من الفصلين من الكلام المنثور وفائدته في الشعر انه
يفهم منه قبل دال البيت الاول من القصيده قافيتها وسبب البيت المصرع
تاب له مصراعان متساويان وقد فعل ذلك القدما والمحدثون وفيه دلاله على
سعه القدره وفسحه المجال في افانين الكلام فاما اذا كثر المصرع في القصيده
فليست اراه محمودا لان هذه الاصناف من المصرع والترصيع والتجنيس وغيرها
انما احسن منها في الكلام ما قل وجرى مجرى اللعب او كالطراز في الثوب
فاما اذا توالى وكثر فانه لا يكون مرضيا لما فيه من امارات التكلف وقد
استعمل المصرع كثيرا امرؤ القيس فمما جاء في شعره قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم قال

افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي

ثم قال

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الاصباح فيك بامثل

وقال حاتم بن عبد الله الطائي

اتعرف اطلالا ونوبا محاها كخط زبور في رقوق بابرح

الا لا ولوما بي على ما تضمنت لفي ظروف الدهر للمرء محكما

وهذا واساله من التصريع الحسن المشار اليه في هذا الباب لانه يتضمن
عشرين واما التصريع بكلمه واحده فغير لائق وان كان جائزا لقول بعضهم

لكل ذي عيبه يوب وغائب الموت لا يوب

واما مثال هذا الضرب فاعرفه النوع الثاني من الباب الثاني

في التجنيس اعلم ان التجنيس عرى ساداته في وجه الكلام وقد تصرف العلما

من ارباب هذه الصناعه فيه فغربوا وشرقوا ولاسيما المحدثين منهم من
صنف للناس فيه كتابا كثيرة وجعلوه ابوابا متعددة واختلفوا في ذلك
فمن عبد الله بن المعتز وابو علي الحاتمي وابو القسم الامدي والقاضي ابو الحسن
الجرجاني وقدامه بن جعفر الكاتب وغيرهم وافاضوا فيه واطالوا القول
في شرحه وانما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لان الكلام يكون تركيبه من
جنس واحد واعلم ان التجانس ينقسم الى سبعه اقسام الاول وهو اشرفها
واعلاها قدرا وذلك اذا تساوت الفاظ الكلام في تركيبها ووزنها
ويسمى المجنس المطلق كقوله تعالى ويوم تقوم الساعه يقسم المجرمون ما
لبثوا غير ساعه ولبس في القرآن الكريم من هذا القسم من الجنس سوى
هذه الآيه فاعرفها ومن ذلك ايضا قول بعضهم

ومرى سوابق دمعها فتوالهت ساق بحاوب فوق ساقٍ سافا

وكذلك قول ابي اسحق ابرهيم بن عثمان المغربي

لم يبق غير كانسان بلا ذنبه فلا رحمت لعين الدهر انسانا

هذا هو التجانس البديع الذي هو اعلى المراتب واسمى المنازل

وقال الاخر

واذا البلابل اطربت بهديلها هتكت لي البلابل باحتسابلابل

وقال الاخر

هل لما فات من تلاقٍ تلاقي او لشاك من الصبابه شافي

وقال اخر

لقال بدني من المزجي ونفتح باب الهوى المسرح

وامثال هذا كثيره كقول بعضهم

قلت للقلب ما دهاك اجبني قال لي بايع الغواني فراني

ناطراه فيما جنى باطراه او دعاني امنت مما اودعاني

وعلى هذا الاسلوب جا قول بعضهم

الي حنفي مشى قدمي اري قدمي اراق دمي

ورايت القاضي قد ذكر في كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور خارجا عن
باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جمله اقسامه كالذي نحن بصدد ذكره
هاهنا مما اورده القاضي من الامثله في ذلك قول بعضهم

وتسري بجميل الصنع ذكر الطيب النشر

وتعري بسوف الهند من اسرف في النصر

وتحري في بشرى الحمد على شاكله النحر

ومن ذلك ايضا قول بعضهم في السبب ٥

يا ماضيا ادري دموعي حتى عاد منها سوادي عني بياضا

وكذلك قول المحدثين

واعرفي الزمن البهيم بمجل قد رحت منه على اغر محجل

كالهيكل المبني الا انه في الحسن حيا كون في هيكل

ولبس الاحمر على الغابي في ذلك منافسه على الاسما وانما المنافسه له على انه
منصب لايراد علم البيان وتفصيل ابوابه وكون احد الابواب التي ذكرها
داخلا في الاخر فمذهب عليه في ذلك ويخفى عنه وهو اشهر من ان يخفى
الصباح القسم الثاني من النوع الثاني من التجنيس وهو ان يكون الالفاظ
متساويه التركيب مختلفه الوزن وذلك دون الاول في المنزله كقول النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي الا ترى الى ما بين اللفظتين متساويتان

في الترتيب مختلفان في الوزن لان تركيب الخلق والخلق من مثلثة احرف
هي الحا واللام والقاف الا انهما قد اختلفا في الوزن الاوزن الخلق من مثلثة
احرف وهي الحا واللام والقاف فعل ووزن الخلق فعل ومن هذا القسم
قول بعض الكتاب في صفة كتاب وصل الينا من صديق

فللزهر والزهر من نور بدايعه ونور بدايعه اشراق

ولذلك قول بعضهم

لا تنالي عز المعالي الا بركوب الغرر واحتمال الغرر

وقال ابن العميد

فدديت من حشاشة ودماء ماين حرة هوى وحرهوا

القسم الثالث من النوع الثاني من التجنيس وهو ان تكون الالفاظ
متساويه في الوزن مختلفه في الترتيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك
خرج من باب التجنيس وهذا القسم دون الذي قبله في المنزله ومن ذلك
قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الاترى ان وزن هاتين
اللفظتين واحد واما ترتيبها فانه مختلف في حرف واحد لان ترتيب ناضره
من النون والضاد والراء وترتيب ناظره من النون والظاء والراء ولذلك
قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
وقال تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وعلى نحو من هذا
ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيمه وقال ابو تمام

تمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب

وقال البحتري

من كل ساجي الطرف اغيد اجيد وممفهف الكشحين احوى احور

وقال بعضهم لا تنال المكارم الا بالمكاره واشباه ذلك
كثير لا تحصى **القسم** الرابع من النوع الثاني من التجنيس وهو
ان تكون الالفاظ مختلفه في الوزن مختلفه في الترتيب بحرف واحد لقوله
تعالى والتفت الساق بالساق وقال عز اسمه وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا ومن هذا القسم قول البحتري

نسيم الروض في ريح شمال وصوب المزن في راح شمول

وذم اعرابي رجلا فقال كان اذا سال الحف واذا سئل سوف بخد
على الفضل ويرهد في الافضال وقال بعض الشعراء

تقاصرت همم الاملاك عن ملك اضحى عليه الثنا وهو مقصور

فوقر بين ايدي العرف منتهب وعرضه عن لسان الذم موفور

وامثال هذا كثيرة في التاليف **القسم** الخامس من النوع
الثاني من التجنيس وهو المعكوس وهو ضربان احدهما عكس الالفاظ
والاخر عكس الحروف فالاول كقول بعضهم

عادات السادات سادات العادات وكقول الاخر

سيم الاحرار احرار السيم وقيل للحسن بن سهل
لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ورد اللفظ واستوى المعنى

ومن هذا القسم قول عتاب بن ورقا

ان الليالي للانام مناهل تطوي ويشرع منها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويله وطوالهن مع السرور قصار

وقال الاخر

لمن حمار على جواد ومن جواد على حمار

وهذا ضرب من المخانس له حلاوة ورونق فاعرفه وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لسما لان المولف ما بنى ما كان معدا في الثاني ومثله قدامة بقول بعضهم

اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك

ومن هذا القسم قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وكذلك قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال بعضهم

تلك المنايا من عقدها نظمت ام نظم العقد من منايا

واشباه ذلك كثيره فاعرفها

واما الضرب الثاني من القسم الخامس وهو عكس الحروف فكقول بعضهم

اهديت شيا ثقيل لولا احتروقه الفال والتبرك

لرسي بعالت فيه لما رايت مقلوبه يسرك

وكذلك قول الاخر

لقب السرور بابا قبال واخره اذا تاملته مقلوب افبال

وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما يقع كلمة بقلب حروفها فيجي معناها صوابا فاعرف ذلك

القسم السادس من النوع الثاني من الجنس وهو المجنب وذلك ان يجمع المولف بين لفظين احداهما كالشبه للاخرى والجنبه لها كقول بعضهم

انا العباس لا حسب باني يسمى على الاسعار عار

في طبع تسلسل معين زلال من دوي الاحجار حار

وهذا القسم له رونق وحلاوة فاعرفه

القسم السابع من النوع الثاني من الجنس وهو ما تساوى وزنه وتركيبه غير ان حروفه مقدم وتاخر وذلك كقولنا تمام بيض الصفايح لا سود الصحايف في متونهن جلاء الشك والريب

وامثال هذا كثيره فاعرفه

النوع الثالث من الباب الثاني في الترصيع وهو نوع من علم البيان وغير المسلك قل ما يحل المولف بسرك فكره اوامد العاطه واصله من ترصيع العقد وذلك ان يكون في احدى جانبي العقد من اللالي والجواهر مثل ما في الجانب الاخر ولذلك جعل هذا في الكلام وهو ان يكون كل لفظة من الفاظ الفصل الاول مساويه لكل لفظة من الفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافيه وهذا هو اعلى درجات الترصيع واصعبها مرامًا واعلم ان علما هذه الصناعة قد جعلوا الترصيع منقسمًا الى قسمين احدهما ما ذكرناه والاخر ان يكون احد الفاظ الفصل الاول مخالفًا لما يوازنه من الفاظ القسم الثاني فالقسم الاول كقول الحريري في مقاماته فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فانه جعل الفاظ الفصل الاول مساويه لالفاظ الفصل الثاني وزنا وقافيه فجعل يطبع بازا يقرع والاسجاع بازا الاسماع وجواهر بازا زواجر ولفظ بازا وعظ وهذا هو الكلام السهل الممتنع الذي فحاله قريبا وهو بعيد المنال عسر الحصول وقد ورد هذا القسم كثيرا في الخطب التي انشاها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباته فمن ذلك

في اول خطبة له الحمد لله عاقد ازمة الامور بعزايم امره وحاصد
ايمة العزو بقواصم مكره وموفق عبيده لعزايم ذكره ومحقق مواعيده
بلوازم شكره ومن ذلك قوله في ذكر الزمان وتغلبه باهله اولئك الذين
افكو فحمتم ورحلوا فاقمتم واباد هم الموت كما علمتم وانتم الطامعون
في البقاء بعدهم فيما رعمتم كلا والله ما اشخصوا لتقروا ولا نقصوا
لتشروا ولا بدان تمروا حيث مروا فلا تنقوا بخدع الدنيا ولا تغتروا
ومن ذلك ما جا في بعض خطبه ايها الناس اسيموا القلوب في رياض
الحكم وادبوا النحيب على ايماض اللمم واطلبوا الاعتبار بانقاض
النعم واجتلوا الافكار في اقراض الامم وامثال هذا في كلامه كثير
واما ما ورد على نحو ذلك نظما فقول ذي الرمة

كحلا في برح صفرا في دعج كانها فضة قد شانها ذهب

وهذا القسم قليل الاستعمال في الشعر جدا فاعرفه ان شا الله تعالى

القسم الثاني من النوع الثالث في الترصيع وهو ان يجوز احد
الفاظ الفصل الثاني الاول مخالفا ما يوازنه من الفاظ الفصل
الثاني وذلك كقولنا بط سرا

جمال الويه مهاد اندبه قوال محكمه حواب افاق

الا ترى ان الويه مثل اندبه في الوزن والقافية وكون جمال الايمان
مهادا وافنه وانما يماثله وزنا وكذلك قوال موازن لحواب
ومحكمه لا يوازن افاق ومن هذا القسم قول الحسنا

حامي الحقيقه محمود الخليقه مهدي الطريقه اتباع وضرار
وكذلك قول الاخر ٥

سودد واما نفر ترابها محض صرابها صيغت من الكرم
وامثال هذا كثيرة فاعرفها ان شا الله تعالى

النوع الرابع من الباب الثاني في لزوم ما لا يلزم وهو نوع من
اسر هذه الصناعة مذهبا واوعرها طريقا لان المولف يلزم في نفسه
ما لا يجب عليه ليدل به على قوته في الصنعة واتساع باعه فيها وانطلاق
عنانه وقد جمع ابو العلا عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وذكر
فيه الجيد الذي لا مطمع فوقه والردي لا مهوى تحته وسنذكرها هنا
من ذلك طرفا واعلم ان حقيقة هذا النوع هي ان تكون الحروف
التي قبل روي الابيات من الشعر حرفا واحدا وهذا ايضا موجود
في فواصل الكلام المنثور ومن اراد معرفة ذلك والاطلاع عليه
فليطلبه من كتاب اللزوم لابي العلا وغيره من الكتب المولفة في هذا
الفن فاني كنا بنا هذا الكتاب موضوعا لشرح هذه الاسباب وانما
نوضح لمن عرف الاصل فيها فنعبر له عن الجيد منها والردي ونفرق
بينهما لنعلم ابن يضع يده في استعمال ذلك واطراحه فمما جا في هذا
الباب قولي في ذكر حصار قلعة

فلما رانا وناسا حتمم حاضرين ولهم في عصر دارهم حاصرين
وهم من ناسنا حذرين تنادوا الاصباح المنذرين الا ترى الى العشرين
الاخرين كيف قد لزم فيهما الدال والراخو حذر ومنذر واما
العشرتان الاولتان فليسا من هذا القبيل لانه كان يجب ان يكون ناوا حاضر
كلمة اخري في اخرها ضادوا الا ان ذلك كانه شبيه بما لا يلزم والسبب
فيه ورود الباو النون المحضة بالجمع بعد الرا ولو كان هذا معتبرا

في لزوم ما لا يلزم لوجب ان يكون الياء للساء والنون من عين نظرا الى ما قبلها
وعلى هذا التقدير فلو قال هذا القايل فلما راونا ساحتهم نازلين
ولهم في عقود ارهم حاضرين لكان ذلك من باب لزوم ما لا يلزم وهذا
مما لم يذهب اليه احد وانما الاصل ما اشرنا اليه اولا فاعرفه واعلم
انه متى صغرت الكلمة الاخيرة من الشعر والكلام المنثور وجب ان
يصغر الباقي اتباعا للوزن فمن ذلك قول بعضهم

عز علي ليلى بدي سدير سوء سيتي ليله العسير
مسهدا بفسي في طمري مسهد الرعده في طهري
يهفو الى الزور من صدري طمان في دخ وفي مطيري
حتى بدت لي جبهة القمير لاربع خلون من شهير

الا ترى الى هذا الشاعر كيف لزم التصغير في هذه الابيات جميعها فان
ذلك من محاسن الصنعة فاعرفه واعلم انا لا سعت المولف على استعمال هذا
القسم من الكلام حتى يجيء به متكلفا وحشيا فيكون قد قصد جوده
الصنعة واظهار القدرة عليها والقوة فيها فلقته ذلك فيما استكره
من الالفاظ وتعافه الاسماع وما مثل المتكلف لهذا الضرب من الكلام حتى
ياتي به في صوره فيجيء الا مثل الصانع الذي ياخذ مصوغا رديا فيجيد فيه عمله
ويخرج فيه بديع صنعه فيكون عند ذلك قد راعى الفرع واهمل الاصل
فذهب جوده الصنعة في رداءة المصوغ وانما اذا اتى المولف بهذا الضرب
من الكلام غير متكلف ولا وحشي كان له رونق وطلاوة وقد استعمل ذلك
ابو العلاء المعري في كتابه فاتي منه بشي يسوغه الطبع لقوله في قافيه
التاء مع الحاء

مت عن الدنيا ولا نت لي فيها ولا عرس ولا اخت
وقد حملت من الوزن ما يعجز ان تحمله البخت
ان مدحوني سابى مدحهم وحلتني في اثري سخت
وقال في الخا المضمومة مع التاء

لا نفقدن خيركم مجالسكم ولا تكونوا كاذبي سخ
ولا لقوم حديث نومهم ما الهوا مسهم ولا طبخ

وامثال هذا كثيرة في كتابه وله مع ذلك البديع
الناد الذي تتقاصر دونه الفصحاء كقوله

ليل بلا نور احر بهمه حبس الادلة ليس فيه منار
وهي الحياة فعفه او فبنه ثم الممات فجنه او نار

وقال

لقاك بالما النمير الفتي وفي ضمير النفس نار تقد
نعطيك لفظا لينا مسه ومثل حد السيف ما تعقد

وقال ايضا

تنازع في الدنا سواك ومالة ولا لدي في الحقيقة فيها
ولكنها ملك لرب مقدر يغير حنوب الارض مريد فيها
ولم يحط في ذاك النزاع بطايل من الامر الا ان يعد سفيها
ايا نفس لا يعظم عليك حطوبها فمنفقيها مثل محتليفها
تدعوا الى النزر القليل فحالدوا عليه وحلوها المعترفيها
وما امر صل او خليله صغم باظلم من دنيا فاعترفيها
تلاقي الوفود العاد فيها بفرحه وتبكي على آثار منصرفيها

ولم يتوازن في القياس نعيمها وسيده اودت بمعترفيها
وما هي الاشاكه ليس عنها وجدك ارطاب لمحترفيها
لما بدت للطير والوحش رازم فالفت سرورا بين مختطفيها
تبات عن الاضاف من ضم لم تجد سبيلا الى غايات متصفيها
فاطبق مما عنها وكفا ومقله وقل لغوي الناس فاك لفيها
كاذ الذي في الكاس يطفو احتابها سمام حباب عند من يشقيها

وله ايضا من جملة قصيدة

اري الدنيا وما وصفت بمرا اذا اغنت فقيرا او هقته
اذا احسنت لم تر عجلته وان رجحت لخير عوقته
وانظر سهمها قد ارسلته الى سنبكه او فوقته
فلا تخدع بحسنتها اريب وان هي سورته وطقته
اذا قته شهيا من جناها وصدت فاه عما ذوقته

وامثال هذا كثير في شعره فاعرفها فانها من محاسن لزوم ما لا يلزم
وعليك ايها المتصيد لاستعمال هذا النوع من الكلام ستلك هذا المذهب
القويم ونهج هذا اللقم الواضح غير متصيد له ولا معثر منه حتى تخل
بالمعنى المندرج تحته وتذهب برونقه وطلاوته وقد ورد من هذا الباب
قول طرفة بن العبد

الم تر ان المال يكسب اهله قضوضا اذا لم يعط بواسيه
اري كل مال لا محالة ذاهبا وافضله ما ورث الحمد كاسبه

الا تري ما احسن هذا الاسلوب والطف مأخذه وعلى نحو منه ينبغي ان يجري
الاستعمال فاعرفه النوع الخامس من الباب الثاني في الموازنة

وهي ان يكون الفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن
وذلك نوع من التاليف شريف المحل لطيف الموقع والكلام به طلاوة ورونق
وسبب ذلك الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشيا وحيث كانت مقاطع
الكلام معتدله في الوزن لذ بها المسمع ووقعت من القلب موقع الاستحسان
وهذا الامر انما يحكم بان الاحوال لبيانه ووضوحه مما جا من ذلك
قوله تعالى واهدنا الصراط المستقيم وهديناهما الصراط المستقيم وكذلك
قوله تعالى وقال ياهرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري
قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرايل
ولم ترقب قولي وعلى نحو منه ورد قوله تعالى من اعرض عنه فانه يحمل يوم
القيمه وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمه حملا ومن هذا الاسلوب
قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعه الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
وعلى هذا النهج قوله تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ومن ذلك ايضا قوله
جل وعلا فعلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنه فتشقى
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى وامثال هذا
في القران الكريم كثير فاعرفه النوع السادس من الباب
الثاني في اختلاف صيغ الالفاظ

وهو من صناعة التالف بمنزله عليه ومكانه شريفه اعلم ان الالفاظ
اذا نقلت من اسلوب الى اسلوب كنقلها من الواحد الى الجمع او الى التثنيه

او الى السبب اول الى غير ذلك اسقل حسنها صار قبحا او قبحها صار حسنا
ذلك ذلك ان التاء التي ترادف في اخر الاسم للفرق في الصفة نحو مقعد
ومقعدة الا ترى الى لفظة مقعد الدالة على امكان الجلوس تجمع على مقاعد
ولفظة مقعدة الدالة على المحل المخصوص من الحيوان تجمع على مقاعد
ايضا فاذا اوردت هذه اللفظة اعني مقاعد في الكلام والمراد بها
جمع مقعدة استقبحت لما عاملها بجمع مقعد وذلك مما تكرر ذكره
واذا اوردت منفردة برأسها غير محمولة على لم تستقبح ولا تستكره فقال الله
تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولاجل ذلك لما خافت لفظة مقاعد
في القرآن الكريم اضيفت الى ما لا يحتمل معه الاستقباح فقال جل وعلا
واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال ولولا اضافة مقاعد للقتال
لاستقبح ايرادها هاهنا وهذا الا يخفى على من له ادنى معرفة بهذه الصناعة
الا ان هذا المثال الذي مثلناه لا يطرد فيما هذا سبيله وانما يقع في
بعض الالفاظ دون بعض وقد نبهنا عليه في كتابنا المعرف محله من التاليف
ومن ذلك ايضا ما اشرنا اليه في صدر الكتاب في باب الالفاظ المركبة
وهو انك ترى بعض الالفاظ مرذولا في كلام ما ومستزادا بها اعجابا
واستحسانا ثم ترى لها في كلام اخر مستقلا عليلا ومستكرها مثال ذلك
ان لفظة الاخرع قد وردت في بيتين من الشعر وهي في احدهما لا يقبح
حسنه وفي الاخر يقبله مستكرهه كقول لصهبن عبد الله
لفت نحوالحي حتى وجدتني رجعت من الاصعا لتنا واخذعا
وكقول الاخر
ما دهر قوم من احد عمل فقد اصحى هذا الانام من حرقك

الا ترى انه قد وجد لهذه اللفظة في بيت الى تمام من الثقل على النفس
والكراهة اضعاف ما وجدلها في بيت الصهبن عبد الله من الروح والخفة
والاناس والنجحة وهذا لا يمكن النزاع فيه لظهوره وليس سبب
ذلك الا ما اشرنا اليه من اختلاف الصيغة الا ترى ان لفظة الاخرع
قد حاف هاهنا وشاه وهي حسنة في حالة الانفراد مستكرهة في حالة
التنبيه وقد يكون ذلك يرجع الى الترتيب لا الى الالفاظ وذلك ان
يكون التركيب محتملا النظام مضطربا الترتيب فتجي الفاظه عند ذلك
مستكرهة مستثقلة لكونها واردة في غير اماكنها وان كانت من حيث
انفرادها حسنة لائقة وقد تقدم الكلام على ذلك في باب ترتيب
الالفاظ فاعرفه

النوع السابع من الباب الثاني في تكرير الحروف

اعلم ان هذا النوع لا يتعلق بتكرير الالفاظ ولا بتكرير المعاني مما سبق ذكره في باب التحرير لان تكرار الحروف هو ان ياتي حرف واحدا وحرفان في كل لفظة من الفاظ الكلام او في اكثرها فيثقل على اللسان النطق بها من ذلك ما انشده الجاحظ

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

الا ترى الى صيغة الرات والقافات التي في هذا البيت من الشعر فانها في سابعتها كالسلسلة ولاحقا بما على الناطق بها من الكلفة وليس الكلام العاري من ذلك بمعوز ولا بعسير ولا هو بالذي لا تستطيعه الا الشاعر المفوه او الكاتب المعلق بل هو مما يصعب النطق به ذلك لان كل كلام الناس في محاوراتهم ومكاتباتهم خاليا من هذا القسم وذلك لانه لا تحصل الا بالتكليف والقصد الاتيان به فاما اذا ارسل

الانسان بفسه على سجيتها وخلي بينه وبين طبعها فانه لا تعرض له ذلك
عليت شعري اي امر يضطر مولف الكلام حتى ياتي به مستكرها ثقيلا على
اللسان وترك ما هو اسهل عليه المر تعلم ان العرب الذين هم الاصل
في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرار الحروف في كثير من كلامهم وذلك انه
اذا تكرر الحرف عندهم اذ عمدوا استحسانا فقالوا في جعل لد وفي تضريبني
تضريبوني ولد لد استعد فلان للامر اذا تاهب له والافضل فيه استعدد
واستعت الامر اذا تهيا وكمل والاصل فيه استعس واشباه هذا كثير
في كلام العرب حتى انهم لشدة كراهيتهم لتكرار الحروف ابدلوا احد الحرفين
لما تكرروا حرفا اخر غيره فقالوا امليت الكتاب والاصل في املليت
فابدلوا اللام ياء طلبا للخفة على اللسان وقرار ابن المقل والاستكراه
واعلم ان ورود الادغام في هذه اللغة اقوى دليل على كراهة العرب
لتكرار الحروف وفيما اشرنا اليه كفاية للمتامل فاعرفه وحث اشني بنا
الكلام الى هذا المقام وفرغنا من جميع الانواع في البيان والاقسام
فلنجعل خاتمته حمد الله على توفيقه والهدايه الى اقوم طريقه ونرغب
اليه في العصمة من الزلل والارشاد في القول والعمل فان عمر الناظر في هذا
هذا على سقطة او وقع في اثنايه على هفوة او غلطة فلينعض عنها
اعضاء الصافح ويسترها ستر المتجاوز المسامح فان الكريم من ستر العوره

واقال العثره ۞

اخر الكتاب المرسوم بالجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور
رحم الله مصنفه ومن كتبه ومن كتب له امين وكان الفراغ من نسخه في العشر
الاوسط من شهر شوال سنه ست وسبع مايه على يد العبد الفقير احمد بن علي الناسخ

Süleymaniye Kütüphanesi
Kitap: Esat Ef.
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 3003